

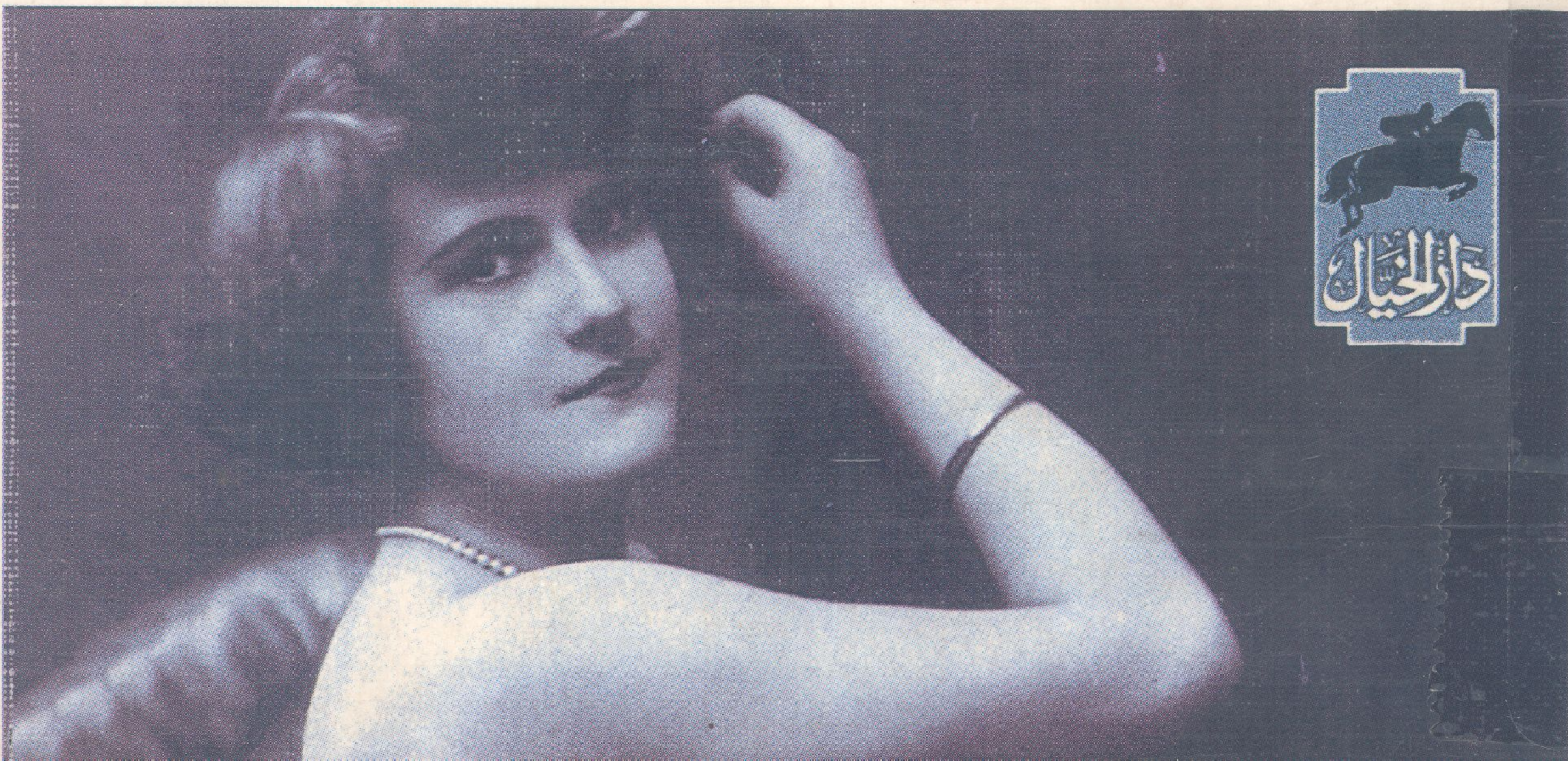


اليه هـ ودى الغامض فى القاهرة

البحث عن السر

بالجنس

رشاد كامل



البحث عن السلام بـالجـنـس

البحث عن السلام بالجنس

الطبعة الأولى: يوليو ١٩٩٦

رقم الإيداع: ٩٦/٥٨٣٣

الترقيم الدولي: 6- 9917 - 19 - 977

حقوق الطبع محفوظة

دار الخيال

يحظر نقل أو اقتباس أى جزء

من هذا المطبوع

إلا بالرجوع إلى الدار

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

جرافيك: محمد كامل مطاوع

خطوط الغلاف: لمى فهم

كمبيوتر: دار جهاد

إهداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدرى محمود حفني

جمهورية مصر العربية

رشاد كامل

اليهودى الغامض فى القاهرة

البحث عن السلام بالجنس

مطبوعات دار الخيال

بدلاً من المقدمة

هذا اليهودى الغامض!

انتهى زمن الكتابة الإنشائية تحت ظلال الزيفون !!!
فى السياسة كما فى الحب لا وقت للعبارات الطويلة الطنانة، والكلمات الضخمة
الفخمة التى لا تحمل للقارئ جديداً !! سواء كان هذا الجديد «معلومة» أو «إضافة»!
انتهى عصر البلاغة والمجاز و«الاستعارة المكنية» و«التشبيه»!
هذا عصر المعلومات التى تتدفق بسرعة الصوت والضوء، وليس عصر «العتريات
التي ما قتلت ذبابة»!
مازلنا أسرى حروف «الجر» و«النصب» و«العطف» !!
تخلينا عن دور «الفاعل» ورضينا بدور «المفعول به» !!
كانت شمس العرب تسطع على الغرب فتضى سماء العالم علماً.. وعدلاً
ونوراً.. ومعرفة، وحضارة لا حدود لها !!
ما تسرب اليهود من حدودنا - والتعبير لنزار قباني - لكنهم تسربوا كالنمل فى
عيوننا !!
بل و«غرورنا» و«وعنجهيتنا» !!
تتغير الدنيا، ونبقى نحن فى أماكننا، نلعن الأيام، ونتحسر على ما فات، ونتشاجر
مع ذباب الهواء !!

أنفقنا «عمرنا» - أغلب عمرنا - فى الكلام، وكلام الكلام، حتى انطبق علينا وبحق
أنا نحن العرب «ظاهرة صوتية»!

و.. ورغم قسوة العبارة وحدتها فلسنا أكثر من «ظاهرة صوتية»

كلام.. كلام.. كلام.. كلام!!

وكلام يخلو من المعلومة مرة، ومن الوثيقة مرة، ومن الحقائق عشرات المرات!!
عندما تلفت حولك، يمينك ويسارك وتجد أكثر من مائة مليون عربي: ناقدًا
ومحللاً وفيلسوفًا، لا يصبح لأى اجتهاد معنى، ولا يصبح لأى تحليل مغزى، لقد
اختلف الحابل بالنابل، وصارت الكتابة حرفة من لا حرفة له!!

انظر حولك - أقولها للقارئ الكريم - عبر المشرق والمغرب، عبر النظم التى
مازالت تحترف «الخنجوري» أو النظم التى تعيش بعقلها عصور ما قبل الجاهلية
ستجد مليون رأي، ومليون حزب، ومليون وجهة نظر.. (تصور؟!).

.. وكلها.. كلها تفتقد المعلومة.. والرقم.. والوثيقة.. والإحصاءات، وكلها
أدوات لا يعترف العصر بغيرها أداة للحوار والتحاور، الفهم والمناقشة، الإقناع
والاقتناع!!

كلها بغير استثناء حروف ضائعة فى الهواء، وكلمات هائمة على وجهها فى
السماء!!

ويحضرني هنا رأى ومقولة «آرثر سالزبورجر» مؤسس جريدة «نيويورك تيمس».
«إن رأى أى إنسان فى أية قضية لا يمكن أن يكون أفضل من نوع (المعلومات) التى
تقدم إليه فى شأنها..

اعط أى إنسان معلومة صحيحة ثم اتركه وشأنه، سيظل معرضاً للخطأ فى رأيه
ربما لبعض الوقت، ولكن فرصة الصواب سوف تظل فى يده إلى الأبد.

احجب المعلومات الصحيحة عن أى إنسان. أو قدمها إليه مشوهة أو ناقصة أو

محشوة بالدعاية والزيف - إذن فقد دمرت كل جهاز تفكيره، ونزلت به إلى ما دون مستوى الإنسان».

وهذا بالضبط ما حاولته - ساعياً وصادقاً - عبر محاولات كتب سابقة. وأحاوله متعمداً وقاصداً في هذا المشروع أيضاً.

المعلومات، ثم المعلومات، ثم المعلومات.. وبعدها يصبح من حق القارئ أن يصل بعقله ومنطقه وحساباته إلى الرأي الذي يعتقد أنه الصواب!!

.. وإلا فإن لسان حال القارئ سيكون هو نفسه حال المفكر والفيلسوف الإنجليزي الكبير «برتراند راسل» عندما قال - ومعه كل الحق فيما قال.

إنهم يكتبون. ماذا يكتبون؟.. دعهم يكتبون!!



نصف قرن - إلا قليلاً - وآلاف المقالات والدراسات والكتب والبحوث صدرت عن «إسرائيل».

القليل منها يضئ العقل بالمعلومة الموثقة، التي تساعد قارئها على تكوين وجهة نظر عاقلة، بصرف النظر عن الاتفاق أو الاختلاف معها!!

والكثير منها كان بمثابة مظاهرات كلام، وشوشرة حروف، وضجيج عبارات!!
والكتابة عن إسرائيل «الأمس» هي بالضبط كتابة عن إسرائيل اليوم وغداً
والسنوات القادمة!!

ما لم نفهم إسرائيل الأمس، فلن نفهم إسرائيل اليوم أو مابعدھا!!
والصفحات القادمة هي محاولة متواضعة لقراءة إسرائيل أمس، بالمعلومة والواقعة والحقيقة، وكلها منشورة ومدفونة هنا وهناك تنتظر من ينفخ عنها تراب الإهمال والنسيان لإعادة اكتشافها وقراءتها وتأملها!!

إسرائيل الأمس هي نفسها إسرائيل اليوم . سيناريو متكامل، ومحاولة مدروسة ودءوبة لا تعرف الملل لاختراق واحتواء العرب، بالمفاوضات مرة، وبالمال مرة وبالجنس مرة.

السيناريو الإسرائيلي لاختراقنا وسيلته الهمس واللمس !!!

ومنذ حوالي نصف قرن عرفت مصر يهودياً غامضاً اسمه «إلياهو ساسون». زار مصر، وجلس مع كبار الأسماء اللامعة فيها من رؤساء وزراء ووزراء ومثقفين وأصحاب أقلام، ولم يكن لديه إلا هدف واحد فقط. وهو محاولة إقامة سلام وصلاح بين مصر وإسرائيل !!

ولم تكن مصر ورجالها محطته الوحيدة. بل كانت له جولاته وزياراته إلى الأردن ولبنان. حيث كان يتصرف ويتجول هناك كواحد من أصحاب البيت !! عارفاً وفاهماً ودارساً مداخل ومخارج هذه البيوت وأمزجة أصحابها !!

سنوات طويلة وهذا «اليهودى الغامض» «إلياس أو إلياهو ساسون» يتجول بيننا، يقابل من يشاء، ويتحدث مع من يريد، حاملاً أوراقه وأحلامه ومشاريعه فى الصلح مع مصر خاصة والعرب عامة !!

واستمر الرجل فى زياراته وجولاته حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، ولم يكن صدفة أبداً أن يصبح ابنه «موشيه ساسون» ثانى سفير لإسرائيل فى مصر بعد إلياهو بن اليسار !!

هذا الرجل الغامض على خطورة اتصالاته ولقاءاته السرية والعينية لا أحد يعرف عنها شيئاً متكاملاً وكاملاً !!

كل المتاح والمتوافر كلمة هنا، وسطر هناك، وصفحة نائية فى كتاب !!

وهذا بالضبط ما حاولته فى هذا التحقيق الصحفى الطويل الذى يتخذ شكل الكتاب. استدعيت الكلمة والسطر والصفحة التى تخص «إياهو ساسون» حتى أصبح المتاح من المعلومات والحقائق كافياً لرسم صورة هذا اليهودى الغامض ، الذى كان يتكلم «العربية» وكأنه لا يعرف من اللغات سواها!!

إنها محاولة متواضعة لفهم ما يجرى اليوم بالعودة لأحداث الأمس!!
وأظن أن «محاولة الفهم» لا تستدعى الإذن من أحد مهما كان هذا الأحد، كما أن «قراءة التاريخ» متعة وهواية لا تتطلب موافقة كهنة التاريخ!!


وكل الصفحات التالية هى محاولة للفهم وسيلتها القراءة لا أكثر ولا أقل!!



وتبقى كلمة لا بد من البوح بها، تخص هذه الدار الشابة الجريئة «دار الخيال» التى تحمست لهذا الموضوع حتى وصل إلى أيدي قارئه.
أما الصديق الفنان المبدع «محمد الصباغ» فلا أظن أن كلمتى مهما طالت توفيه حقه زميلاً وفناناً ومبدعاً. فله الاحترام والتقدير.

رشاد كامل

يوليو ١٩٩٦



ساسون يهودى غامض فى القاهرة

كانت مفاجأة العمر تنتظر السفير الإسرائيلى فى القاهرة «موشيه ساسون» ليلة رأس السنة لعام ١٩٨١ .. فى تلك الليلة ذهب «ساسون» وزوجته «طوفا» لحضور حفل رأس السنة الميلادية الذى أقامه السفير الإيطالى فى القاهرة!

كان المكان مزدحماً بالمدعوين المصريين والأجانب، وكان كل شئ ليلتها ملفتاً للنظر حسبما لاحظ «موشيه ساسون»! .. كل شئ! الصور الأصلية القديمة التى ازدانت بها الحوائط، المقاعد والأرائك الوثيرة، والطاولات القيشانى التى وضعت عليها صور مبروزة للشخصيات التى تعرف عليها السفير - الإيطالى - طوال عمله، وفى إحدى القاعات، قدمت موائد الطعام وعليها المأكولات والمشهيات، وفى قاعات أخرى يتجول الجرسونات حاملين الصوانى وعليها كئوس من مختلف المشروبات.

المشروبات الكحولية للأقباط والأجانب وعصائر الفاكهة للمدعوين المسلمين!!
ووسط هذا الجو كله فوجئ السفير الإسرائيلى بزوجه تخبره بأن أحد المدعوين المصريين اقترب منها وأعرب لها عن رغبته فى التعرف عليه!!

تركت الزوجة «طوفا» زوجها السفير للحظات ثم عادت به، وحسب وصف «موشيه ساسون» نفسه فقد كان هذا المدعو المصرى يبدو لى كمن بلغ الثمانين وأكثر، يبدو مهيباً، ملابسه تنم على أنه محافظ جداً، عليها الزركشة المتعارف عليها فى الأمد البعيد جداً، سلسلة ذهبية مدلاة وطرفها فى جيبه فوق صدره -تشهد عن وجود ساعة قديمة- دليل على أنه فضلها عن ساعة اليد الأتوماتيكية لعصرنا هذا، ذو شارب خفيف، ولكنه مهذب بصورة جيدة، وفى فمه سيجارة فى مبسم من صنع فنان ماهر.

وتصافحنا!! وقال لى بالعربية "سيدى السفير عندما سمعت أن اسم السفير الإسرائيلى هو «ساسون» طلبت التعرف عليك كى أطرح عليك سؤالاً واحداً: هل تربطك صلة عائلية أياً كان نوعها بإلياس ساسون؟!

أحس السفير بالمفاجأة وحب الاستطلاع، وتغلب على إحساسه الحذر فى داخله وقال:

سوف أرد عليك فوراً يا سيدى، ولكن من فضلك. هل هناك سبب خاص بسببه تهتم «إلياس ساسون»؟!

لم يتردد الرجل، وبدأ يتكلم، وكان موشيه ساسون قد منحه إصغاءه الكامل، وألقى الرجل بالمفاجأة التي لم يكن «ساسون» يتظرها أو يتوقعها، وقال له ما يلي وبالحرف الواحد:

إلياس ساسون رئيس شعبة الشرق الأوسط في الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية، فقبل حرب ١٩٤٨، كان إلياس يزور القاهرة في أوقات متقاربة بهدف إقامة نظام روابط قوى لإقناع البلاط الملكي بتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل، - على أى حال قبل ثورة الضباط الأحرار بقيادة «جمال عبدالناصر» استأنف «إلياس ساسون» اتصالاته مع البلاط الملكي بهدف التوصل إلى اتفاقية سلام، وكنت أعمل في تلك الحقبة في البلاط الملكي، وفي مكتب رئيس الوزراء، وكنت رجل الاتصالات المصري مع حكومة إسرائيل، ومن الجانب الإسرائيلي تولى هذه المهمة «إلياس ساسون» الذي كان يعمل آنذاك من قبل وزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان مكتبه في تلك الفترة في باريس.

وقد بذل «إلياس ساسون» آنذاك جهوداً كبيرة جداً من أجل تحقيق اتفاقية سلام بين مصر الملكية وبين إسرائيل الجديدة!!

وحسب رواية السفير الإسرائيلي فقد اختتم المصري كلامه قائلاً:

ونحن - المصريون - كنا نشق جداً بإلياس ساسون، وإننى عرفت واحترمته جداً لصراحته، كان جل اهتمامه منصباً من أجل تحقيق السلام، وقد نشأت بيننا صداقة عميقة، وعندما سمعت أن اسم السفير الإسرائيلي الجديد في القاهرة هو «ساسون» انتظرت الفرصة المناسبة كي أسأل عن صحة صديقى إلياس، ألا يزال حياً؟!، وكيف حاله؟!، وهل توجد صلة قرابة تربط بينكما؟!



ويعترف السفير الإسرائيلي «موشيه ساسون» بأنه تأثر وانفعل مما سمعه للدرجة أن الكلمات تاهت منه، وكانت زوجته «طوفا» تتابعه بنفس درجة الدهشة والانفعال!!

وأخذ موشيه ساسون يرتشف رشفة صغيرة من الكأس التي كانت بيده ، وقال وهو يغالب دهشته:

نعم، قرابة شديدة، شديدة جداً «إلياس ساسون هو والدي»!!

ويصف الإسرائيلي ما جرى عقب سماع الرجل لكلماته: «قام وأمسكني بكلتا يديه وأخذ يقبلني مرة و مرة، وعندما هداً انفعالنا من هذا اللقاء الحار والخاص من نوعه لاحظت أن الضيوف الكثيرين المحيطين بنا ينظرون إلينا ومندهشين من الأحضان العنيفة بين سفير إسرائيل وبين شخصية مصرية جاءت من الزمن البعيد». وراح السفير الإسرائيلي يروي للرجل عن والده، وعن عمله حتى وفاته!!

وقال الرجل للسفير الإسرائيلي:

المثل المصري يقول «اللى خلف ما متش» وإننى سعيد أن أراك هنا فى القاهرة ، وفى هذا المنصب. أتمنى لك التوفيق والنجاح، فإلياس لم يفز، وإننى سعيد بأن ابنه هو الذى فاز!!

وكان رد السفير «موشيه ساسون» على كلمات الرجل هو قوله:

المثل العبرى يقول «الخير أبقى وإن طال الزمن به».. والمثل المصرى المقابل له يقول: «اعمل الخير وارميه فى البحر» ، وهذا ما فعله والدي... و

وأكمل ساسون كلامه: «والدي لم يفز بشئ، ولكنه شاهد زيارة السادات للقدس فى التليفزيون، وهو قابع على كرسى متحرك. إن والدي كرس كل حياته لموضوع واحد ووحيد -للسلام بيننا وبين جيراننا -وفى أواخر أيامه كان والدي وزيراً فى حكومة إسرائيل، وأيضاً ورد اسمه كمرشح لمنصب الرئيس. وإننى لمقتنع لو أن والدي خُير بين الوظيفتين -وزير فى الحكومة أو كسفير فى مصر- لآثر أن يكون هنا فى القاهرة.».

وفى النهاية يقول «موشيه ساسون»:

«وعندما ابتعد عنى الرجل انتبهت أنه لم يذكر لى اسمه، ومن منطلق الأدب،

وربما نتيجة للانفعال الذي سيطر على لم أسأله عن اسمه، وهكذا صرت لا أعلم شيئاً عن شخصية الرجل، وإن كنت قد استنتجت أنه على ما يبدو. «كمال رياض» الذي وصل في سبتمبر ١٩٤٨ من القاهرة إلى باريس كمندوب للبلاط الملكي المصري كي يقيم مع والدي اتصالات مسبقة وسرية لمفاوضات محتملة حول السلام بين مصر وإسرائيل، اتصالات جرى مثلها أيضاً في تلك الأيام البعيدة مع سوريا والأردن، ولكنها لم تثمر عن شيء.

انتهت كلمات «ساسون» الابن الذي أصبح سفيراً لإسرائيل في مصر (١٩٨١ - ١٩٨٨) لكن ماذا عن «ساسون» الأب؟!

ماذا عن «إلياس ساسون» أو «إلياهو ساسون» بالضبط؟!



ونقلب معاً في بعض أوراق زمان!!

هنا وهناك ربما نعثر على بعض المعلومات عن اليهودي الغامض «ساسون».

في مارس ١٩٧٦ صدرت مجلة الطليعة - كان يرأس تحريرها الأستاذ لطفى الخولى - وانفردت بنشر الرسائل المتبادلة بين ثلاثة من أبرز وأهم قادة إسرائيل وهم «بن جوريون» و«شاريت» و«ساسون».

كان مضمون هذه الرسائل المتبادلة في فبراير ومارس ١٩٥٤ هو إنشاء دولة مارونية في لبنان متحالفة مع إسرائيل، وقدمت الطليعة بسطور موجزة عن كل شخصية.

وقدمت إلياهو ساسون بقولها:

«ولد عام ١٩٠٢ في دمشق، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٧. كان مسئولاً عن القسم العربي بالوكالة اليهودية أثناء حكم الانتداب البريطاني على فلسطين، وعند قيام دولة إسرائيل عين وزيراً مفوضاً في تركيا، وكان عضواً في الوفد الإسرائيلي لمفاوضات الهدنة مع الأردن ومصر!!»

ويعد مستشاراً للحكومة الإسرائيلية في الشؤون العربية.

وفى كتاب «١٩٤٩ -الإسرائيليون الأوائل» يقول المؤلف والكاتب الإسرائيلى «توم سيغف»:

«وإلياهو (إلياس) ساسون، مدير دائرة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية وهو صحفى ورجل سياسة من مواليد دمشق، ومن أوائل دبلوماسى الوكالة اليهودية الذى كان يتصرف كأهل البيت فى العواصم العربية، ويتردد إلى قصور الحكام، كما أنه رجل أحلام ومحب للسلام».

ويقول «أمين هويدى» (وزير الحربية الأسبق) فى كتابه «كيف يفكر زعماء الصهيونية»:

«كان إلياهو ساسون مديراً للشئون العربية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان صديقاً حميماً للملك عبدالله ملك الأردن، وكان يقوم بزيارة عمان بين وقت وآخر لينزل فى ضيافة الملك أياماً كثيرة».

وكتب «عبدالله التل» قائد معركة القدس فى مذكراته «كارثة فلسطين» يقول عنه:

«إلياهو ساسون» هو مدير الشئون العربية فى وزارة الخارجية اليهودية، وهو صديق الملك «عبدالله» الحميم، والواسطة القديمة للتفاهم بين الملك واليهود منذ أمد بعيد.

وكان «ساسون» يزور عمان بين آونة وأخرى، ويبقى فى ضيافة الملك أياماً عديدة.. ومن زيارته المشهورة لعمان الزيارة التى أعقبت تتويج الملك عام ١٩٥٤ حينما جاء ساسون يهنئ الملك باسم اليهود فى فلسطين، ويقدم لجلالته الهدية اليهودية، وكانت ستة آلاف جنيه، وقد علم الأردن بهذه الزيارة، وبهذه الهدية فى حينها، وإلياهو ساسون يجيد اللغتين العربية والفرنسية.



والآن إلى أحدث كتب الأستاذ «محمد حسنين هيكल»!!
الحفاوة بما يكتبه الكاتب الكبير «هيكل» لها ما يبررها دائماً.

أظن -ومعنى كل الحق فى ظنى - أن الأستاذ «هيكل» ليس أى أحد،

وأظن -وليس كل الظن إثم- أن الأستاذ «هيكل» أتاحت له الظروف والأقدار أن يرى ما لا نراه فى كواليس ودهاليز الصحافة والسياسة، بحكم المكانة التى احتلها باقتداره وكفاءته وموهبته أيضاً!!

وليس ذنب الأستاذ «هيكل» أنه «شاهد شاف كل حاجة»، بينما الأغلبية من أبناء جيله اكتفت بدور «شاهد ما شافش حاجة»!!

ولأن هيكل كصحفى وشاهد «شاف كل حاجة» فلديه دائماً الجديد والمثير والطريف والمؤلم والموجع والمستفز الذى يضمه صفحات وأوراق كتبه!!

وأحدث كتب الأستاذ هيكل تنطبق عليها تماماً هذه الأوصاف وأكثر، فهو عن «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» (٣١٠ صفحات - دار الشروق).

بطول الكتاب وعرضه تصادف عيناك عشرات من الأسماء السياسية. ومن وسط غابة الأسماء التى حفل بها كتاب الأستاذ «هيكل» يستوقفنى ما كتبه عن شخصية «إلياهو ساسون»!!

الرجل لم يتحدث عنه هيكل سوى بضعة سطور جاءت فى صفحة ٢١٦ من كتابه على النحو التالى وبالحرف:

«وطوال صيف ١٩٤٦ فإن إلياهو ساسون «مستشار الشؤون العربية فى الوكالة اليهودية» ووالد موشيه ساسون الذى أصبح فيما بعد سفيراً لإسرائيل فى القاهرة) أقام إقامة شبه كاملة فى مصر. وتظهر تقارير القسم المخصوص (البوليس السياسى) الديوان الملكى أن إلياهو ساسون اجتمع برئيس الوزراء المصرى «إسماعيل صدقى» باشا، كما اجتمع بعدد من الساسة المصريين، وبينهم «محمود فهمى النقراشى» باشا الذى كان رئيساً للوزراء قبل «صدقى» وبعده، واجتمع أيضاً مع «مصطفى النحاس» باشا، وهو زعيم المعارضة فى ذلك الوقت، واجتمع أيضاً مع عدد من كبار موظفى الخارجية، كما أن «رينيه قطاوى» بك رتب له اجتماعاً فى بيته مع عدد من المثقفين وقادة الرأى العام فى مصر.

أما فى صفحة ٢١٧ فىكمّل الأستاذ «هفكل» قائلاً:

«إن الياهو ساسون» عقد أيضاً ثلاثة اجتماعات أو أربعة مع «حسن يوسف» باشا وکیل الدیوان المملکى، ونقل إلیه رسائل موجهة إلی المملک فاروق من زعماء الحركة الصهیونیه وبنهم وایزمان وبن جوریون، بل إن بن جوریون جاء بنفسه إلی القاهرة وكان هدفه أن يقدم للمملک ولمن یهمه أن یسمعه من المصریین كل التأكیدات التی یریدون سماعها عن حسن نوايا الوكالة الیهودیة فى فلسطين تجاه مصر وشعبها».

ثم یضیف هفكل ملاحظة فى غایة الذكاء والإنصاف عندما یقول بعد ذلك مباشرة «كل هؤلاء السیاسیین المصریین الذین قابلوا «إلیاهو ساسون» و غیره لم یكونوا متورطین فى شئ، ولا یمكن اتهام أحد منهم بالتعاون مع الصهیونیه، ذلك أن هذه الحركة لم تكن ظاهرة بعد للوعى المصرى العام، سواء على مستوى الشعب أو على مستوى الحكومة.» إلخ



لكن لم یكن هذا هو كل ما حدث، كانت هناك حكاية هفكل مع إلیاهو ساسون، ورهانه معه - وكانت قیمة الرهان عشرة جنیحات(!!)

وهفكل بقلمه الذی كتب ذلك كله قبل عشرين عاماً تقریباً.

كانت البداية عندما قال للأستاذ فؤاد مطر (كتاب بصراحة عن عبدالناصر ص١٣٣ و ١٣٤).

«وعندما كنت فى الخامسة عشرة كان فى العباسیه حیث أسكن عدد كбір من العائلات الیهودیة، وكنت أعرف فتى یهودياً اسمه موريس بن زاكر، أعطانى مرة منشورات وكتباً، وذكر لى أنهم یتدربون فى معسكر قرب الهرم». (!!) وفى برج العرب خصص مكان لمرابطة الفیلق الیهودى!!

وقلت أيضاً یا أستاذ هفكل: «ولقد زرت راحبوت مرة مع محمد حسین هفكل باشا الذی كان وقتها رئیساً لمجلس الشیوخ، وذات يوم شاهدت بن جوریون وإیلیا ساسون (إیلیا أو إلیاهو واحد) یدخلان القنصلیه المصریه فى القطمون ومعهما مذكرة

لتسليمها إلى القنصل المصري، وكانت البيانات والمذكرات التي تصدرها الوكالة اليهودية ترسل منها نسخة إلى مصر».

كانت هذه أول مرة يأتى فيها ذكر اسم «ساسون» على لسان الأستاذ هيكل!!
إن إياهو ساسون دون مبالغة كان أخطر رجل يهودى فى تاريخ الدولة اليهودية
والدور الذى لعبه -ولا أحد يعرفه حتى الآن- خطير ومثير!!.



ولعل الأغرب والأكثر إثارة ودهشة فى حكاية «إياهو ساسون» هو «حكايته مع
الأستاذ «محمد حسنين هيكل» نفسه!! وهذا الرهان الذى جرى بينهما!! ولم يدفع
«هيكل» قيمة الرهان وقدره عشرة جنيهات!!

فما الحكاية بالضبط؟!

فى مايو ١٩٥٣ كان قد مر خمس سنوات كاملة على حرب فلسطين، وبهذه
المناسبة نشر «محمد حسنين هيكل» على مدى أسابيع سلسلة من التحقيقات
الصحفية كان عنوانها «حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة».

«لقد عشت حرب فلسطين قبل أن تبدأ هذه الحرب رسمياً.. عشت هذه الحرب
ذات يوم من أيام شهر مارس ١٩٤٨، وكنت قد حملت حقائبي وذهبت إليها أبحث
عن الحقيقة».

وكنت قد سمعت عن طريق بعض المراسلين الأجانب فى فلسطين كى ألتقى
ببعض قادة الوكالة اليهودية، وكانوا وقتها هم النواة لحكومة إسرائيل، وكنت قد
قابلت «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل اليوم.

ثم عاد هؤلاء المراسلون ورتبوا لى موعداً مع «ساسون» الذى كان وقتها
سكرتيراً شرفياً للوكالة اليهودية.

وقال لى «ساسون»:

إن الجيش المصرى سوف يدخل حرباً رسمية.

وهزئت رأسى وقلت له:

لا أعرف!

وقال «ساسون»:

سوف يضحك الإنجليز عليكم، وسوف يقدمون لكم كل إغراء لتدخلوا، ثم ينصبون لكم فخاً، إنهم لا يريدون جيشكم هذا الذى تدعون به القدرة على ملء الفراغ فى قناة السويس.

ثم مضى ساسون:

هل تراهن بعشرة جنيهات؟!

قلت: قبلت الرهان!!

ويروى «هيكل» ما جرى بعد ذلك بينه وبين «ساسون» فيقول:

وقد التقيت بساسون بعد ذلك فى باريس فى شهر سبتمبر ١٩٤٨، وكانت الحرب قد بدأت فعلاً، والهدنة قد فرضت، وفى مجلس الأمن مناقشات حول الهدنة وظروف الاعتداء عليها.

ووجدت «ساسون» فجأة أمام قاعة اجتماع اللجنة السياسية فى قصر «شايو» يقول لى:

هل رأيت؟! .. ألا تريد أن تدفع الرهان؟!

وبعدها فى شهر فبراير ١٩٤٩ فى استانبول، وفى مطعم عبدالله المشهور، وكان «ساسون» قد عين سفيراً لإسرائيل فى تركيا، أقبل أحد خدم المطعم يحمل لى ورقة صغيرة كتب عليها:

ألا تريد أن تدفع رهانك؟!

وقال لى الخادم إن السيد الجالس هناك بعث إليك بها.

ورفعت رأسى فى الاتجاه الذى أشار إليه، ووجدت «ساسون» بنفسه ينظر إلى ويتسم!!.

انتهى ما كتبه «هيكل» على صفحات آخر ساعة حول مقابله فى فبراير ١٩٤٩ «لساسون».



وبعد سنوات طويلة عاد «هيكل» مرة ثانية إلى الاستشهاد بـ «إياهو ساسون»!!

كان «هيكل» يروى فى كتابه «ملفات السويس» كيف كان العالم مهتماً بمعرفة حقيقة الانقلاب الذى وقع فى مصر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكتب هيكل يقول:

«وكانت إسرائيل فى مقدمة المهتمين، ولم يكن لديها وسيلة إلى معرفة دخائل ما يجرى فى مصر، فقد كانت مخبراتها القوية واتصالاتها مقصورة على العهد القديم الذى أسقطه «الانقلاب».

كانت على صلة بعدد من العائلات اليهودية الكبيرة فى مصر «قطاوى، وموصيرى، وشيكوريل». وكانت لها صلاتها بعدد من البنوك الدولية العاملة فى مصر.

وكانت لها اتصالاتها بشركة قناة السويس.

وكانت لها اتصالاتها -فوق ذلك- بالقصر الملكى وبعض رجاله، وبعدد من الساسة المصريين التقليديين.

وكان وسيط هذه الاتصالات كلها هو «إياهو ساسون» رئيس القسم الشرقى فى الوكالة اليهودية (ابنه موشيه ساسون هو السفير الإسرائيلى فى مصر حتى الآن) ص ١٥٨.

وبعد رحيل الرئيس السادات -وبالتحديد في ٢٥ ديسمبر ١٩٨١- كتب أنيس منصور مقالاً (في مجلة أكتوبر) عنوانه «السادات شخصية أخرى» وقرب نهاية هذا المقال ألقى «أنيس» بقنبلة يقول فيها:

«شيء غريب حدث أخيراً، ولا أعرف لماذا جاء في ذكرى ميلاد الزعيم الراحل بطل الحرب والسلام مع إسرائيل «أنور السادات».

لقد كشفت إسرائيل عن وثائق سرية تقول إن الملك فاروق هو أول من أراد عقد صلح مع إسرائيل، وإن كان من رأيه أن يكون الصلح منفرداً، ثم إن مشروع اتفاقية الصلح كان من ١٤ نقطة، وأن هذا المشروع قد قدمه السيد «إلياهو ساسون» (والد سفير إسرائيل الحالي) إلى السيد «حسن يوسف» من رجال الديوان الملكي في باريس سنة ١٩٤٨.

وقد وافق الملك «فاروق» على المشروع، واشترط على إسرائيل ألا تكون لها صلة بالدول الشيوعية، وأن إسرائيل قد وعدت بأن تكون عضواً في جامعة الدول العربية، بشرط أن يتغير اسمها إلى «جامعة الدول الشرقية» إلخ.

ولم يجد «أنيس منصور» سبباً لإذاعة هذه الوثائق إلا أنه يختم ما كتبه بقوله:

«إلا إذا كان لإذاعة هذه الوثائق معنى آخر لا نعرفه!!».



وبعد سنوات طويلة من إذاعة هذه الوثائق التي أشار إليها «أنيس منصور» صدرت يوميات «ديفيد بن جوريون» أشهر رئيس وزراء إسرائيلي، والتي أسماها «يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨»، وفي هذه المذكرات أشار «بن جوريون» إلى حكاية «حسن يوسف»!!

في يومياته بتاريخ الثامن من أكتوبر ١٩٤٨ كتب «بن جوريون» يقول:

«وصلت من «موشيه شاريت» (وزير الخارجية) أربع وثائق:

مشروع «أ. ساسون» بتاريخ ٢٢ سبتمبر (١٩٤٨) بشأن حلف صداقة مع مصر، مداولات وملاحظات «المساعد» المصري (ولم يحدد بن جوريون المقصود بالمساعد

المصري)، يريد المصريون ضم القسم الغربى من أرض إسرائيل إلى مصر لهدفين:

١ - فى حالة نشوب نزاع مسلح مع إسرائيل فإنهم يستطيعون الخوض فى المعارك على تراب أرض إسرائيل لا على ترابهم هم.

٢ - للحيلولة دون ضمه (أى القسم الغربى) إلى شرق الأردن وتحويله إلى قاعدة عسكرية بريطانية.

تلقى المساعد - بحسب كلامه - برقية من نائب رئيس البلاط «حسن يوسف» طلب منه فيها أن يعرض مشروع «إياهو ساسون» على مستشارين عسكريين وسياسيين تابعين للوفد المصرى فى الأمم المتحدة. يستعين المساعد بثلاثة مستشارين: اثنان عسكريان وواحد سياسى - تريد مصر غزوة لنفسها، ولذا فإنهم يطلبون للعالم العربى ممراً إلى ميناء «حيفا». تتخوف مصر من قيام دولة يهودية بسبب توسع إقليمى، سيطرة اقتصادية، تغلغل شيوعى.



كان «إياهو ساسون» هو الحاضر الغائب فى كل الروايات والشهادات السابقة، ولكن كان «لساسون» نشاط آخر خفى وغير معلن داخل الوكالة اليهودية فى تل أبيب!.

وفى عام ١٩٤٣ تم تنفيذ اقتراح هام لـ «إياهو ساسون»، ويقضى بدراسة الصحف العربية باعتبارها مصدراً هاماً للمعلومات!!

وفى عام ١٩٤٤ قرر رؤساء جهاز المخابرات فى «الهاجاناه» توسيع نطاق شبكتهم فى مصر!!

وبسبب زيادة الشعور المناهض للسامية فى مصر كان الأمر يستلزم الإسراع فى إخراج اليهود من البلاد، كما كانوا يريدون أيضاً الاستيلاء على المخزون الاحتياطى من الأسلحة التى كدسها الحلفاء فى مصر!.

وعموماً - وبحسب ما جاء فى كتاب الموساد - فقد كانوا يريدون الحصول على معلومات، لأن القاهرة كانت مقراً لقيادة الإنجليز فى الشرق الأوسط، ومن ثم فهى

أفضل مكان لمعرفة الخطط التي يضعها الإنجليز حيال المنطقة. كما كان لابد أيضاً التحقق من موقف الزعماء العرب:

ما هي وجهات نظرهم إزاء إنشاء دولة يهودية في فلسطين؟!

ما الذي سيفعلونه في حال قيام دولة يهودية؟!

وكان الرجل الذي وقع عليه اختيار «الهاجاناه»، وتنفيذ هذه العملية الموسعة واحداً من كبار العملاء، ويدعى «ليفى إفراهام» الفلسطيني المولد.

جاء «ليفى إفراهام» إلى مصر في ربيع ١٩٤٤ متخفياً في شخصية ضابط إنجليزي!!

كان أول مكان يقوم «ليفى إفراهام» بزيارته عندما وصل إلى مصر هو منزل إحدى عضوات المجتمع المصري البارزات وتدعى «يولندا جابى».

كانت يولندا جابى تنحدر من أسرة موسرة من يهود الإسكندرية، وعاشت فترة في باريس، واكتسبت بعض الصفات الغربية، ولم تكن صهيونية، ولكن عملية التجسس كانت تستهويها!!.

وكان أكثر ما يهم «ليفى إفراهام» هو أنها كانت لها اتصالات لاحصر لها بكبار الشخصيات العسكرية والسياسية في مصر!! وكان هذا بالضبط هو ما ترميه الوكالة اليهودية!!

وبسرعة استأجر الاثنان فيلا خارج الإسكندرية كانا يستخدمانها كقاعدة لعمليات التهريب، ولكنها في الظاهر كانت مكاناً لاستشفاء جنود الحلفاء.

لكن ما علاقة «إلياهو ساسون» بيولندا جابى؟!

الواقع وكما تكشف بعد سنوات طويلة، وبواسطة الشهادات الإسرائيلية نفسها، أن «يولندا جابى» كانت على اتصال دائم ومكثف «بإلياهو ساسون»!!

كان ما يجرى في مصر وخاصة بالقرب من رموز السياسة المصرية هو ما يريد معرفته «إلياهو ساسون»، وكان هذا بالضبط ما فعلته «يولندا جابى»!!.

كان ما يهم «ساسون» هو المعلومات!!

ولم يكن «إلياهو ساسون» بعيداً عن الجاسوسة اليهودية الحسنة «يولاند هارمر»!! أو «يولندا جابى»!!

كانت حكاية «يولاند هارمر» حكاية مثيرة وغريبة بكل المقاييس!

ولدت «يولاند هارمر» فى مصر من أم يهودية تركية، وكان اسمها قبل الزواج «يولاند غاباي»!!

كان أول زواج لها فى سن السابعة عشرة، وأصبحت أرملة عندما قتل زوجها الثالث، وكان رجل أعمال ثرياً من جنوب أفريقيا على إثر تحطم طائرة.

كانت «يولاند» فتاة شقراء جذابة تتردى أحدث أنواع الأزياء، وقامت بتحويل اسمها إلى اسم عبرى هو «هارمور» واعتبرت «ماتا هارى» اليهود فى القاهرة.

تزوجت «يولاند» ثلاث مرات قبل أن تكون عشيقة لسلسلة من العشاق ومنهم بعض أثرياء مصر، وبعض النافذين وأعضاء السلك الدبلوماسى.

وبقية تفاصيل حكاية «يولاند» جاءت فى كتاب «الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية ١٩٣٦ - ١٩٩٢» (لإيان بلاك وبنى موريس). وتقول التفاصيل المثيرة:

كانت «يولاند هارمر» أفضل من تجسس لصالح إسرائيل عام ١٩٤٨، ولم تكن تعمل لصالح «الشاي» (جهاز استخبارات الهاجاناه عام ١٩٤٧) ولا للجهاز الذى خلفه (أى شعبة الاستخبارات فى جيش الدفاع الإسرائيلى، ولا للقسم السياسى السرى فى وزارة الخارجية، وهو الهيئة النواة التى أصبحت فيما بعد «الموساد».

كانت «يولاند» ألمع العملاء وأكثرهم فعالية، وكانت ترتبط منذ أواسط الأربعينيات بفرقة الشئون العربية فى القسم السياسى فى الوكالة اليهودية، وبعد إعلان إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ تابعت «يولاند» العمل بإشراف قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية.

كان موسى شاريت رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية قد جندها للعمل لصالح القضية الصهيونية عندما التقاها فى حفل كوكتيل عامى ١٩٤٥

وتحت الغطاء «كصحفية» ساهمت فى إعداد بعض المقالات عن الشئون المصرية للصحف الباريسية، ودخلت بسرعة ودون جهد كبير فى مجتمع القاهرة الراقى.

قال تيدى كوليك (عمدة القدس فيما بعد): كانت كتابتها محدودة جداً بشكل عام، وكانت باحثة اجتماعية.

وقام «إيلى بيلينغ» ، وهو المندوب السرى لمنظمة الشباب الصهيونى فى مصر بتلخيص نشاطاتها حتى شهر مايو ١٩٤٨ .

أفاد «بيلينغ» شاريت (الذى أصبح وزيراً للخارجية) أن اتصالات «يولاند» تضمنت تقى الدين الصلح، وهو المساعد الرئيسى لعزام باشا أمين عام الجامعة العربية، و«محمود مخلوف» ابن المفتى الأكبر فى القاهرة.

وأضاف: «بيلينغ» قوله لشاريت - حسب ما جاء فى نفس الكتاب:-

تطوع مخلوف بإعطاء معلومات «تخدم مصالحنا ولكنه كان يحتاج إلى ألف جنيه مصرى لتمويل حملته الانتخابية لعضوية البرلمان المصرى(!!).

وكان ليولاند أيضاً علاقات مع أكبر صحيفة فى القاهرة وهى الأهرام.(!!)

أما «تقى الدين الصلح»، والذى أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء فى لبنان، فقد كان متيماً بها، وكذلك السفير السويدى فى مصر «ويدار باغ» الذى استسلم لمفاتها، لقد كان منذ أشهر لا مبالياً تجاه قضيتنا، ولكنه اليوم صهيونى متحمس، لقد ذودنا ببعض المعلومات عن الجيش المصرى.

ويؤكد «بيلينغ» على أن «يولاند» كان بإمكانها إقامة علاقات مماثلة مع دبلوماسيين آخرين وخصوصاً أمريكيين وفرنسيين لو تلقت تعليمات بذلك.

كانت يولاند تملك جهاز إرسال راديوى ولكن لم يستعمله أحد لصالحها، لذلك كانت ترسل جميع تقاريرها بالبريد بواسطة الولايات المتحدة مما يعنى أنها لم تستطع

أن توابك التطورات، لكنها حققت نجاحاً مميزاً في تلك الفترة عندما اخترقت السفارة الأمريكية في القاهرة، وحصلت على نسخ من البرقيات السرية التي أرسلها «جفرسون باترسون» القائم بالأعمال إلى وزارة الخارجية في واشنطن.

إحدى هذه البرقيات التي وصلت إلى وزارة الخارجية في أغسطس (١٩٤٨) تضمنت معلومات عسكرية مفيدة حول عدد التونسيين والجزائريين الذين يقاتلون إلى جانب القوات العربية في فلسطين.

أخيراً شك «عبدالرحمن عزام» بأنها تعمل لصالح الإسرائيليين، وبعد ذلك ألقى القبض عليها في يوليو ١٩٤٨ ولم تنفعها الأسماء الرمزية التي كانت تحتفظ بها لعشاقها وأصدقائها وعمالئها.

وفي السجن أصيبت «يولاند» بمرض شديد لكن أحداً لم يساعدها. بعد شهر وفي أغسطس ١٩٤٨ أطلق سراحها وطردت من البلاد (مصر). وهنا يقول مؤلفا الكتاب «إيان بلاك . وبنى موريس».

لم يكن «إلياهو ساسون» متأكداً من أن إطلاق سراحها كان بناء على مداخلته مع كبار الرسميين المصريين أو لأنها «وافقت على اقتراح الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بأن يُطلق سراحها وتعمل لصالح العرب».

طلب «إلياهو ساسون» من يولاند أن تحضر إلى باريس حيث بدأت اعتباراً من أكتوبر بلقاء ومراسلة عملاء مصر، وزودت تل أبيب بمعلومات كثيرة من الاستخبارات السياسية.

كان ليولاند عادة جيدة حيث كانت تضمن رسائلها إلى القاهرة أفكاراً ووجهات نظر تقترحها وزارة الخارجية في تل أبيب.

اقترح «عزرا داني» وهو أحد قدامى جهاز الاستخبارات، وأحد الذين رافقوا جولدا مائير في زيارتها للملك عبدالله، بأن تضمن «يولاند» الرسائل المقبلة شرحاً للحاجة إلى إعادة توطين اللاجئين في مكان ما خارج إسرائيل.

وفى أوائل عام ١٩٤٩ أصبحت يولاند «إحدى أكبر العاملين الرئيسيين فى قسم الشرق الأوسط جناح باريس، والذي تضمن أيضاً إياهو ساسون، حدد جناح باريس مهمته بإقامة اتصالات مع الدول العربية من أجل متابعة التطورات.. واقترح مفاوضات للسلام، والاتصال مع جماعات المعارضة من أجل إحباط الجهد الحربى العربى».

لم يكن وضع «يولاند» جيداً، وأفاد بعض زملائها بأنها كانت غير فعالة!!
ولكن «إياهو ساسون» كان يعتقد بأنها يمكن أن تكون مفيدة، وخصوصاً بعد توقيع اتفاقية الهدنة المصرية الإسرائيلية فى فبراير ١٩٤٩، وأوقف «ساسون» قراراً بنقلها إلى الولايات المتحدة حيث كانت ستتسلم وظيفة دبلوماسية، ومن أجل «المحافظة عليها للعمل فى مصر فى المستقبل وإبعادها عن الشبهة».

فيما بعد وفى الخمسينيات عملت يولاند لصالح الإسرائيليين فى مدريد (أسبانيا) وتوفيت عام ١٩٥٩.

ويؤكد الكتاب على أن وزارة الخارجية الإسرائيلية استطاعت بواسطة «يولاند هارمر» أن تحصل على معلومات سياسية من بلاط الملك فاروق.

ويكتفى الكتاب بهذا السطر المثير، ولا يضيف له أية كلمة أخرى!!
ويلفت النظر ما جاء فى يوميات «ديفيد بن جوريون» التى صدرت فى كتاب «يوميات الحرب» قول بن جوريون مايلى وبالحرف الواحد:

«يولندا» تبلغ أن رجل فاروق ملك مصر يريد الاجتماع إلى «إلياس ساسون» بمعرفة الملك.

ولم يكشف «بن جوريون» فى يومياته عن اسم رجل فاروق الذى يريد الاجتماع بساسون!

من كان يقصد؟! ولماذا أخفى الاسم؟!

لا إجابة.. ولا تعليق!!

لم يذكر كتاب «الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية» السابق الإشارة إليه أية تفاصيل عن علاقة «يولاند» بـ «محمود مخلوف» ابن المفتى الأكبر فى القاهرة. لكن فى وثائق الخارجية الأمريكية التى تم الإفراج عنها مؤخراً سنجد ما هو أخطر وأهم وأكثر إثارة!!

يوجد فى ثنايا السطور إجابة إلا قليلاً!!

كان ذلك فى مارس ١٩٥٣ بعد مرور شهور على قيام ثورة ٢٣ يوليو، وكان السفير الأمريكى فى القاهرة «كافرى» قد أرسل بتقرير عن القنوات المحتملة لإجراء اتصالات بين مصر وإسرائيل فى حالة عقد مباحثات سلام فى المستقبل!

وتضمن تقرير كافرى مذكرة أعدها «محمود مخلوف» من المصادر الإخوانية للسفارة اقترح فيها اثنين من المصادر الإسرائيلية التى قد تكون فى خدمة الحكومة المصرية إذا فكرت جدياً فى عقد صلح مع إسرائيل.

وحسب ما جاء فى كتاب «تطور السياسة الأمريكية نحو مصر بين حربين» للدكتور «رضا أحمد شحاتة» فى تفسير مبادرة «محمود مخلوف» قوله:

كان «محمود مخلوف» قد نقل إلى «ماكلنتوك» المستشار السياسى للسفارة الأمريكية أنه فى أعقاب اغتيال «الكونت برنادوت»، فقد استطاع إنقاذ حياة إحدى اليهوديات فى مصر وهى مدام «يولاند نيل» وهى صديقة حميمة لوزير خارجية إسرائيل «موشى شاريت»، وأنها موجودة حالياً فى باريس، وأنه يمكن من خلالها الاتصال بشاريت فى أى وقت (!!).

وقال مخلوف «إن مصدره الإسرائيلى الثانى هو أحد أثرياء اليهود يقيم فى لندن ويدعى «بنيت».

ثم يشير الباحث د. رضا شحاتة إلى أن محمود مخلوف دعا لتأكيد هذه المعلومات المتصلة بالقنوات المحتملة للاتصال بين مصر وإسرائيل - مرة ثانية - فى مقابلاته مع المسؤولين فى الخارجية الأمريكية فى واشنطن فى ٤ يونيو ١٩٥٣ بعد زيارة دالاس لمصر، حيث نقل «مخلوف» للخارجية الأمريكية أنه على اتصال بأعضاء الجالية

اليهودية في مصر، وأصدقاء يهود في لندن، وأنه يريد مساعدة الولايات المتحدة في تحقيق التسوية مع إسرائيل.

وعن نفس هذه السيدة «يولاند هارمر» يقول هيكل أيضاً إنها هي التي أوقعت في نفس الفترة سياسياً عربياً بارزاً في غرامها، وهو السيد «تقى الدين الصلح» وكان يومها مساعداً للأمين العام لجامعة الدول العربية، ولم يكن قد تزوج بعد!!



ولم يكن «كريم ثابت» المستشار الصحفي للملك فاروق بعيداً عن «إلياهو ساسون»!!

كان ساسون - وغيره من اليهود يعرفون - أن كريم ثابت كان قد أصبح فرخة بكشك عند الملك فاروق على حد تعبير «إلياس أندراوس» المستشار الاقتصادي للملك.

وذات يوم تقابل «إلياس أندراوس» مع «فؤاد سراج الدين» وقال له إنه قادم إليه في مسألة هامة، واستوضح فؤاد سراج الدين، عن تلك المسألة الهامة، فقال له إلياس أندراوس ببساطة:

إذا كنتم عاوزين تقعدوا عشرين سنة في الحكم تاخدوا كريم ثابت وزيراً!!

ورد فؤاد باشا سراج الدين من وسط دهشته وذهوله:

أنت يا باشا مجنون؟!

وكان رد إلياس أندراوس عليه هو قوله:

«كريم ثابت مصري وصحفي درجة أولى»، والمهم أنه عند الملك فرخة بكشك!!

كان مصدر الرواية السابقة هو «صلاح الشاهد» في مذكراته «ذكرياتي بين عهدين» ويضيف:

كان كريم ثابت شخصية غامضة تحوط بها الأساطير، ولا مرأه أنه لعب دوراً

خلال الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ فى تاريخ مصر، وكانت دسائس القصر تحرق «بكريم ثابت»، وكان يتغلب عليها فيعود متصراً.

وفى نفس الوقت كانت زوجته قد دخلت إلى القصر عام ١٩٤٩ لتصبح وصيفة للبلاط الملكى خلفاً لمدام قطاوى (اليهودية)!!

وفى اعترافات الملكة فريدة قولها عن كريم ثابت: «بلغ تأثيره على الملك لدرجة أنه أصبح يلازمه ويجالسه فى سهراته وجولاته، وأصبح له نفوذ كبير على الملك، وأصبح فاروق كقطعة الشطرنج فى يد كريم ثابت.. وشارك فى نسج شبابه حول الملك عن طريق تقديم النساء. مما جعل له حظوة ونفوذاً وتأثيراً، لذلك أنعم عليه فاروق برتبة البكوية ثم الباشوية ثم وزيراً للدولة فى آخر عهد (وزارة حسين سرى)».

ولم يجد الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» إلا هذه الواقعة للتدليل على المكانة التى احتلها «كريم ثابت» فى عقل وقلب الملك فاروق فيقول ما يلى:

كان إبراهيم عبدالهادى بعد خروجه من رئاسة الديوان يروى كثيراً من الصغائر التى كانت تسمى إليه، والتى تدل على نوع حياة الملك ومدى اهتمامه بمستشاريه، من ذلك أنه دخل على الملك مرة ليعرض عليه بعض الأوراق، فوجده جالساً مع «كريم ثابت» يتبادلان رواية النكت البذيئة باللغة الفرنسية ويضحكان فى عريضة، ولما رأى الملك رئيس الديوان قال لكريم «قول النكتة تانى بالعربى علشان الباشا ما يعرفش فرنساوى .

فرد كريم ثابت: «ولا عربى كمان»(!!).

وضج الاثنان بالضحك الشديد ورئيس الديوان واقف والأوراق فى يده.. لا يدرى ماذا يصنع؟!

وتشير د. لطيفة سالم فى كتابها «فاروق وسقوط الملكية فى مصر» إلى وقائع هامة لها دلالتها البالغة ولم يتبها لها أحد فتقول:

«واستغل فاروق اليهود أثناء حرب فلسطين جيداً، وسلك أكثر من طريق، الطريق الأول التفنن فى القبض على بعض الأغنياء منهم، وتجري المساومة، ثم يكون الإفراج عنهم فى مقابل مبالغ كبيرة.

وأثار ذلك «النقراشى»، وذهب للملك وطلب منه ترك مسألة القبض له، وأنه لا يقدم على ذلك إلا بناء على مستندات بأن المشتبه فيهم على علاقة بالصهيونية.

أما الطريق الثانى فكان مباشراً بمعنى أن كريم ثابت يقوم بالتفاوض مع أثرياء اليهود على المقابل ليفرج عن اليهود المقبوض عليهم.

ويأتى الطريق الأخير وهو الدفع لترفع الحراسة عن شركاتهم!!

وتشير د. لطيفة سالم إلى حكاية أخرى أكثر إثارة ومؤداها: «أنه فى حرب فلسطين كان بعض المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة يخسرون كل ليلة على مائدة الملك مبالغ كبيرة.

كذلك لوحظ أنه يلعب البكارة مع اليهود فى تلك الفترة ولم يعبأ بأيه نصيحة..

وفى مرة ذهب إلى بيت جورج صيدناوى (وهو من أثرياء اليهود) واستمر يلعب البوكر إلى اليوم التالى.

وإلى جانب الطريق الجوى والطريق البحرى الذى سلكه فاروق فى تهريب ثروته الضخمة خارج مصر، استخدم «فاروق» أيضاً اليهود!! وكان الإفراج عن البعض منهم يكون مقابل تهريب الأموال معهم، فعندما تم القبض على أحدهم بتهمة التجسس لحساب إسرائيل -وهو مدير لإحدى شركات الملاحة فى بورسعيد- أقنعه بوللى بأن فك اعتقاله مرتبط بما يحمله من ذهب أثناء صعوده على ظهر السفينة.

وأيضاً حدث أن اتفق الملك مع تاجر يهودى كان على صلة به على شراء قطن الخاصة الملكية لحساب إسرائيل نظير تهريب مبلغ عشرة ملايين جنيه إلى سويسرا.

وحسب ما جاء فى مذكرات د. حسين هيكل باشا اعتراف خطير كان قد أخبره به «رئيس الوزراء إسماعيل صدقى» باشا، كتب هيكل باشا يقول:

«أخبرني المرحوم إسماعيل صدقي باشا قبل سفره الأخير إلى أوروبا، وكان قد جاء إلى رئاسة المجلس (مجلس الشيوخ) يحدثني في أمر استقالته من عضوية الشيوخ، أن كريم باشا استولى على خمسة وسبعين ألفاً من الجنيحات من اليهود الذين اعتقلوا أو وضعت أموالهم تحت الحراسة في أثناء حرب فلسطين للإفراج عنهم أو رفع الحراسة عن أموالهم».

وفيما بعد تكشف بعض الحقائق الخافية حول علاقة «كريم ثابت» الخفية باليهود!

كانت المناسبة هي «محاكمة كريم ثابت» أمام محكمة الثورة، وفي جلسة ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ تم سماع شهادة «حافظ عفيفي» باشا رئيس الديوان الملكي، وكانت أسئلة رئيس المحكمة «عبد اللطيف البغدادي»، وإجابة «حافظ عفيفي» كما يلي:

س: ألم تسمع أنه أيام حرب فلسطين كان (كريم ثابت) يتوسط للإفراج عن اليهود؟!!

حافظ عفيفي: أيوه سمعت كثيراً ولكن برضه ما عنديش دليل قاطع!

س: سمعته من مصريين واللايهود؟!!

حافظ عفيفي: سمعت من يهود(!!).

س: اشرح ما سمعته؟!!

حافظ عفيفي: ما قالوش مبالغ، ولكن قالوا إنهم دفعوا.. وأرجو إعفائي من ذكر الأسماء وهو كان بيتدخل لرفع الحراسة عن شركات اليهود والإفراج عنهم.

س: الفلوس دي كانت لكريم واللا للملك السابق؟!!

حافظ عفيفي: ده سر ما أعرفوش، واللى اعتقله من أخلاق الاثنين أنهم بيتقاسموا.. بس واحد له نصيب الأسد، وواحد له نصيب القط.



ويبلغ من خطورة المكاة التي احتلها كريم ثابت في القصر أن الملك فاروق أصدر قراراً في عام ١٩٤٦ - قبل مؤتمر أنشاص - قراراً بتعيينه مستشاراً صحفياً للديوان،

واقترح «حسن باشا يوسف» إرجاء تنفيذ ذلك القرار، وغضب الملك فاروق غضباً شديداً على «حسن يوسف» وقال له حسب ما جاء فى مذكراته:

أليس لى الحق فى أن أعين مستشارين يضطلعون بمهام خاصة .. كما يفعل رئيس الولايات المتحدة؟!!

ويشير «حسن يوسف» أيضاً إلى أن على ماهر باشا عندما تم تكليفه بتشكيل الوزارة فى يناير ١٩٥٢ اتصل به إلياس أندراوس قائلاً إن الملك يسره أن يعين كريم ثابت وزيراً فى وزارته!!!

واعتذر على ماهر عن تنفيذ طلب الملك، ولكن حسين سرى باشا وافق على نفس المطلب الخاص بتعيين كريم ثابت وزيراً عند تشكيل وزارته فى ٢ يوليو ١٩٥٢.

وصباح ٢٢ يوليو ١٩٥٢ عندما كلف الملك «أحمد نجيب الهلالي» بتشكيل الوزارة كان أول شرط للهلالي للموافقة على ذلك هو إخراج «كريم ثابت» من الإذاعة وألا يدخل الوزارة!

وهكذا كان كريم ثابت «أحد مراكز القوى» المسيطرين على مجريات الأمور داخل وخارج القصر، ولم يكن أحد وقتها يدرك حقيقة الدور الذى يلعبه فى الخفاء مع اليهود وخاصة مع «إلياهو ساسون»!!

وجرت وقائع هذا الدور أثناء انعقاد مؤتمر لوزان فى سويسرا، والذى حضره ممثلون عن العرب واليهود، ومن لوزان كتب «إلياهو ساسون» إلى وزير خارجيته «شاريت» يقول:

٣١ يوليو ١٩٤٩

موسى العزيز

تحيات..

فور وصوله إلى أوروبا منذ عشرة أيام طلب سلفاتور شيكوريل (رجل أعمال يهودى مصرى) من إميل نجار (كان رئيساً لاتحاد صهيونى مصر من سنة ١٩٤٣ إلى

١٩٤٧، ثم هاجر إلى إسرائيل، وأصبح، فيما بعد سفيراً لإسرائيل لدى إيطاليا) أن يبحث عني ويصلني به في أقرب وقت ممكن. وأكد أنه يحمل لى رسالة من القاهرة.

«يوم الأربعاء الماضى، جاء إميل نجار إلى لوزان، واصطحبني إلى شيكوريل فى إيفان. لقد ذكر شيكوريل أنه غادر مصر فى طريقه إلى الولايات المتحدة لأغراض تجارية، ولكنه دعى قبل سفره ببضعة أيام إلى لقاء عاجل مع كريم ثابت مستشار الملك لشئون الإعلام، وكان (المستشار) أيام حرب فلسطين، وسيطا بين القصر والحكومة، وبين الجالية اليهودية فى مصر. ساعد على مسائل كإخلاء سبيل، وغير ذلك، وحصل على أجر سخى: مرة ٣٠ ألف جنيه مصرى، ومرة أخرى ٤٠ ألف جنيه مصرى.. إلخ.. قال المستشار لشيكوريل إن الملك سمح بسفره إلى الغرب، ويزيد الاستعانة به على نقل رسالة إلى أحد اليهود الصهيونيين ويدعى إلياس (إياهو) ساسون، الموجود اليوم على حد علمه فى باريس أو لوزان. وأضاف (المستشار) أن ساسون هذا معروف فى مصر والعالم العربى كصديق للعرب، وكباحث عن طرق لإحلال السلام بين شعبه والشعوب العربية، وأجاب شيكوريل أنه لا يعرف ساسون، وأنه لم يمارس السياسة على الإطلاق، لا المصرية ولا العربية ولا الصهيونية، ولكنه مستعد لأن ينفذ، بطيب خاطر وبأمانة، أية مهمة يكلف بها، خصوصاً إذا كانت هذه هى رغبة الملك، الذى لولا عطفه وحمايته لكان جميع يهود مصر اليوم فى عالم الفناء».

«قال المستشار (كريم ثابت) إن الرسالة قصيرة وتساعد على: أولاً: تحسين وضع يهود مصر. ثانياً: التمهيد للتفاهم بين مصر وإسرائيل. ويرغب الملك فى أن ينقل إلى ساسون قرار حكومته بأن تفعل كل ما تستطيع لتحسين وضع يهود مصر، ومنحهم من جديد الحرية التى كانوا يتمتعون بها سابقاً، والإفراج تدريجياً عن المعتقلين وعن أملاكهم. كذلك قررت حكومة مصر النظر بجد إلى الوضع الذى قام فى فلسطين. مقابل ذلك، يطلب الملك أن تتوقف الإذاعة والصحافة الاسرائيليتان عن مهاجمته ومهاجمة حكومته وشعبه، وأن تستخدم إسرائيل كل قوتها ونفوذها لوقف الحملات على مصر فى الصحافة الغربية، وخصوصاً فى الصحافة الأمريكية».

«واختتم المستشار قائلاً: هذه هي الرسالة التي يطلب منك الملك أن تنقلها إلى ساسون، وإذا لم تجده في أوروبا لسبب ما، حاول أن تجد شخصية صهيونية مسئولة أخرى تنقل بواسطتها هذه الرسالة إلى حكومة إسرائيل».

«وفي نهاية حديثه صافح (المستشار) شيكوريل، وتمنى له باسم الملك وباسمه رحلة طيبة وموفقة».

«سأل شيكوريل، بعد أن أنهى حديثه، ما إذا كان بإمكانه اعتبار مهمته منتهية، وأضاف أن «المستشار» لم يطلب منه أن يكتب له عن نتائج اجتماعاته بساسون أو بشخصية صهيونية أخرى، وهو يفضل، بعد أن يكون سلم الرسالة، أن ينفض يده من المهمة كلها».

«وفي ردى، حدثته عن الفائدة التي ستعود على يهود مصر نتيجة أى تقارب بين بلدهم وإسرائيل، وأوضحت له أنه لا يجوز إضاعة مثل هذه الفرصة، بل على العكس، ينبغي استغلالها قدر المستطاع. ومن حقه أن أذكر أنه وافق على كل كلامي، وقال إنه مستعد للقيام بأية خدمة أكلفه بها، وقال إنه عطف دائماً على مشروعاتنا، ولم يوافق أبداً على إصدار أى تصريح ضد الصهيونية. وتحدث أيضاً عن علاقاته الحسنة برجال القصر والسياسيين ورؤساء الأحزاب. وأكد أنه سيكون سعيداً بتقديم أية مساعدات».

«وبعدما تشاورنا نحن الثلاثة - شيكوريل، ونجار، وأنا - تم الاتفاق على:

١ - أن يؤخر شيكوريل سفره إلى الولايات المتحدة بضعة أيام.

٢ - أن يكون مستعداً للعودة إلى مصر لبضعة أيام إذا طلب منه ذلك.

٣ - أن يرسل برقية إلى «المستشار كريم ثابت» يطلعه فيها على اجتماعه بي، وعن تسليمي الرسالة، وعن المعاملة الإيجابية والودية التي لقيته بها، وأن يبلغه أيضاً، أن ردى يحتم رداً من جانبهم، وأن يطلب السماح له بالعودة لبضعة أيام إلى مصر من أجل ذلك، وقد تم وضع نص البرقية في الحال، وأرسلت. وإذا حصلنا على رد إيجابي، فسأزوده بكل ما هو مطلوب بناء على تعليماتك. والواقع أن هذا الأمر، يحد ذاته، هام جداً».

تحية وسلاماً

إلياس (إياهو) ساسون



كانت رسالة «ساسون» تكشف باختصار شديد عن طلب شديد الخطورة لكريم ثابت، وهو «تحسين وضع يهود مصر» والتمهيد للتفاهم بين مصر وإسرائيل، بشرط أن تتوقف الإذاعة والصحافة في إسرائيل عن مهاجمة الملك(!!).

وبعد ثلاثة أيام أرسل «ساسون» إلى «شاريت» برسالة أخرى وتفصيلات جديدة!

٣ آب (أغسطس) ١٩٤٩

موشيه العزيز

وافر التحية..

مرت ثمانية أيام منذ أرسل سلفاتور شيكوريل البرقية إلى (المستشار) ولم يصل حتى الآن أى رد، ولا يعرف شيكوريل معنى هذا الأمر، ولعل (المستشار) حذر إلى درجة لا يريد أن يورط نفسه بأشياء مكتوبة، ويحتمل أن يكون التغيير الذى حدث فى تركيب الحكومة المصرية قد أدى إلى التأخر فى الرد بعض الوقت.

ومع أن شيكوريل لا يستطيع، كرجل أعمال، أن يبقى وقتاً أطول فى أوروبا ، ويرغب فى مواصلة سفره إلى الولايات المتحدة، إلا أنه وافق على البقاء بضعة أيام أخرى، بناء على طلبى وتقديرأ للأمر، وفى تلك الأثناء أعددت له، بعد استشارة رؤوس رداً خطياً، وطلبت منه أن يرسله فوراً إلى «المستشار» بالبريد المضمون، ففعل ذلك بطيب خاطر، والرد مكتوب بالفرنسية ويتطرق إلى عدة مبادئ. وفيما يلى نصه:

«استلم الرجل الرسالة بسرور وبكل الجد الذى تستحقه، وواعد بأن يعمل كل ما فى وسعه لينفذ طلباتكم، وهو واثق من أن حكومته ستنظر إلى رسالتكم بجد عمائل، وستعتبرها دليلاً على رغبتكم الصادقة فى العمل من أجل إحلال السلام فى الشرق بأسره».

«والرجل يقرأ الصحف المصرية باستمرار، وهو يأسف أن يقول إنها تهاجم حكومته بأقصى لهجة، وتنسب إليها مؤامرات ودسائس لا أساس لها، وينطبق هذا على الإذاعة المصرية أيضاً، وهو يلفت انتباهكم إلى هذا الأمر، ويعتقد أنه يجب وقف هذه الحملات من مختلف النواحي».

«وأعرب الرجل عن ارتياحه إلى بؤادر الموقف الجديد للوفد المصرى إلى محادثات لوزان، وهو يعتقد أن لكم دوراً فى هذا الموقف ويشكركم كثيراً على ذلك، ويرجو أن توعزوا، إذا أمكن، إلى رئيس الوفد المصرى فى لوزان ليتعاون معه على إنجاح المحادثات، الأمر الذى يعود بالخير على الطرفين».

«ويعتقد الرجل أنه من المستحسن كثيراً أن ترسلوا تعليمات إلى جميع ممثليكم فى المؤسسات الدولية والعربية، لوقف تهجمهم على حكومته وبلده، فيتمكن إذ ذاك من اقناع أبناء شعبه حيثما وجدوا - خصوصاً من كان منهم فى أمريكا، ليس فقط بوقف تهجمهم على بلدكم. وإنما أيضاً الإشادة به والعمل على مساعدتكم فى جميع اتصالاتكم بالدول الغربية».

«إن الرجل مستعد للاجتماع بسرية بالغة، بأى شخص توفدونه إلى سويسرا أو فرنسا أو أى بلد محايد آخر، وذلك للبحث بصورة مجدية وودية تماماً، فى أى أمر من شأنه أن يحسن تدريجياً العلاقات بين بلده وبلدكم، ويحافظ على المصلحة المشتركة سواء فى الشرق أو الغرب، ويساعد على إحلال سلام حقيقى دائم فى الشرق الأدنى، وهو يعتقد أن مثل هذه اللقاءات مهمة ومفيدة جداً».

«لا يساورنى شك فى أن «المستشار» سيطلع الملك فاروق على الرد. ويحتمل أن يعرضه بعد ذلك على حكومته للمناقشة، وأن يوفد شخصاً مسئولاً للقائى».

ومن رسالة «ساسون» يتضح مدى ذكاء وخبث وحرص كريم ثابت فى رده المكتوب، فهو «مستعد حسب كلام ساسون للاجتماع بسرية بالغة بأى يهودى يوفده شاريت إلى سويسرا أو فرنسا أو أى بلد محايد!! للبحث فى تحسين تدريجى للعلاقات بين بلده وإسرائيل، وإحلال سلام حقيقى دائم!!»

وعند هذا الحد تتوقف المعلومات!!

لكن الإثارة لا تتوقف بل تتزايد أكثر!!



فى كل تلك الاتصالات السابقة التى أجراها وقام بها «إلياهو ساسون» كان الغائب الحاضر هو «الوكالة اليهودية» والتى كان يتابع كل أعمالها وخطواتها «ساسون» نفسه.

وفى الوقت الذى كان يختفى فيه ساسون عن مجرى الأحداث فى مصر كانت الوكالة اليهودية فى القاهرة تمارس نفس الدور!!

تسللت الوكالة اليهودية إلى كواليس ودهاليز الحياة الثقافية والفكرية والصحفية المصرية!!

استخدمت الوكالة اليهودية فى تسللها كل ما يخطر على البال من أساليب.. بدءاً من سلاح الإعلانات والمال إلى سلاح الرشوة المباشرة!!

وفى ذاكرة ومذكرات شيخ الصحفيين «حافظ محمود» سر خطير عن دور الوكالة اليهودية فى مصر قبل نشوب حرب فلسطين!

كتب «حافظ محمود» يقول :

الذى لم يكن يعلمه الكثيرون أن الوكالة اليهودية العالمية كانت لها مكاتب فرعية فى العواصم العربية الكبرى كالقاهرة وبغداد إلى ما قبل دخول الدول العربية معركة فلسطين ١٩٤٨.

كانت هذه المكاتب تحمل فى ظاهرها الطابع الصحفى، أما باطنها فكان يتسع للكثير، وكان فى مقدمة هذا الكثير تقديم المعلومات المزيفة عن طريق نساء يوهمن السياسة العرب أنهن يعملن لحسابهم، أما أخطر مهمة لهذه المكاتب فقد كانت مراقبة التحركات العربية وعرقلة ما يكون فيها من يقظة مضادة للتحركات الصهيونية التى سبقت قيام إسرائيل!

أذكر أننى كتبت فى هذه الأثناء مقالاً يوضح هذه التحركات فى جريدة (السياسة

الأسبوعية) التي كنت أتولى إذ ذاك رئاسة تحريرها، وعلى أثر ظهور هذا المقال زارني متعهد إعلانات (يهودى) وبعبارة لطيفة جداً رجاني أن أكتب مقالاً فى نفس الموضوع لكن بعبارة لا تجرح اليهود!!

قلت له: وما شأنك أنت؟!

فأجاب بنعومة: إن عدداً من عملائه يقرأون هذه الجريدة أو يفيدون منها والأسلوب الذى كتبت به المقال يعرض الجريدة للخطر!!

ويعترف حافظ محمود بأنه ضحك من كلام متعهد الإعلانات اليهودى وصرفه من مكتبه، ولكن وقبل مضى ٢٤ ساعة كانت أمامى شكوى من الإداريين فى الجريدة بأنهم عجزوا عن الحصول على الورق، ثم عجزوا عن الحصول على الحبر، فقد كانت كل هذه السلع فى أيدي اليهود!

وعالجنا هذه المشكلة، لكننا فوجئنا باختفاء قطعة صغيرة من أجزاء آلة الطبع، وبالبحث اكتشفنا أن للوكالة اليهودية دخلاً فى هذا كله!!!

وقام حافظ محمود بإبلاغ السلطات المصرية بما علم «وكان هذا التبليغ بداية فتح العيون على ما تفعله هذه الوكالة»!!

«وفجأة اختفى جواسيس الوكالة اليهودية، لكنهم دخلوا فى جيوب عملاء الاستعلامات الذين كانت تستخدمهم السفارة البريطانية فى مصر، وكادوا يقومون بدور أخطر من الأدوار السابقة، لولا أن مجلة روز اليوسف استطاعت أن تكشف هذا السر فى تحقيق صحفى من التحقيقات الصحفية التى طورت دور الصفحة العربية فى الصحف المصرية».



وجرت محاولات مماثلة أيضاً مع حزب مصر الفتاة!

كان زعيم حزب مصر الفتاة هو «أحمد حسين»!

فى ذلك الوقت من عام ١٩٣٨ كان الاضطهاد النازى لليهود -حسب رواية أحمد

حسين نفسه - على أشده، وكانت مجلة الحزب واسمها أيضاً «مصر الفتاة» تطفح بالمقالات النارية ضد الصهيونية وما يرتكبه الإنجليز لحسابهم في فلسطين.

و ذات يوم ذهب محام من أكبر المحامين في مصر لمقابلة أحمد حسين وسأله:
هل عندك مانع من مقابلة صديق يهودى لى كان يصدر مجلة للشئون المالية فى الإسكندرية.

ولم يكن هناك ما يمنع «أحمد حسين» من مقابلة ذلك اليهودى «حيث لم تكن مشكلة اليهود قد أخذت كل هذه الحدة».

وتمت المقابلة فى مكتب المحامى الكبير، وفوجئ «أحمد حسين» باليهودى يسأله:

هل أنت ضد اليهود كيهود؟!

وقال أحمد حسين له:

إننى باعتبارى مسلماً لا يمكن أن أكون كذلك! وباعتبارى سامياً فلا يمكن أن أخاصم اليهود باعتبارهم من الجنس السامى.

ولم يفت أحمد حسين أن يلفت نظر اليهودى إلى أحد مبادئ مصر الفتاة العشرة حيث كان ينص على ما يأتى:

«تظهر وصل لربك، وأم المسجد يوم الجمعة إن كنت مسلماً، ويوم الأحد إن كنت مسيحياً، ويوم السبت إن كنت يهودياً».

وعاد اليهودى يتساءل:

علام إذن هذه الحملة الشعواء على يهود فلسطين؟!

وقال «أحمد حسين» له:

إننا لا نهاجم هؤلاء اليهود الذين جاءوا إلى فلسطين مستعمرين، فإننا ليس فقط نعاديتهم، بل سنحاربهم إذا لزم الأمر!!

وهنا أسرع الرجل اليهودى قائلاً:

لا علاقة لنا بالصهيونية!!

وكان رد أحمد حسين فى الحال هو قوله:

إذن لا خلاف بيننا واليهودى المصرى هو كأى مواطن له ما لنا وعليه ما علينا!

وعاد اليهودى ليسأل أحمد حسين ببساطة قائلاً له:

هل مجلتك على استعداد أن تنشر لنا إعلانات؟!

وأجاب أحمد حسين عن سؤال اليهودى قائلاً:

إن مجلتنا ملتزمة بأنه لا تنشر أية إعلانات إلا لتاجر مصرى، أو عن بضائع

مصرية، وفى هذه الحدود نشر إعلانات اليهود المصريين!!

ورد اليهودى على كلام أحمد حسين السابق بقوله:

سأعقد عقداً بألف جنيه فى السنة!!

وحسب ما جاء فى كتاب «نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين» لأحمد حسين

قوله بالحرف الواحد:

«أعترف أننى ذهلت من ضخامة المبلغ، وخفت فى نفس الوقت، فقد كان هذا

المبلغ فوق مستوى إدراكنا، لقد كانت مجلتنا تطبع فى كل أسبوع بخمسة عشر أو

عشرين جنيهاً، وقد جعلنى الخوف من ضخامة المبلغ وأنه سيدفع مقدماً إلىّ ألا أمس

المبلغ، وطلبت من صاحبى المحامى أن يحتفظ به عنده حتى يتم تنفيذ العقد ونتبين

كيف تسير الأمور».

ثم يضيف أحمد حسين ما جرى بعد ذلك فيقول:

وفوجئت فى اليوم التالى لعقد الاتفاق بتليفون المجلة يدق بصورة متوالية، وكلها

من كبريات المتاجر اليهودية فى مصر، شيكوريل، شملا، بنزاىون، داود عدس،

وكلها تطلب منا أن نرسل مندوبنا ليأخذ إعلاناً وكأن كلمة السر قد أعطيت لهم فراحوا يتنافسون فى نشر الإعلانات!

ولما سألنا إذا كان نشر هذه الاعلانات جزءاً من العقد الذى أبرمناه قالوا أن لا علم لهم بهذا العقد، ولكنهم يريدون نشر إعلاناتهم ودفع الأجرة التى نقدرها.

وجاءنى رجل لابد أنه كان هو الصهيونى المختص بالسيطرة على الصحف المصرية وقال لى: إنه يدير مكتب صحافة، ويريد منا أن يشترك فى الجريدة بعشر نسخ، ويريد أن يبعث لنا من حين لآخر ببعض بيانات لنشرها، وذلك فى مقابل عشرة جنيهات يدفعها كل شهر.

فقلت له:

ولكنك تعرف سياسة المجلة والحزب، نحن أعداء للصهيونية وحرب عليها، ولن نغير حرفاً واحداً مما نكتبه أو نقوله!

فقال الرجل: مالنا يا سيدى وللصهيونية نحن أعداء لها كما أنتم أعداء، فنحن يهود مصريون نريد أن نعيش فى أمن وسلام كما عشنا حتى الآن!!

ويقول «أحمد حسين» معلقاً على كلام الرجل اليهودى:

أدركت على الفور الخطة التى تحاك لى، وهو أسلوب اليهود فى كل عصر وزمان وهو أن يشتروا - أعتى خصومهم بالمال، وتعمدت أن أضعاف فى الحملة على الصهيونية، وأن أحذر من خطرهما على مصر بالذات!!

وجاء «إلياس شقال» وهو اسم الرجل - ومعه نسخة من آخر أعداد مصر الفتاة وقد خط بالأحمر، تحت كل سطر له عليه ملاحظة.

ولما كنت قد تعمدت أن أتصاعد بالحملة على الصهيونية، فقد كانت المجلة كلها مخططة بالأحمر، وحاول الرجل -إلياس شقال- أن يتكلم . ولكننى سددت عليه الطريق وقلت له:

إننى لا أسمح له أن يقول أية ملحوظة، فقد اتفقنا منذ البداية أن لا علاقة لهم بالصهيونية!

واستدرك الرجل قائلاً : إنه يعرف حدوده، وليست له أية ملاحظات!

ويعلق أحمد حسين على ما حدث بعد ذلك فيقول:

وكان من العجب أن تضاعفت الإعلانات في العدد التالي، وبدأت خطتهم تتكشف لى. فهم يريدون أولاً أن يبدأ فى إدخال أموالهم التى ستدفق على المجلة فى حسابى ، فأسرع فى رفع مستوى حياتى، ورفع مستوى المجلة، بحيث أصبح معتمداً اعتماداً كلياً، وكذلك حياة المجلة.

وعند هذا الحد وبعد أن يتأكدوا منه، يشرعون فى إملاء أوامرهم وتوجيهاتهم وهذا هو أسلوبهم مع كل الصحف الكبرى، فهذه الصحف لا تعيش إلا على الإعلانات وهم ملوك الإعلان فى كل مكان!!

وتعمدت فى العدد الثالث بعدالاتفاق وبعد تدفق الإعلانات أن تكون الحملة أشد وأشد، وجاء من جديد «إلياس شقال» وهو يحمل المجلة المخططة بالأحمر.

وفى هذه المرة لم يستطع أن يجبس الكلام فقال: إننا اتفقنا على أن تكتب ما تريد، ولكننى لاحظت أننى منذ اتصلت بك تضاعفت الحملة، وأصبحت أشد عنفاً. فهلا تخشى أن هذه الحملة من الإثارة بحيث تنعكس على يهود مصر!!؟

وعلى ما يبدو فقد كان هذا هو بالضبط ما يتوقعه وينتظره أحمد حسين فقد بادر الرجل قائلاً له:

من حسن الحظ أننى اكتشفت خطتكم قبل فوات الأوان، ومن حسن الحظ أننى لم ألمس هذه الألف من الجنيهاً التى حاولتم أن ترشونى بها!

أتظن أنه من الطبيعى وبمحض الصدفة أن تنهافت المتاجر اليهودية على الإعلان فى جريدتنا، وأن تشترك أنت بعشرة جنيهاً فى الشهر!! وأن تبرموا مائة عقداً بألف جنيه لنشر إعلانات لم أر منها حتى إعلاناً واحداً، فكل الإعلانات التى نجي للمجلة يدفع أصحابها قيمتها!!

إننى أعلنك أن العقد الذى أبرمته مفسوخ، وعليكم أن تستردوا الألف جنيه من

صاحبكم المحامي، فهي لا تزال عنده، ومنذ العدد القادم لن أقبل نشر إعلان ليهودى غير مصرى أو مصرى!!

وسأعتبر منذ اليوم أى يهودى صهيونياً!!

وتظاهر الرجل -حسب ما جاء فى كلام أحمد حسين - بعد هذا الانفجار بشئ من الانكسار أو بالأحرى تظاهر به، وأسرع يعرب عن أسفه وإنسى لن أراه مرة ثانية، وسترده الإعلانات كما كانت ترد، ولأكتب ما أشاء أن أكتب!

وانصرف الرجل وهو يشعر بالندم!

وفى العدد التالى نفذت ما قلته «لإلياس شقال» فكتبت القصة السابقة على صفحات المجلة وأعلنت أننا نرفض نشر أى إعلان ليهودى حتى لو كان مصرياً فكلهم صهاينة.

ولم تنته القصة عند هذا الحد، فبعد حوالى أسبوع فوجئ أحمد حسين بزيارة الأستاذ «رفيق الحسينى» الذى كان يعمل سكرتيراً للحاج «أمين الحسينى» مفتى فلسطين وهو يحمل خطاب شكر وتحية لمصر الفتاة، وكان الخطاب مصحوباً بخمسين جنيهاً!!

وعلق أحمد حسين على هذه الواقعة بقوله:

«ولست أظن أنني فرحت فى حياتى كلها بأى مبلغ من المال فرحى بهذه الخمسين جنيهاً، وقد اعتبرتها بمثابة رسالة من الله عز وجل، فقد كانت المجلة فى حالة شديدة من العوز حتى كنا مهددين بالتوقف، خاصة بعد أن وقفت من اليهود هذا الموقف، وكان كل تجار الورق الذى نتعامل معهم من اليهود، فجاءت هذه النجدة الإلهية فى وقتها ومضينا فى سياستنا فى محاربة الصهيونية أشد عزمًا وإصراراً».



ولم يكن د. محمد حسين هيكल «باشا» والذى كان يرأس تحرير جريدة السياسة فى ذلك الوقت غائباً عن الصورة:

قال د. هيكل فى مذكراته (الجزء ٣ ص ١٣):

«جاءنا فى جريدة «السياسة» يهودى بدأ يكتب عندنا مقالات فى شئون شتى لا علاقة لها بفلسطين، ولا بالهجرة اليهودية، ثم حدثنى فى تأييد «السياسة» للحركة الصهيونية بحجة أن العرب واليهود من الجنس السامى الذى يقاومه الأوروبيون بكل قوتهم. وزاد على ذلك أن «السياسة» تفيد من هذا التأييد فائدة مادية جسيمة، فاعتذرت له عن عدم إجابة مطلبه «فالسياسة» جريدة حزبية طابعها إسلامى. وتأييدها للحركة الصهيونية لا يتفق مع مبادئنا. وعرض الرجل أن نجعل من السياسة منبراً حراً فى هذا الاتجاه، فاعتذرت مرة أخرى بأن مصر تؤازر البلاد العربية جميعاً فى المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير، وأن «السياسة» على أية حال تفقد الشئ الكثير من نفوذها إذا أيدت حركة ضد العرب فى فلسطين أو فى غير فلسطين».



وفى كل اتصالات وأنشطة الوكالة اليهودية فى القاهرة، لم يكن «إلياهو ساسون» غائباً عن تلك المحاولات!!

كان «ساسون» يظهر ويختفى فى مصر طبقاً لمقتضيات المهمة!..

وهكذا طوال سنوات ما بعد منتصف الأربعينيات، كان «ساسون» يتجول فى مصر ساعياً وطالباً وراجياً لمقابلة رموزها فى دنيا السياسة وقمتها حاملاً أحلامه ورؤاه.

وكان إسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر على رأس من قابلهم ساسون!!
وتلك حكاية أخرى!.

صدقي باشا اليهودي والنمر

ووجد «ساسون» طريقه إلى رئيس الوزراء «إسماعيل صدقي باشا»!!.

لم يتمتع «سياسى مصرى» بكراهية الناس والمثقفين والصحافة مثل «إسماعيل صدقي باشا»!! كان الكل يكرهه ويلعنه، ويسبه، ويسير فى المظاهرات التى تهتف بسقوط «صدقي باشا»!.

اكتسب «عداوة» الجميع لا حبه!! واكتسب «احترامهم» لاثقتهم!!.

كانت آراؤه السياسية صدمات لا تنتهى، وقنابل موقوتة، ورصاصاً يتطاير!!.

أطلق عليه أعداؤه لقب «عدو الشعب»، أما أنصاره فكانوا يسمونه «رب الكفاءات»! الأصدقاء أسموه «نمر السياسة»!! والخصوم أسموه «ذئب النساء»!!.

كان أحد نجوم ثورة ١٩١٩ الذين نفوا مع «سعد زغلول»، لكنه سرعان ما يصبح أبرز معارضى سعد زغلول!!.

كان يكره الأحزاب والحياة الحزبية، لكنه ألف «حزب الشعب»!.

كان رئيس «حزب الشعب»، وكان يؤمن بأن الشعب طفل سيكبر مع الوقت، ويشترط أن يجد من يضربه على أصابعه كلما أراد أن يضع هذه الأصابع فى النار!!.

وكان المصرى الوحيد الذى اعترض على دخول مصر حرب فلسطين ١٩٤٨، ولم يكن ذلك الاعتراض سرياً بل عبر حديث صحفى مشير أجراه معه «مصطفى أمين»، ونشر فى «أخبار اليوم» صبيحة بدء الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وقامت القيامة وسط الرأى العام!!.

تماماً مثلما حدث قبل ١٨ عاماً عندما ألغى «صدقي» باشا دستور ١٩٢٣، وأصدر دستوراً جديداً بمرسوم ملكى هو دستور ١٩٣٠ (!!).

وما أكثر المتناقضات والألغاز فى سيرة «إسماعيل صدقي باشا»!!.

كان الكاتب الصحفى الكبير «محمد زكى عبدالقادر» أحد الذين اقتربوا بشدة من صدقي باشا عندما كلفه برئاسة تحرير جريدة «الشعب» لفترة طويلة.

كتب «زكى عبدالقادر» يصف صدقى باشا على هذا النحو:

«صدقى باشا مكير، حويط، ذكى، بارع الذكاء، تحس وأنت معه بشعاع قوى من الخوف والرهبة والحب والكراهية والحيرة، لاتعرف هل هذا الرجل إنسان كريم عطوف شفيق يتفجر قلبه رحمة، أم أنه إنسان قاسٍ عنيف، كان فى عينيه مايشبه السر والطلسم، ولكنك لم تكن تستطيع إلا أن تسمع له وتبهر به».

وكان صدقى باشا قد أصيب فى هذه الأثناء - ١٩٣٣ - بشلل فى ذراعه اليسرى مما اقتضى تخفيف الأعباء عنه، ومما أشاع الفرح والسرور فى قلوب خصومه، وتمنوا أن يضعفه المرض، وهو الذى لم تضعفه الحوادث ولا المعارضة الشاملة الكاملة، روى لى «دسوقى باشا أباطة» أنه دخل عليه وهو رئيس للوزارة، ووزير الداخلية وجنوده وضباطه يشتبكون فى بولاق مع عمال العنابر والورش الأميرية فى معركة سالت فيها الدماء، وقتل العشرات، فإذا به هادىء الأعصاب يقرأ فى شعر «لامارتين» ويتحدث إليه عنه، لم يسأله عن معركة العنابر، ولم يرو له شيئاً من أخبارها.. وكان يتلقاها فى هذا الوقت أولاً فأول.



ويكشف «مصطفى أمين» عن جانب مثير فى حياة «صدقى باشا» فيقول (فى مذكراته من عشرة لعشرين) ما يلى:

- كانت أعصاب صدقى قوية جبارة، يتلقى كل يوم طعنات الشعب ولا يترنح، ويسمع لعنات الجماهير فلا يخاف، يرد على الهجوم بالهجوم، وعلى الاتهام بالاتهام، فإذا هاجمه «النحاس» فى الصباح رد عليه فى نفس اليوم، وإذا انتقدته جريدة بمقال رد عليها بثلاثة مقالات!

وحدث فى أحد الأيام أن دعا «صدقى» باشا مندوبى الصحف المسائية فى مجلس الوزراء لمقابلاته فى مكتبه بديوان الرئاسة، وقال لهم صدقى باشا: عندى حديث هام يهمنى أن ينشر فى الصحف التى ستصدر بعد ظهر اليوم.

ونظر الصحفيون إلى ساعاتهم وقالوا له مستحيل يادولة الباشا. الساعة الآن الثانية إلا عشر دقائق، ومطابع الصحف المسائية تدور الساعة الثانية وعشر دقائق على أكثر تقدير!!.

قال صدقي: لابد من نشر الحديث اليوم!.

قال الصحفيون: إن الصحف لابد أن تلحق قطار الإسكندرية الذي يغادر القاهرة الساعة الثالثة والنصف، وإذا فاتها هذا الموعد، فلن تباع الصحف في الإسكندرية أو الوجه البحري، وطبعاً يهم دولتك أن ينشر حديثك في البلد كله؟!.

وسألهم صدقي: هل إذا تأخر قطار الإسكندرية يحل تأخير الإشكال الفني؟!.

قال الصحفيون: طبعاً!!.

وبهدوء أمسك صدقي سماعة التليفون، وطلب «توفيق دوس باشا» وزير المواصلات وقال له:

أرجوك يا أخى تتكلم مع محطة مصر، وتأمرهم بتأخير قيام الإكسبريس الذى يسافر الساعة الثالثة والنصف لحين وصول أعداد الصحف المسائية إلى المحطة مهما تأخرت، لأنه يهمنى أن تسافر الصحف المسائية بهذا القطار!!.

وأملى صدقي باشا بعد ذلك حديثه على الصحفيين!!.

ولم يتحرك القطار بالفعل إلا فى حوالى الساعة الرابعة، وبعد وصول صحف المساء حاملة حديث رئيس الوزراء صدقي باشا.

كان «مصطفى أمين» يعرف «إسماعيل صدقي» باشا معرفة عائلية، ومنذ زمن بعيد فقد كان يراه يتردد كثيراً على بيت الأمة للاجتماع بالزعيم، «سعد زغلول» ويضيف مصطفى أمين: كما أنى كنت أتردد على داره فكان موضع احترامى، لأنه رجل عبقرى، وكنت أحاربه بوصفه خصماً من خصوم الوفد الألداء، وكنت أنا وفدياً متطرفاً، وكان صدقي يعلم ذلك فبدأ عبنى ويناقشنى والابتسامه لاتفارق شفثيه. ثم يضيف مصطفى أمين قائلاً:

وفى يوم الأربعاء ١٣ فبراير ١٩٤٦ استدعانى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى فى داره بالدقى، وكان موعد المقابلة الساعة الثالثة صباحاً وقال لى:

- أنت مكلف بمهمة خطيرة وهى أن تذهب فى الصباح إلى صدقى باشا، وتبلغه أن جلالة الملك سيدعو «شريف صبرى» يوم الخميس إلى تأليف الوزارة، وأنه سيعتذر عن تأليفها فيدعو جلالتة صدقى باشا فى يوم الجمعة إلى تأليفها فعليه أن يكون مستعداً.

وطلب حسنين باشا من «مصطفى أمين» أن يبقى فى منزله فلا يغادره إلا إلى بيت «صدقى باشا»، واتصل مصطفى بصدقى باشا يخبره أنه يريد فوراً لأمر هام!!.

وذهب مصطفى أمين إلى صدقى باشا فى مكتبه باتحاد الصناعات بعمارة الإيموبيليا، وكان يجلس على مكتب صغير، وبدا متهدماً فانياً، متعباً مريضاً، وكان يمسك بقلمه ويادر قائلاً:

أنا أعرف لماذا حضرت، جئت تطلب منى حديثاً فى الموقف الحاضر!.

قال مصطفى: لا، بل جئت لأبلغك أن جلالة الملك سيدعوك إلى تأليف الوزارة غداً!!.

وروى مصطفى أمين لصدقى باشا رسالة حسنين باشا كاملة ولاحظ مصطفى بعدها أن الرجل العجوز يعود فجأة شاباً، فقد اختفت التجاعيد والخطوط السوداء من حول عينيه، وتحول وجهه إلى نور عجيب، كأن عصا سحرية حولت الخريف إلى ربيع، والضعف إلى قوة، والموت إلى حياة!!.

وابتسم صدقى باشا وقال لمصطفى أمين:

هذه مفاجأة لم أكن أنتظرها، وإننى سعيد!! لأننى لا أدعى لتأليف الوزارة إلا فى الظروف الخطيرة. إن هذه الدعوة تذكرنى بدعوة الملك فؤاد لى فى سنة ١٩٣٠ لتأليف الوزارة!!.

وفى نصف ساعة قام «صدقى» باشا بتأليف الوزارة، وأعطاه مصطفى أمين، الذى قال له وهو يودعه:

- لاشك أن مهمتك ستكون شاقة في صيانة الأمن العام!.

وابتسم صدقي باشا وقال: الأمن العام ما أسهل صيانته: إن المهمة الشاقة هي في تحقيق الأهداف الوطنية!!.



لكن أخطر ما يكشف عنه «مصطفى أمين» هو الزواج السري لصدقي باشا من فتاة في العشرين! وتفاصيل هذا الزواج يرويها مصطفى أمين على هذا النحو المثير:

مرة واحدة فقد فيها هذا الرجل القوى أعصابه، فلقد حدث إننى علمت بحكم المصادفة أن صدقي باشا تزوج سراً من فتاة في العشرين هي الآنسة «سونيا» كريمة «خليل شاهين» بك. ذلك أن مراسلنا في القدس - الذي أثق به - أرسل إليّ خبر وصول حرم «صدقي» باشا إلى فلسطين ونشرت النبأ، وبحثت فعلمت أن السيدة الموجودة في فلسطين هي حرم صدقي باشا الأخرى، وقد تزوجها سراً، وأنه لم يشأ إعلان هذا الزواج حرصاً على عواطف زوجته الأولى التي كان يحترمها احتراماً عظيماً! ولم أرد أن أخبر أولاد صدقي باشا بما علمت، واعتذرت لهم أسفاً عن جهل مراسلنا في القدس (!!).

وعندما تولى صدقي باشا الوزارة سنة ١٩٤٦ تنبه أصدقاؤه إلى خطورة وجود زوجته الثانية في مصر! وأنه ممكن أن يستغل خصومه هذا الزواج لمهاجمته، واقتنع صدقي باشا وطلب إلى زوجته الجديدة أن تسافر إلى أوروبا، وبقيت في الخارج أكثر المدة التي ظل فيها رئيساً للوزراء، ثم توفيت زوجته الأولى!.

وعلمت أن صدقي قرر أن يعلن زواجه بزوجه الجديدة، وأن يدعوها للإقامة معه في بيته بالزيتون، وكان «صدقي» مريضاً.. وعلمت باعتزامه هذا فذهبت إليه وقلت له إننى أبيع لنفسى أن أتدخل في شئونه الخاصة، وأقول له إن أصدقاءه لا يوافقون على أن يعلن مثل هذا الزواج، ولم يمض على وفاة زوجته الأولى سوى أيام.

وقال صدقي لمصطفى أمين بهدوء في أول الأمر:

- أفهم أن نعترض إذا كنت قد تزوجت هذه السيدة اليوم أو بعد وفاة زوجتي، ولكنني تزوجتها قبل الآن بأعوام، وقد ضحت بأن قبلت أن تعيش في الخفاء كل هذه السنوات احتراماً لزوجتي الأولى، ولكن الآن من واجبي أن أمنحها الحق الذي سلبته منها، حقها الذي يعطيه لها الدين والقانون.

وقال مصطفى أمين لصدقي باشا:

- إنني أفهم جيداً هذا، ولكن الرأي العام لا يفهم مطلقاً أن رجلاً في «السبعين» يتزوج فتاة في العشرين !! تذكر إنك أحد الذين اعترضوا على زواج «توفيق نسيم» باشا رئيس الوزراء الأسبق من «ماري هوبنر» وأنت أحد الذين طالبوا بالحجر عليه !! وتذكر أنك اعترضت على زواج زعيم آخر بسيدة تصغره سناً، وأنت قلت لى إن من حق مجلس إدارة حزبه أن يجتمع ويرفض الموافقة على هذا الزواج (!!).

وتضايق «صدقي» باشا وقال: وهل تريد أن تضعني مع هؤلاء؟!.

قال مصطفى: أنت الذي وضعت نفسك في هذا الصف!!.

قال بالفرنسية غاضباً: كلا.. لا.. هذا قياس مع الفارق:

رد مصطفى: لا فارق هناك، بل إنني بصراحة أبرر تصرف هؤلاء أكثر مما أبرر تصرفك!! فإن عقلك أكبر من عقولهم، ولهذا فإن خطأك سيكون أكبر من أخطائهم!

وتحرك صدقي من كرسيه وكأنه يريد إنهاء المقابلة، لكن مصطفى أمين، حسبما يقول- بقي جالساً في مقعده وقال له:

- مازلت أرى أن من واجبك المضي في التضحية، فإذا كنت قد أبقيت زواجك سرّاً حرصاً على عواطف زوجتك الأولى التي تحبك، فإن واجبك أن تحرص أيضاً على عواطف أولادك، بل عواطف الذين يحبونك!!.

قال صدقي وهو يلف البطانية التي يغطي بها جسمه:

- إنني لم أتمنع بحياتي ! أليس من حقى أن أتمنع بها (!!؟).

قال مصطفى : لا أظن أن سياسياً تمتع بحياته كما تمتعت !.

فضحك صدقي وقال: أنتظن ذلك؟ أنك تبالغ كثيراً!

ويروي مصطفى أمين، أنه انتهز فرصة تحسن الجو المضطرب وقال لصدقي باشا:

- إن لدى حلاً وسطاً وهو أن تؤجل إعلان هذا الزواج وانتقال الزوجة الجديدة إلى بيتك ستين من اليوم!!.

- وقاطعه صدقي باشا وقال:

- ياسلام: ستين!! كم بقي من حياتي حتى أؤجل هذا القرار مدة عامين!! هذا كثير!!.

قال مصطفى مداعباً:

إنك ستعيش كثيراً، وإنك رجل تعودت أن تأخذ الأمور بتؤدة عجيبة، وأظن أن الستين تكفيان لأن تقلب الأمور في هدوء، وأنا آسف أن تضعني الظروف السيئة موضع الناصح لك، وقد كنت دائماً أحب أن أجلس جلسة التلميذ، ولكني الآن أشعر بأنك التلميذ!.

فضحك صدقي باشا وقال:

- هذه تحية لشبابي الجديد أقبلها مع السرور! إن الشباب يابني هو العيب الوحيد الذي يتمناه الجميع!!.

وعاد «مصطفى أمين» ليقول: إنني أعود فأكرر رأيي هذا، وأتوسل إليك أن تقبل. إن إعلان هذا الزواج سيقضي على مستقبلك السياسي!
قال : أنا ليس لي مستقبل .. إن لي ماضياً فقط!.

رد مصطفى: ولكن الشعب لن يقابل هذا الزواج برضا!!.

قال: إنني لا أفهم شعبك هذا!! هل يسكت الشعب على رجل إذا كانت بينه وبين سيدة علاقة غير شريفة، ويغضب إذا تزوج الرجل!! أيهما أفضل : أن يحب سياسي عجوز فتاة صغيرة أم يتزوجها!!.

ورد مصطفى أمين: لاهنه.. ولاتلك!!..

وقال صدقي باشا: إننى على أى حال عودت هذا الشعب أن أواجهه بالحقيقة المرة، وقد يجىء يوم يفهم فيه وجهة نظرى، إننى رجل مريض، وفى حاجة إلى هذه الفتاة لتعنى بصحتى فى شيخوختى!!..

ويقول مصطفى أمين إنه فى تلك اللحظة رأى دموعاً فى عيني صدقي باشا وعجب لهذا الرجل الجبار كيف يبكى، وسكت وانصرف من عنده!!..

وشاء القدر - ومازال الكلام لمصطفى أمين - أن تجئ العروسة الجديدة إلى بيت صدقي، وأن تمرض هى بدلا منه، وأن يكون صدقي باشا هو الذى يعنى بها ويشرف على علاجها، ويمضى وقته فى مقابلة الأطباء الذين حاروا فى مرضها وفى دوائها. وتحول صدقي السعيد فى أيامه الأخيرة إلى صدقي التعس، ومع ذلك بقى إلى آخر يوم رأيته فيه مصمماً على أنه كان محقاً فى القرار الذى اتخذته، وأنه لم يخطئ فى تصرفه، وأن حياته الشخصية ملك له، وليس من حق الشعب أن يعترض على زواج سياسى من أية امرأة ولكن حق الشعب يجىء إذا رأى هذه المرأة تتدخل فى شئون الدولة، أو تستغل نفوذها، أو تحول زوجها من طريق إلى طريق!!..



ورغم خطورة السر الذى كشفه مصطفى أمين. عن سر الزوجة الشابة التى تزوجها «صدقي باشا»، فقد كان هناك ما هو أخطر وأكثر إثارة فى حياة إسماعيل صدقي !

تفاصيل ذلك السر الذى لم يشأ .. مصطفى أمين كشفه أزاح عنه الستار الزعيم «مصطفى النحاس» فى مذكراته التى أملاها على سكرتيره الخاص «محمد كامل البنا»، ونشرت مؤخراً.

كتب «مصطفى النحاس» بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٣٢ (وكان صدقي باشا وقتها رئيساً للوزراء) يقول ما يلى:

« أخذت الأوساط التجارية والمالية تتحدث عن فضيحة مالية كبيرة، فقد نقل عن «يوسف أصلان قطاوى» (اليهودى) وزير الزراعة فى وزارة صدقى أنه أقام مأدبة فى داره بالإسكندرية، وجاء ذكر كورنيش الإسكندرية الذى انتهى منه المقاول الإيطالى «دانتمارو» وأن أحد الحاضرين قال: إن المقاول قدم لصدقى باشا مبلغاً ضخماً من المال هدية بمناسبة الفراغ من الكورنيش زاد على ربع مليون جنيه، وإن النقاش كان حاداً فى تلك الحفلة، وقال أحد رجال الأعمال الكبار (فرغلى بك) إن الهدايا لا تكون بهذا المقدار الباهظ، وأن المسألة أكثر من هدايا، وهى بصراحة رشوة سافرة، وأن هذا هو السر فى أن صدقى باشا رفض عطاء «عبدالرازق نصير»، وهو من أكبر المقاولين وفضل عليه صديقه الإيطالى.

ولما علمت تفاصيل هذا الحادث المؤسف لم أزد على أن قلت ليس هناك غريب فى هذا العهد الممتلئ بالغش والتزوير والرشوة، وليس بجديد على صدقى ما يقال الآن فإن تاريخه القديم والحديث مملوء بالمآسى والمخازى والحوادث المالية والأخلاقية وإن التاريخ يعيد نفسه، فإن «سعد» فصل «صدقى» من عضوية الوفد المصرى لفضيحة أخلاقية ارتكبها فى باريس، وكلفت «سعد» مبلغاً من المال الذى أعد للجهد، اضطر سعد (زغلول) أن يدفعه حتى يتحاشى فضيحة لو نشرت على الملأ لأصاب الوفد الناشئ للدفاع عن قضية مصر بعد الحرب العالمية الأولى فى الصميم (!!).

وإذا عدنا إلى التاريخ البعيد إلى قبل الحرب العالمية، وفى عهد الخديوية إبان حكم الخديو «عباس الثانى» لرأينا أن «صدقى فصل من الوزارة لجريمة أخلاقية تسميت فى حادث انتحار لسيدة من بنات مصر لانزال قصتها تزكم الأنوف وتؤذى الأسماع إلى الآن.

انتهى ما كتبه «مصطفى النحاس» وكان تعليق سكرتيره الخاص «محمد كامل البنا» على تلك الوقائع كما يلى وبالحرف الواحد:

يوسف أصلان قطاوى أحد اليهود المصريين والأغنياء البارزين اختاره صدقى وزيراً للزراعة فى وزارته، وكان كثيراً ما يقيم الحفلات فى داره بالإسكندرية والقاهرة، وكانت الأوساط العلمية تتحدث عن علاقة بين زوجته اليهودية الحسنة وصدقى باشا وأنه لهذا كان موضع سر رئيس الوزراء(!!)

أما الواقعة الثانية فمؤداها أن "صدقى باشا" كان ناظراً للأوقاف قبل الحرب العالمية الأولى، وسرت شائعة أن له علاقة بسيدة متزوجة هى بنت "يحيى إبراهيم" باشا المستشار بمحكمة استئناف مصر، وأن تلك السيدة لما ضبطت معه متلبسة أقدمت على الانتحار، وأن "الخديو عباس" قرر فصل صدقى من الوزارة لهذا السبب.



وبالقطع لم يكن ذلك كله أو بعضه خافياً على "الملك فاروق" حين أصدر الأمر الملكى رقم ١٠ لسنة ١٩٤٦ لإسماعيل صدقى باشا بتأليف الوزارة قائلاً: "فقد حملناكم أمانة الحكم، ثقة منا بما نعهد فيهكم من ولاء وإخلاص". كانت المهمة الأساسية أمام "صدقى باشا" هى إنجاح المفاوضات مع الإنجليز وتحقيق الجلاء!!

ومضت المفاوضات المصرية تسير حيناً، وتتعثر أحياناً حتى شهر سبتمبر ١٩٤٦. وهنا بالضبط تبدأ حكاية "صدقى باشا" واليهودي "إياهو ساسون" ..

كانت مفاوضات "صدقى - بيفن" تستهدف تعديل بنود معاهدة ١٩٣٦، أو أن تستبدل بها معاهدة جديدة تتمشى مع مطالب مصر القومية الخاصة بالجلاء ووحدة وادى النيل!

وعلى هامش المفاوضات الصعبة بدأت أغرب مهمة سياسية فى القاهرة بطلها الأول "إياهو ساسون"!! وكان بطلها الثانى "صدقى باشا".

وحسب دراسة تاريخية جادة للدكتور "أحمد عبد الرحيم مصطفى" قال فيها:

فى تلك الأثناء سعت الدوائر الصهيونية إلى استغلال الموقف للاصطياد فى الماء العكر، فأوفدت الوكالة اليهودية إلى مصر "إياهو ساسون" رئيس القسم الشرقى بها على أمل أن يعرض على "صدقي" [رئيس الوزراء] مساعدة الدوائر الصهيونية لمصر فيما يتعلق بالجلاء فى مقابل أن يسعى "صدقي" إلى إقناع الجامعة العربية بقبول تقسيم فلسطين، وهو التقسيم الذى كان صدقي ذاته من أنصاره، فقد أبدى استعداداه لمساندة بريطانيا بصدد فلسطين فى مقابل أن تقدم له تنازلات فى مفاوضات المعاهدة.

ورغم أن "صدقي" كان موقناً من رفض عرب فلسطين للتقسيم، فإنه كان يرى أن عدم التوصل إلى حل من شأنه أن يجعل من فلسطين بؤرة لانتشار الشيوعية، وهو ما يمكن تلافيه فى حالة إقرار السلام.

على أن "صدقي" لم يكن يتمتع فى الدوائر العربية بالنفوذ الذى يؤهله لإقناع الدول العربية بالموافقة على التقسيم فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا لا تعرض عليه من التنازلات ما يجعله يساند موقفها من المشكلة الفلسطينية.

ويتضح من الوثائق أن "ساسون" قد التقى «بإسماعيل صدقي» وبعض المسؤولين المصريين، وحاول إقناعهم بأفضلية التقسيم على الحلول الأخرى، فقد ذهب إلى أنه فى حالة قبول الجامعة العربية لأى الحلول، ويفضل التقسيم يتعهد اليهود بأن يقدموا للعرب ما يشاءون من الضمانات التى تقنعهم بأنهم ليسوا توسعيين(!!)

كما وعد (ساسون) صدقي بأن تسعى الدوائر اليهودية إلى أن تلقى بثقلها داخل حزب العمال وخارجه لصالح مصر، ملوحن لبريطانيا بقاعدة فى فلسطين من شأنها أن تعوضها عن أية تنازلات تقدمها بصدد المعاهدة المرجوة مع مصر.

وفى الوقت الذى كان فيه ساسون يتقدم بعروضه للمسؤولين المصريين نجده يتقدم بعروض مماثلة إلى مسؤولين عرب آخرين. إلا أن مساعيه أخفقت نتيجة للتضخم القومى العام فى البلدان العربية، فى حين أن وزير الخارجية البريطانى "أرنست بيفن" رفض أن يجعل كلا من المسألتين المصرية والفلسطينية مجالاً للمساومة، وتمسك بموقفه المبدئى الذى أدى إلى فشل مفاوضات صدقي بيفن.

وحرص السفير الإنجليزي "رونالد كامبل" على إحاطة وزارة الخارجية البريطانية بتفاصيل ما كان يجري!

وكان على رأس اهتمامات السفير البريطاني معرفة حقيقة ما جرى بين رئيس الوزراء "إسماعيل صدقي" باشا و"إياهو ساسون" رئيس القسم الشرقي!! وعن طريق "مصدر بوليسى مصري" كان السفير على علم كامل بما جرى، وبتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٤٦ خرجت من السفارة البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية بلندن مذكرة مؤثر عليها بعبارة سرى جداً جرت سطورها على النحو التالي:

صرح لى مصدر بوليسى على اتصال بالوكالة اليهودية بأن اليهود أوضحوا له أنهم يعتقدون أن المشكلتين المصرية والفلسطينية شديدتا الارتباط، وبالتالي فإذا ما كان المصريون جادين فى محاولة إخراجنا من مصر فعليهم أن يسعوا إلى أن يسود السلام فلسطين مما يتيح لنا الانتقال إليها.

وقد التقى المصدر البوليسى بصدقى وطلب منه الادلاء بوجهات نظره، ويدرك "صدقى" الصلة بين المسألتين الفلسطينية والمصرية، ولو أنه غير مستعد لاتخاذ أية خطوة قبل التأكد من اتجاهنا ومدى اعترافنا بالارتباط بين المسألتين، وبمعنى آخر فإنه لا يرغب فى التدخل فى شئون فلسطين إلا إذا حصل على مقابل فيما يتعلق بالمعاهدة. ولعل أخطر وأهم ما فى المذكرة السرية هو إشارتها الواضحة إلى مجيء "وسيط" بين المصدر البوليسى (الذى تتعامل معه السفارة) وبين الوكالة اليهودية، وأن هذا الوسيط يحمل مكتوباً بدون توقيع، ويحظى بمساندة "شرتوك" [يقصد شاريت وزير الخارجية].

وتمضى سطور مذكرة السفارة البريطانية فتقول:

وسيصِل المصدر وممثل الوكالة اليهودية إلى الإسكندرية غداً، وهناك سيتصلان من جديد "بصدقى" كما سيتصل بى المصدر. وقد أقابل ممثل اليهود الذى أعرفه بالفعل. والمصدر (البوليسى المصري) حريص على ألا يعلم "صدقى" أنه قد تم إبلاغنا فعلاً، وذلك باستثناء إمكاناتنا الحصول على الخبر من اليهود.

وتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٦ مكتابة عليها تأشيرة من السفير البريطاني في القاهرة
"سير رونالد كامبل" جاء فيها ما يلي:

"حاول" شرتوك" (شاريت) باستمرار أن يفرى دوائر مصرية بالعمل بالشكل الذى
يعود بالفائدة على الصهيونية، وإننى - أى السفير - أشك فى كون هذه المقترحات قد
صيغت نهائياً بالشكل الذى سبقت الإشارة إليه، ولهذا فعلى انتظار وصول مزيد من
المعلومات!

ويضيف السفير: «يصعب اعتقاد أن العرب سيكونون على استعداد لبذل مثل
هذه التضحية من أجل مساعدة المصريين.»



ثم نأتى إلى الرسالة رقم ٩٧٥ المؤرخة فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٦ والمرسلة
من "رونالد كامبل" إلى وزارة الخارجية بلندن.

قدم المصدر البوليسى المصرى المتصل بالوكالة اليهودية التقرير التالى إلى
البريجادير "كلايتون".

أفهمه اليهود أن المشكلتين المصرية والفلسطينية مرتبطتان تماماً، وأن المصريين إذا ما
سعوا حقيقة إلى إخراجنا من مصر فعليهم التأكد من إحلال السلام فى فلسطين لكى
تستقل إليها.

وقد أشار المصدر البوليسى إلى أنه قابل "صدقي" باشا، وطلب منه الإدلاء
بوجهات نظره، وطبقاً لما ذكره المصدر البوليسى كان "صدقي" يدرك الارتباط بين
المسألتين المصرية والفلسطينية، وإن لم يبد استعداداً لاتخاذ أية خطوات قبل التعرف
على اتجاهنا، والتأكد من إقرارنا الارتباط بين المسألتين. وبمعنى آخر فإنه لم يبد رغبته
فى التدخل فى شئون فلسطين قبل الحصول على مقابل خلال مفاوضات المعاهدة
الإنجليزية المصرية.

وتفيد نفس رسالة السفير الإنجليزى أن المصدر البوليسى المصرى قدم "لصدقي"

في ١٣ أغسطس مذكرة يقال إنها صدرت عن مندوب الوكالة اليهودية في القدس، وكانت ملاحظة "صدقي" باشا عليها، "أن المذكرة تتضمن قبول اليهود للتقسيم، ولكن ربما مع تحفظات تتعلق بتوفير حل نهائي".

كما تتضمن نفس المذكرة عرضاً محدداً للمصريين بمساعدتهم في قضيتهم إذا ما ساندوا القضية اليهودية في الدوائر العربية.

وفي ١٩ أغسطس صرح المصدر البوليسي للبريجادير "كلايتون" بأنه قابل صدقي باشا مرة أخرى، وبأن "صدقي" قد تناقش مع وزير الخارجية المصرية «أحمد لطفى السيد» باشا، ومع "كامل عبد الرحيم" بك وكيل وزارة الخارجية حول احتمال مباشرة الضغط في الجامعة العربية بصدد فلسطين في مقابل أن تقدم تنازلاً بصدد مصر (!!)

وقرب نهاية الرسالة نفسها كتب السفير الإنجليزي يقول:

"وعلى أية حال فيبدو أن الوكالة اليهودية كانت تسعى إلى حملنا على الاعتقاد بأنها على اتصال مباشر بالشخصيات المصرية في الوقت الذي كانت فيه الاتصالات في الواقع غير مباشرة وعن طريق وسيط مصري."

وتتوالى المفاجآت المثيرة في وثائق أرشيف الخارجية البريطانية!

والمؤكد أن بطل ونجم هذه الوثائق هو "ضابط البوليس المصري" الذي كان على صلة بالوكالة اليهودية فيما يتعلق بمسائل الأمن المتصلة باليهود المقيمين في مصر.

وفي برقية رقم ١٣٩٩ مؤرخة في ٢٩ أغسطس ١٩٤٦ من سفير بريطانيا في مصر "كامبل" إلى لندن وعليها تأشيرة تقول "سرى جداً وهام" جاء فيها ما يلي بالنص:

"صرح المصدر البوليسي بأنه قابل "صدقي" (رئيس الوزراء) مرتين، ورغم إدراك صدقي للعلاقة بين المسألتين المصرية والفلسطينية فإنه لا يود التدخل في شئون فلسطين إلا إذا أمكنه الحصول على مقابل بصدد مفاوضات المعاهدة الإنجليزية المصرية، وعلى حين أن "صدقي" أراد أن يتبين ما إذا كانت هذه المساومة تهمنا فإنه لا يرغب في اتخاذ المبادرة."

وفي نفس البرقية أيضاً حرص السفير الإنجليزي على أن يخطر حكومته بأن

"ضابط البوليس المصرى تحدث مع "عزام" (أمين الجامعة العربية) الذى صرح له بعدم إمكان التوصل إلى حل إلا إذا تمت إزاحة المتطرفين من كلا الجانبين وعزام"على استعداد للمطالبة بوفاق بين الدول العربية الأخرى بصدد الوطن القومي، وإن لم يبد استعداداً لقبول قيام دولة يهودية. على أن وضعه صعب إزاء الدول العربية الأخرى بحكم أنه لا يمكنه أن يضغط فى سبيل حل لمصلحة مصر وحدها. ولكن إذا ما اتخذ مندوب عربى آخر الخطوة العملية فسيبذل (أى عزام) أقصى ما فى وسعه من مساعلة."



ووصل "إياهو ساسون" إلى مصر!!
وليس معروفاً على وجه الدقة كيف كان شكل اللقاء بين ساسون وبين "صدقي باشا"!!!

أين تم اللقاء.. غير معروف!! كم استغرق من الوقت؟ لا إجابة محددة.
المثير واللافت للنظر بقوة أن ما جرى ودار فى لقاء "ساسون وصدقي" وجد طريقه إلى لندن بعد ٤٨ ساعة فقط، وأيضاً عن طريق المصدر البوليسى المصرى.
إن المفاجأة التى نكتشفها عبر قراءة مسودة البرقية رقم ١٤٠٨ المؤرخة فى ٣١ أغسطس ١٩٤٦، ومؤشر عليها "سرى جداً" هى حضور أطراف أخرى وأسماء لامعة وبارزة نفس اجتماع صدقي وساسون، ومن هذه الأسماء أحمد لطفى السيد، وحافظ باشا عفيفي، وعزام باشا.

وحسب ما جاء فى دراسة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، فقد مضت سطور البرقية السابقة المرسلة إلى لندن على هذا النحو بغير زيادة أو نقصان.

"قابل المصدر البوليسى وساسون" صدقي فى ٢٦ أغسطس، وقد أشار "ساسون" إلى أربعة مشروعات للتسوية المحتملة :

١ - الاتحاد الفيدرالى.

٢ - وحدة فيدرالية تضم دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، مع قيام حكومة مركزية في القدس.

٣ - دولة ذات قوميتين على أساس تساوى السكان.

٤ - التقسيم.

وقد أشار ساسون إلى أن اليهود يفضلون التقسيم. على اعتبار أنه يوفر احتمالاً أكبر للتوصل إلى حل نهائي، وذلك على أساس أن أياً من الحلول الأخرى لا بد أن يؤدي إلى تجدد المتاعب في المستقبل القريب.

وقد استفسر "صدقي" عما إذا كان "ساسون" قد اتصل بعرب فلسطين؟! وكان رد "ساسون" هو أن اليهود قد حاولوا ذلك دون أن يتوصلوا إلى أية نتيجة، بحكم أن الزعماء الفلسطينيين يتمسكون بأفكار عنيفة ولأن مراكزهم تستلزم تصلبهم(!!)

على أن "ساسون" ذهب إلى أن اليهود سيقدمون أي ضمان يطالب به العرب لمواجهة التوسع اليهودي، وذلك في حالة قبول الجامعة العربية لأي الحلول التي سبقت الإشارة إليها(!!)

واستطرد "صدقي" مصرحاً بأنه كان يعتقد طيلة السنوات العشر الماضية بأن التقسيم هو الحل الوحيد، وإن لم يكن قد تساءل عما يمكن أن يقوم به اليهود لمساعدة مصر(!!!).

فرد "ساسون" بأن اليهود سيحشدون كل من هم على صلة بهم داخل حزب العمال وخارجه، وبأنهم سيتصلون بالحكومة البريطانية، ويلفتون نظرها إلى أهمية وجود قاعدة في فلسطين تعويضاً عن أية تنازلات تتقدم بها بصدد المعاهدة الإنجليزية المصرية، وبأن اليهود على استعداد لتقديم أية تسهيلات لحكومة صاحبة الجلالة في فلسطين(!!!) وذلك على اعتبار أن الوجود المستمر للقوات البريطانية في فلسطين أمر لازم لها.

وفى النهاية صرح «صدقي» بأنه لن يتخذ أية خطوة إلا إذا اتصلت به حكومة صاحبة الجلالة، ثم طلب - أى صدقي باشا - من المصدر البوليسى وساسون أن يقابل «لطفى السيد» وأكد على ضرورة بقاء هذه المحادثات فى حيز السرية التامة.

واستجاب "إياهو ساسون" لاقتراح "إسماعيل صدقي" باشا وذهب للقاء "أحمد لطفى السيد" الذى كان يشغل وقتها منصب "وزير دولة ويتولى وزارة الخارجية"، وقابل "ساسون" أيضا "حافظ عفيفي" باشا.

وحسب ما جاء فى نفس البرقية السابقة فقد جرت مقابلة ساسون ولطفى السيد وحافظ عفيفي كما يلي:

ولم يبد "لطفى" صراحة آراء شبيهة بما أبداه صدقي، وأشار إلى صعوبة التوفيق بين هذه الآراء ومقررات بلودان (التي نتجت عن اجتماع الدورة الطارئة للجامعة العربية بشأن فلسطين فى ٨ يونيو ١٩٤٦ بسوريا).

وصرح "عزام" الذى حضر المقابلة مع "لطفى" بأنه لا يعترض على نوع ما من الوطن القومي" وأعاد إلى الأذهان الرأى الذى طُرح على شرتوك (شاريت) عام ١٩٣٩ بصدد إقامة مدينة فاتيكان لليهود فى فلسطين تساعد اليهود على مواصلة الهجرة إلى دولة فلسطينية بشرط ألا يشكلوا أغلبية.

وأبدى حافظ (عفيفي) الذى أتى بعد بدء المحادثة استعداداه للموافقة على استمرار الهجرة اليهودية إلى دولة فلسطينية.

وأدلى عزام بتصريح خاص بعد المقابلة فحواه أنه فى حالة استطاعة حكومة صاحبة الجلالة حل المشكلة الليبية على أساس الاستقلال والوصاية المصرية، وحسم المسألة المصرية وفق شروط تقبل بها مصر فإنه سيوافق حتى على التقسيم!!



وكان "إياهو ساسون" حريصاً على إبلاغ قاداته فى إسرائيل بتفاصيل ما دار بينه وبين إسماعيل صدقي باشا فى القاهرة.

وفى رسالة طويلة ومثيرة أرسل بها "إياهو ساسون" من الإسكندرية إلى "موشى شرتوك" روى فيها كل ما دار وجرى.

كانت الرسالة مؤرخة في ١٦ سبتمبر ١٩٤٦، وبدأها "ساسون" كما يلي:

في مكتب إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء، أجريت معه مقابلة قد استمرت خمساً وأربعين دقيقة، وكان حديثنا ودياً ومريحاً للغاية، حتى أنه خيل لي بأنني جالس في مكتبي بالوزارة مع أحد أصدقائي نتجاذب أطراف الحديث معاً.

وقد بادرني رئيس الوزراء المصري بتوجيه شكر على المساعدة الكبيرة التي قدمتها له سواء في إنجلترا أو الولايات المتحدة، وكان مقتنعاً بأننا نفى بوعدنا.

وعندما حاولت أن أشرح له بأن طريق كل منا غير منفصلين في لندن، وأن الخلاف الوقتي مع بريطانيا لن يقحم في مساعيها لصالح القضية المشتركة قاطعني بقوله:

- لا تكن متواضعا لهذه الدرجة، وإننا إذا نظرنا إلى المذكرات الدبلوماسية والأنباء التي توافرت لديّ خلال الأسبوعين الماضيين لوجدنا أنكم فعلتم الكثير، وكان هناك مقابل لأعمالكم، فلقد قرر الإنجليز تجديد المحادثات وإيانا مع الاستجابة لعدد من مطالبنا.

عندئذ انتقل (صدقي) في حديثه معي، فعرض اختلاف وجهات النظر بينهم وبين الإنجليز في مسألة الجلاء البريطاني عن مصر والدفاع المشترك والسودان، هذا وقد أكد مراراً في حديثه معي على أن هذه الأمور سرية، لكنه رغب في اطلاعي عليها حتى أتمكن من عرضها جيداً في لندن.

وإسماعيل صدقي يأمل أن أقدم القضية المصرية في زيارتي لـلندن، وفي أحاديثي مع رجال مكتب "بورين" وأمام الصحافة في العاصمة البريطانية بالصورة التي يرغبها وترغبها حكومته، مثلما سأفعل بالنسبة لقضية اليهود.

ثم سألته عن التغيير في تأليف حكومته، وهل سيكون هذا التغيير سبباً في منعه من الوفاء بالتزامه نحونا، فأجاب بالسلب ثم أضاف قائلاً:

- في الواقع أنا أحدد السياسة الخارجية لبلدي. (!!)

وسألته عن موقف رجاله في لندن، وهل في استطاعتهم إبلاغ "بورين" وزملائه أنه

أى رئيس وزراء مصر يقصد الرأى فيما يتعلق بحل مسألة أرض إسرائيل على أساس التقسيم أجاب بقوله:

- لا يجب أن يفسر الأمر على أنه إضرار بالعالم العربى، أو يفسر على أنه محاولة للحصول على تنازلات لصالح مصر على حساب مصالح عرب أرض إسرائيل، وكان من رأيه إبلاغ "بورين" بأنهم لم يقوموا بتهيئة العالم العربى من أجل إنجاح مؤتمر لندن، وكان أيضا يرى أنه على بريطانيا أن تقوم أولا بإجراء محادثات منفردة مع كل دولة عربية على حدة، ثم بعد ذلك تقوم بعقد مؤتمر لندن.

ومن الواضح - والكلام على لسان ساسون - أنهم لا يدركون أنه لا يوجد مندوب واحد فى أية بعثة عربية يغامر أو يجرؤ على أن يوافق على أقل مما يطلبه عرب أرض إسرائيل. وعليه أيضاً إبلاغهم بأن هذا التقدير للموقف هو تقدير دولته ودول العالم العربى كله.

وبرطانيا تعلم أن العلاقات بين الدول العربية ليست على ما يرام على الرغم من إقامة الجامعة العربية، فالمستشارون السياسيون البريطانيون فى الشرق العربى هموا فى العمر، وفى وجهات نظرهم أيضاً. فلديهم أفكار عتيقة عن كل شيء، ومنهم من يسير على خط سياسى تقليدى، ولا يرغبون فى الترحيح عنه، كما قال (أى صدقي باشا) أنه من الواضح إنهم لا يدركون الخطر الشيوعى المتربص بالعالم العربى.

وفى مجرى الحديث، أشار "إسماعيل صدقي" باشا بعصبية إلى الضيف الموقر الذى وجد ملجأ فى بلده بعد فراره من باريس (مفتى القدس الحاج أمين الحسيني) وقد وصفه بأنه شخص يسعى إلى مصالحه الشخصية فقط، ولا يكثر بدماء العالم العربى كله فى سبيل تحقيق ما يريده، لذا فقد اقترح على أن نقوم بالعمل معاً على كشف مخططات مفتى القدس ودعواه فى مصر والدول العربية الأخرى.

كما كان محدثى من المؤيدين بحماس لضم الضيف الموقر (أمين الحسيني) للبعثة المدعوة إلى لندن، ويأمل بهذا اصطياذ عصفورين بحجر واحد، وهو أن يبدو أمام الآخرين بأنه صديق لمفتى القدس وفى نفس الوقت التخلص منه.

وقد استجبنا لطلبه بالعمل على الحصول على معلومات وأخبار عن نشاطه "العنيف" ورجاله في مصر وإسرائيل والدول المجاورة الأخرى.

ومضى "إياهو ساسون" بقوله في رسالته إلى "موشى شارتوك" ما يلي:

وفي سياق استعراض "إسماعيل صدقي" لزيارتي إلى لندن، طلبت منه أن يصلني برسوله في المحادثات أو بمندوبه في العاصمة البريطانية، ولكنه قال:

- إن ما أطلبه غير مرغوب فيه من جانبه، لأن رجاله لن يتفهموا الهدف من التعاون بيننا وسيفسرون هدفه ووجهات نظره تفسيراً مشوهاً.

وقد أعرب (صدقي) عن أسفه الشديد لأن مندوبه الرئيسي في العاصمة البريطانية، وهو موضع ثقته التامة يتواجد حالياً في القاهرة، ومنشغل تماماً في المحادثات المصرية البريطانية، لكن إذا أمكنني زيارة سفير مصر في باريس أستطيع أن أتبادل معه وجهات النظر وأطراف الحديث، فقد سمع عني وعلى علم بالتعاون القائم بيننا(!!).

وقد قال رئيس الوزراء المصري، إنه من الواضح أن المحادثات في لندن لم تتقدم، فكلا الطرفين سواء الجانب العربي أو البريطاني، لأن كلا منهما متمسك بموقفه . بالإضافة إلى اقتناع الجانب العربي بأنه متفق تماماً مع بريطانيا بعرض "المشروع الفيدرالي" على اليهود والعرب، وأن كل المحادثات ما هي إلا خداع وتلاعب فقط.

وختم "ساسون" رسالته إلى "شارتوك" بوصف ختام مباحثاته مع "صدقي باشا" بقوله "وفي الختام كان الوداع.. وداعاً حاراً".



وبعيداً عن الوثائق البريطانية ومحتوياتها عن تلك اللقاءات التي تمت بين "صدقي" باشا و"ساسون"، نصل إلى شهادة أخرى أكثر أهمية وإثارة!

صاحب الشهادة هو "شهادة الغصين" قنصل لبنان العام في القدس عام ١٩٤٧.

اتخذت شهادة "شهادة الغصين" شكل رسالة طويلة أرسل بها إلى "فؤاد عمون" أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية.

كتب "شهادة الغصين" رسالته لوزارة الخارجية اللبنانية لكي يحيطها علماً بأنه "أتانى إلى دار القنصلية بعد موعد صباح الخميس الواقع فى ٦ / ٣ / ١٩٤٧ الخواجا إلياس ساسون السكرتير الشرقى للشعبة السياسية فى الوكالة اليهودية، ومساعدته الدكتور «لاتس» بصفتها ممثلين للوكالة، وطلب منى أولهما أن أتصل بمعاليكم لتسمحوا له ولمساعدته بالسفر إلى بيروت ولو يوماً واحداً ليعرضاً على دولة رئيس مجلس الوزراء، وعلى معاليكم، مشروع اتفاق على مبدأ يمهّد لحل جديد للقضية الفلسطينية، وقال الخواجا "ساسون" وقد تولى الحديث دون رفيقه أنه عرض هذا المشروع على بعض من المصريين المسئولين عن السياسة العربية!

ويضيف "شهادة الغصين": وقد لمست من محدثى رغبة فى ألا يسوح بشيء، لا عن أساس الموضوع ولا عن تفاصيله، وفى أنه يشاء أن يبسطه مباشرة على دولة رئيس الوزراء وعلى معاليكم، لأن الكتمان من جهة والنقاش من جهة أخرى قد يأتیان بنتيجة طيبة.

ولما رأيت - أى شهادة الغصين - أن لا مانع ظاهر يقضى برد الطلب، وأن القضية الفلسطينية تحتاج فى مرحلتها الخطيرة الحاضرة إلى كثير من المرونة السياسية، وعدت محدثى بالاتصال بمعاليكم، وبالجواب فى الوقت المناسب، فانصرف هو وزميله.

وفى نفس اليوم قام "شهادة الغصين" بالاتصال بالمدير العام لوزارة الخارجية وشرح له الموضوع، ووعدته المدير بالجواب بعد حين.

وفى مساء يوم الجمعة ٧ / ٣ / ١٩٤٧ اتصل المدير وقال لشهادة "إنه من الأوفق أن يعرض مندوب الوكالة "ساسون" مشروعه الجديد عليه، ثم يقوم بنقل تفاصيل المشروع إليه.

وهكذا اتصل القنصل العام اللبناني فى القدس "شهادة الغصين" بالخواجا "ساسون" تليفونيا صباح السبت ٨ مارس ١٩٤٧، وطلب منه أن يقابله فى دار القنصلية، وبعد وقت قصير حضر ساسون ومساعدته ثم بدأ الحوار!!

هذا الحوار بكل ما فيه من أسرار ومفاجآت كان بطله الأول "إسماعيل صدقى باشا"!!

قال "ساسون" لشهادة الغصين" ما يلي:

فى شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٦ حينما كنت مسافراً إلى لندن، اجتمعت فى مصر برئيس الوزارة دولة "صدقي" باشا، وبحثت معه فى قضية فلسطين، فأجابنى أنه شخصياً لا يرى غير التقسيم حلاً لها وهو يؤيده، لكنه لا يريد أن يعرضه على الدول العربية إلا إذا كلفه الإنجليز بذلك.

فقلت (أى ساسون) له: إن اليهود يرضون بالحل الذى تراه، ولو أن فيه تنازلاً عن أمانى كثير منهم، لأنهم راغبون فى وضع حد لنزاع طال أمده، والتقسيم لا يخيب فى الواقع آمال العرب. فهو يعطيهم دولة ولا شك على جزء كاف من فلسطين تعترف لهم الدول الكبرى فيها بالاستقلال وتقبلهم فى هيئة الأمم المتحدة، ومن ثم يقضى على فكرة سوريا الكبرى التى تقض مضاجع بعض الدول العربية.

واليهود من جانبهم مستعدون لأن يعترفوا باستقلال الدولة العربية الجديدة اعترافاً لا رجعة فيه، ولأن يوافقوا بين مرامى صناعاتهم - إذا كان العرب يخشونها - وصناعات الشرق العربى حتى لا تقع المنافسات والمزاحمت بينهما، وأن يقوموا بكل مساعدة ممكنة لتدعيم الصناعة العربية فى مختلف الأنحاء القائمة فيها.

ومضى "ساسون" يقول للتفصيل العام اللبناني، والذى قام بكتابة ذلك كله فى رسالته:

"وكنت فى هذه الأثناء على اتصال دائم بمعالى وزير الخارجية" أحمد لطفي السيد" باشا، وكان من رأي "صدقي" باشا، و"كلایتون" ولم يبد رأياً محدداً، أبسط لهما سير اتصالى بصدقي باشا وتفصيل مباحثاتى معه!!

ثم سافرت (ساسون) إلى لندن وعرضت حديثى مع "صدقي" باشا ووزير خارجيته على المتنفذين من اليهود، فاتصلوا بالمستر "بيفن" وطلبوا منه أن يكلف دولة رئيس وزراء مصر بمقابلة الدول العربية فى مشروع التقسيم. فأجاب المستر "بيفن" أنه لا يرى من مصلحة بريطانيا أن يكلف الآن "صدقي" باشا بشي من هذا القبيل والمفاوضات الدائرة الآن حول تعديل المعاهدة المصرية تصطدم بعقبات وعصايب

شتى، حتى لا يتمسك "صدقي" باشا بذلك ويساوم فى قضيته على حساب قضية فلسطين.

وكان من رأى "صدقي" باشا، إذا لم يرض الإنجليز بتفويضه لغرض فى أنفسهم، أن يضغط الأمريكان على الإنجليز ويحملوهم على الرجوع عن رأيهم، فاتصل اليهود بالمستر "بيرنز"، الذى طلب من المستر بيفن أن يكلف دولة "صدقي" باشا بمفاوضة الدولة العربية فى مشروع التقسيم، فأجاب المستر بيفن أنه سأل صدقي باشا عند زيارته الأخيرة للندن عن هذا الموضوع، فأنكر صدقي باشا حديثا من هذا النوع بينه وبين اليهود.

واستمر الخواجا "ساسون" فى حديثه فقال (لشهادة الغصين):

عندما رجعت من لندن قابلت "صدقي" باشا وأخبرته الرواية التى رواها المستر "بيفن" عن إنكاره - أى صدقي باشا - مسألة التفويض من الحكومة البريطانية، فأجابنى أن الرواية تملخص فى أنى عندما ذهبت إلى لندن للمفاوضة فى تعديل المعاهدة المصرية سألتنى المستر مرة أمام جمع كبير عن رأيى فى تقسيم فلسطين، فقلت له إتنا قادمون إلى لندن اليوم لبحث قضية مصر لا قضية فلسطين!!

ثم قال صدقي باشا إذا كان الأمريكان يشكون فى الرواية التى نقلها اليهود للمستر "بيرنز" فما على الأمريكان إلا أن يكلفوا سفيرهم فى مصر بسؤالى!!

وقد حدث بعد ذلك أن كلفت الحكومة الأمريكية سفيرها فى القاهرة بسؤال صدقي باشا فاتصل به، ولكن بعد استقالته وبعد إيلاله من مرضه - وقد كان ذلك منذ شهر تقريبا - فقال صدقي باشا إن رأيه الشخصى فى حل القضية الفلسطينية هو تقسيم فلسطين، وعلى ذوى النية الحسنة أن يعملوا على الجمع بين العرب واليهود، ويحاولوا أن يصلوا ما انقطع بينهم حتى يكون لأى حل قيمة.

واستقال إسماعيل صدقي باشا من رئاسة الوزراء!!

كان للاستقالة دواعيها ومسبباتها، وليس هنا مجال الخوض فيها!!

ولم يكن "إياهو ساسون" غائبا عن ردود الفعل التي أحدثتها استقالة وزارة "إسماعيل صدقي" باشا بكل تداعياتها وملابساتها.

في ذلك الوقت كان "ساسون" موجوداً في لندن، ومن هناك بعث إلى القدس بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ - أي بعد أسبوعين فقط - من رسالته الأولى برسالة أخرى كانت في مجملها رأيه ورؤيته لدلالة استقالة صدقي باشا.

"إن «إسماعيل صدقي» رئيس وزراء مصر والذي حددت معه ونظمت ما تم الاتفاق عليه بيننا قدم استقالته في أعقاب فشل محادثاته مع بريطانيا، وكل محادثاته وعوده أصبحت بالنسبة لنا ماضياً سيسطره التاريخ فقط، ولم يعد لها أية قيمة فعلية الآن.

ويفسر البعض في إسرائيل أن فشله مع بريطانيا جاء نتيجة أن إنجلترا قد تسرب إليها أن له علاقة مع الإسرائيليين من خلال علاقاته التجارية مع رجال الأعمال اليهود في مصر، مما أثار عليه غضب الإنجليز حيث قرروا أن موقفه من تأييد مشروع التقسيم كان بسبب هذه العلاقات، وكذلك الاتصالات السرية. مما أفسلوا محادثاتهم معه، وبالتالي اضطراره إلى الاستقالة."



ومن الطبيعي أن استقالة "صدقي باشا" في هذا التوقيت بالذات، كان مما ضايق وأزعج "ساسون"، فقد كان أول ما ترتب على ذلك هو توقف الاتصالات بين الرجلين!!



وبعد حوالي عامين.. في ١٥ مايو ١٩٤٨ - بدأت حرب فلسطين!!

كان «إسماعيل صدقي باشا» معارضا تماماً لدخول مصر هذه الحرب، ولم يهتم "صدقي" باشا بالرأي العام الذي كان سعيداً ومبتهجاً وراضياً أيضاً!

وفى الجلسة السرية التى عقدها مجلس الشيوخ فى مايو ١٩٤٨ لمناقشة الموقف فى فلسطين، ويروي 'محمد حسين هيكل' باشا ما جرى فى تلك الجلسة فيقول:

"وكان «إسماعيل صدقى باشا عضو المجلس معارضاً فى دخول الجيش المصرى أرض فلسطين، وكانت حجته أنه يعلم وقد كان رئيس وزارة إلى أواخر سنة ١٩٤٦ - أن الجيش المصرى تنقصه أسلحة كثيرة، وينقصه العتاد اللازم والكثير من الأسلحة إذا خاض الحرب، وكان يخشى فضلاً عن ذلك أن تعتبر الأمم المتحدة دخول الجيوش العربية فلسطين تحدياً لقرار التقسيم فتفرض على الأمم العربية ومنها مصر عقوبات لا طاقة لها بها، أو تمد اليهود بالأسلحة والعتاد، وتمنعها عن مصر والأمم العربية فتدور الدائرة عليها، وأن مصر لا مصلحة لها على أية حال فى خوض معركة لا شأن لها بها ولا ناقة لها فيها ولا جمل..".

حملت آراء 'صدقى باشا' الكثيرين على التفكير فى الموقف، لكن الردود عليه أضعفت من تردد المترددين، فقد أكد رئيس الوزارة مرة أخرى أن لدى الجيش المصرى السلاح والعتاد لخوض الحرب شهوراً عدة، وأيد اللواء 'أحمد عطية باشا' تصريح رئيس الوزراء، وكان عطية (باشا) إلى أشهر مضت وزيراً للحربية معه، كما كان وزيراً للحربية مع 'صدقى باشا، كذلك تكلم فؤاد سراج الدين' باشا باسم المعارضة الوفدية فأيد الوزارة، ورد على 'صدقى باشا' رداً عنيفاً وحيد دخول القوات المصرية فلسطين.

وكان من أثر ذلك أن انسحب صدقى باشا من الجلسة.

وفى نفس يوم دخول القوات المصرية إلى فلسطين، نشرت جريدة 'أخبار اليوم'

حديثاً مشيراً أجراه 'مصطفى أمين' مع صدقى باشا، ونشر بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨.

فى هذا الحديث قال، 'صدقى باشا':

"كان فى الإمكان ألا تصل المسألة إلى هذا الحد، وسبيل التفاهم كان مفتوحاً بل ولا يزال فى مقدرونا أن نوافق على الهدنة، وقد قلت لدولة النقراشى باشا (رئيس الوزراء) وكررت له الرجاء بقولى يا باشا قبل أن تطلب مناشن الغارة، وقبل أن تترج

بنا فى الحرب سافر إلى دمشق واسع للهدنة، وبذلك تكسب ثلاثة أشهر ومن يدري ماذا يتم خلالها.

وقال إسماعيل صدقي.. أيضا فى نفس الحوار، وكان معه كل الحق فيما قال:

"ومن عجب أن المسألة يدور فيها البحث منذ عام ونصف العام ومع ذلك لا نستدعى ولا يؤخذ رأينا إلا قبل دخول جيوشنا فلسطين بأربع وعشرين ساعة.. فقيم كان الإغفال والإهمال طوال الوقت الماضي، وفيه كانت العجلة والحماسة فى الساعات الأخيرة.

أنا متشائم، ولا أجد غضاضة فى إعلان ذلك، وأخشى ما أخشاه أن يفقد هذه الحماسة تشاؤم.

هل أعددنا للأمر الخطير عدته؟! وهل قدرنا جميع العواقب؟! وهل استعددنا لأسوأ الفروض، وهل دار بخلد أولئك المتحمسين احتمال إغارة قاذفات القنابل اليهودية على بلادنا؟

ألم يكن فى الإمكان والمسألة المطروحة للبحث منذ وقت طويل وليست طارئة ولا مفاجئة أن نستعد ونتأهب إذا كان لابد من خوض غمار الحرب؟! "

ومضى إسماعيل صدقي باشا يقول بنفس الصراحة والقسوة غير عابىء بمشاعر الرأى العام فى مصر وخارجها أيضا فيقول:

"أنا أعلم أن هذا الكلام قد لا يعجب كثيرين، ولكنى آليت على نفسى أن أقول ما أعتقد، وكم كان عجبى عندما جلست مع حوالى ١٥ من شيوخنا فلم أر بينهم واحداً يحبذ الحرب فلما انعقدت الجلسة كانوا سباقين للموافقة وفى ترديد كلمة "نعم.. نعم" مع أنهم كانوا قبل ذلك بنصف ساعة يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ويعارضون فكرة الحرب"

وكم كان عجبى حينما تحدثت مع أحد الوزراء الأجلاء وعرضت فى كلامى

للاقتصاديات فكان رده: اقتصاديات إيه يا باشا.. أنا راضٍ أمشى عريان في سبيل
التخلص من الصهيونيين!! وهكذا تناقش المسائل الكبرى!! ومن؟ من المسئولين
الذين بيدهم مصائر الأمور.

انتهى حديث "صدقي باشا" ولكن!

كان رأى الناس في ذلك الوقت، والأعصاب ملتهبة، والحماسة تأخذ الجميع أن
صدقي باشا "الخائن" قد عاد إلى آلاعيه القديمة، وأن اليهود "قد" اشتروه!!



وكان الملك "فاروق" على رأس الغاضبين من "إسماعيل صدقي" لموقفه المعارض
من حرب فلسطين. حتى لقد أمر الملك فاروق حين مات "صدقي باشا" بألا يحتفل
رسمياً بتشييعه، وألا يشترك في هذا التشييع أحد من رجال القصر!!



والآن جاء دور. محمد حسين هيكل "باشا"

هيكل باشا ساسون ومشروع صلح

وكان إلياهو ساسون .. على موعد مع د. محمد حسين هيكل باشا !! .
ذهب ساسون لمقابلة «هيكل» باشا في بيته وفي مجلس الشيوخ !! .
جرت هذه اللقاءات قبل وبعد حرب فلسطين ١٩٤٨ ! .
قبل حرب فلسطين جرت اللقاءات على أرض مصر ! .
وبعد حرب فلسطين تمت اللقاءات خارج مصر، وبالتحديد في باريس !!
ولم يكن «ساسون» في لقاءاته وزياراته «لهيكل» باشا يلح عليه ويشغل باله وعقله
سوى أمر واحد فقط حاول باستماتة أن يقنع به هيكل باشا !
كان ملخص هذا الأمر ومؤدى مضمونه بأنه من الخير تفاهم مصر مع اليهود !
باختصار شديد كان «ساسون» يحلم بأن يتحقق الصلح بين مصر وإسرائيل !!
وما جرى بين «ساسون» و«هيكل» باشا قصة طويلة مثيرة لم ينشرها «هيكل» باشا في
وقتها !! لكنه نشرها في مذكراته والتي صدرت بعد سنوات طويلة من رحيله عن
الدنيا !! .

في هذه المذكرات روى هيكل باشا ماجرى بينه وبين «ساسون» بعد حرب
١٩٤٨، لكنه لم يذكر كلمة واحدة عن تفاصيل ومضمون لقاءاته مع ساسون قبل
عامين من وقوع الحرب، والتي كانت تتم في بيته أو في مجلس الشيوخ !! .
وقبل الدخول في تفاصيل لقاءات «هيكل» باشا و«ساسون» نتوقف قليلا أمام قصة
لقاء آخر له دلالة وأهميته، كان طرفه «أبا إيبان» ألمع وزراء خارجية إسرائيل لسنوات
طويلة !!

على صفحات مجلة «روز اليوسف» نقرأ تفاصيل وملابس اللقاء بين «هيكل»
باشا «وأبا إيبان» !! .

وصباح السابع من فبراير عام ١٩٥٥ صدرت روز اليوسف بخبر مثير للغاية !! .
كان عنوان الخبر يقول: إسرائيل تملك نسخة خطية من كتاب «حياة محمد» ثم

عنوان ثان تقول كلماته : الدكتور هيكل يلجأ إلى هيئة الأمم للمطالبة بالكتاب !!.

لم تكن عناوين الخبر وحدها هي المثيرة، بل كانت تفاصيل الخبر نفسه أكثر إثارة.

على صفحتها الرابعة كان الخبر يقول:

يقوم «المستر أبا إيبان» السفير الإسرائيلي في واشنطن بترجمة كتاب «حياة محمد» الذي ألفه الدكتور محمد حسين هيكل ، والجديد في هذا النبأ أن المستر «أبا إيبان» يترجم الكتاب من النسخة الخطية الأصلية التي كتبها الدكتور هيكل بخط يده، أما كيف وجدت هذه النسخة في يد «أبا إيبان» فإن لها قصة ترجع إلى عام ١٩٤٦ أى قبل حرب فلسطين.

ثم مضت روز اليوسف في سرد هذه القصة المثيرة قائلة:

فقد زار مصر في هذه السنة المستر إيبان، وكان يقوم بتدريس اللغات الشرقية في جامعة إنجليزية، وأثناء زيارته لمصر قابل الدكتور محمد حسين هيكل ليستأذنه في ترجمة كتابه عن محمد إلى اللغة الإنجليزية، فوافق الدكتور هيكل على هذا العرض ووقع عقداً.. ولم يكتف الدكتور هيكل بذلك، بل أعطاه النسخة الخطية الأصلية من الكتاب حتى يقرأها «أبا إيبان» ويترجمها من الأصل. حدث هذا والدكتور هيكل لا يعلم عن المستر إيبان إلا أنه أستاذ في جامعة إنجليزية يقوم بتدريس اللغات الشرقية.

وقد حاول الدكتور هيكل كثيراً بعد ذلك استرجاع النسخة الخطية من الكتاب ولكنه لم يستطع، ففكر في أن يعرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة، وعرض هذه الفكرة على الدكتور فوزى [وزير الخارجية] حتى تتولاها الحكومة المصرية باعتبارها مشكلة دولية تدخل ضمن الحالة القائمة بين مصر وإسرائيل (!!).

ثم تختتم روز اليوسف الخبر بقولها: «ويقوم مساعد أبا إيبان» في الوقت نفسه بترجمة الترجمة الإنجليزية التي وضعها إيبان إلى اللغة العبرية حتى يدرس الكتاب في جامعة تل أبيب.

انتهى مانشرته «روز اليوسف» عام ١٩٥٥ !.

ولكن بعد ٣٩ سنة عاد شيخ الصحفيين «حافظ محمود» ليروي في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٩٤ وتحت عنوان «ذكريات يهودية» تفاصيل جديدة في حكاية «هيكل باشا» و«أبا إيبان» وكتب يقول:

حينما بدأت العمل الصحفي في جريدة «السياسة الأسبوعية» فوجئت ذات صباح برجل أجنبي يقدم نفسه قائلاً:

أنا الدكتور «أبا إيبان» المحاضر بجامعة كمبردج، وأرغب في مقابلة الدكتور محمد حسين هيكل؟!..

وقبل أن تتبادل الأسئلة والأجوبة دخل غرفة مكتبي الدكتور هيكل فقدمت إليه الزائر «الإنجليزي»، ولكن الزائر نفسه صحح لى هذه المعلومة قائلاً:

أنا أعمل فى بريطانيا لكننى يهودى ولست إنجليزياً، (وكانت إسرائيل لم تظهر بعد).

جلست أستمع إلى الحديث بين الرجلين - وعلى فكرة أبا إيبان يجيد اللغة العربية - وقد جاء يطلب من الدكتور هيكل نسخة خطية من كتابه «حياة محمد» لترجمها إلى الإنجليزية... إلخ.

ويضيف «حافظ محمود» ما جرى بعد ذلك فيقول:

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت فى الوجود دولة إسرائيل، واختارت «أبا إيبان» وزيراً لخارجيتها.

وكان العرب قد شكوا إسرائيل إلى مجلس الأمن، وكان رئيس وفد مصر أمام هذا المجلس هو الدكتور هيكل، بينما كان ممثل إسرائيل هو «أبا إيبان» وشكا «هيكل» باشا، أبا إيبان إلى رئيس مجلس الأمن، لأنه لم يرد إليه كتابه، فكان رد رئيس المجلس:

يا بختك لأن كتابك سينشر بالإنجليزية في جميع أنحاء العالم!!!.

انتهى مارواه «حافظ محمود» بكل الدلالات التي تحملها القصة:

والآن إلى حكاية هيكل باشا مع «ساسون» نفسه!!!.



في عام ١٩٧٨ صدر الجزء الثالث من مذكرات هيكل باشا - وكان الجزء الأول قد صدر عام ١٩٥١، وصدر الجزء الثاني عام ١٩٥٣.

في الجزء الثاني لاحتل حرب فلسطين سوى صفحات قليلة، لكنه يشير في صفحة ٢٨٥ إلى ملحوظة تقول «سيدى القارئ فى الجزء الثالث من هذه المذكرات تفصيلاً وافياً لمشكلة فلسطين منذ بدايتها إلى أن عقدت الهدنة الدائمة».

وبعد ٢٥ سنة بالضبط صدر الجزء الثالث من مذكرات هيكل باشا!!!.

فى ذلك العام كان قد مر عام على مبادرة الرئيس السادات التاريخية وسفره إلى إسرائيل.

كانت الدنيا كلها قد تغيرت، غابت أسماء ولمعت أسماء : غاب هيكل نفسه بطل القصة ورحل عن الدنيا.

وخرج من صفحات هذا الجزء من المذكرات لغم أصاب الجميع بالدهشة والذهول والحيرة والبلبله أيضاً!!!.

كانت «القنبلة اللغم» هى قصة أول مفاوضات بين مصر وإسرائيل بهدف عقد سلام دائم بين مصر وإسرائيل!

كان هيكل باشا فى ذلك الوقت واحداً من ألمع رجال السياسة المصرية، فقد كان يرأس حزب الأحرار الدستوريين، وأيضاً كان رئيساً لمجلس الشيوخ.. وكانت كل مصر والعرب يعرفونه كاتباً سياسياً ومفكراً بارزاً يتداولون ويقرأون فى اهتمام كتبه

الهامة، ومنها الفاروق «عمر» و«الصاديق أبو بكر» و«حياة محمد» و«ثورة الأدب» و«تراجم» و«زينب» أول رواية مصرية.

وجرت وقائع القصة المثيرة فى خريف عام ١٩٤٨، وبالتحديد فى شهر سبتمبر. كان هيكل باشا قد سافر على رأس وفد برلمانى مصرى إلى العاصمة الإيطالية «روما» فى الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٤٨. لحضور جلسات المؤتمر البرلمانى الدولى، وأثناء إقامة هيكل باشا فى فندق «اكسلسيور» تحدث إليه تليفونياً شخص لا يعرفه، وذكر له أنه يريد مقابله من قبل السيد «إلياهو ساسون»!!.

ثم يروى هيكل باشا وقائع ماجرى على النحو التالى:

وساسون موظف كبير فى وزارة خارجية إسرائيل. قابلنى بالقاهرة غير مرة فى رئاسة مجلس الشيوخ وفى منزلى (!!) وكان ذلك قبل قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وبعده، وحاول إقناعى بأن من الخير تفاهم (مصر مع اليهود) وساق لى من الحجج مثل ماكان يسوقه ذلك الشخص الذى تحدثت عنه فى أول هذا الفصل .

(كان هيكل باشا قد ذكر فى ص ١٣): "جاءنا فى جريدة «السياسة» يهودى بدأ يكتب عندنا مقالات فى شئون شتى لاعلاقة لها بفلسطين ولا بالهجرة اليهودية، ثم حدثنى فى تأييد «السياسة» للحركة الصهيونية بحجة أن العرب واليهود من الجنس السامى الذى يقاومه الأوروبيون بكل قوتهم. وزاد على ذلك أن «السياسة» تفيد من هذا التأييد فائدة مادية جسيمة فاعتذرت له عن عدم إجابة مطلبه. «فالسياسة» جريدة حزبية طابعها إسلامى. وتأييدها للحركة الصهيونية لايتفق مع مبادئنا. وعرض الرجل أن نجعل من «السياسة» منبراً حراً فى هذا الاتجاه، فاعتذرت مرة أخرى بأن مصر تؤازر البلاد العربية جميعاً فى المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير، وأن «السياسة» على أية حال تفقد الشئ الكثير من نفوذها إذا أيدت حركة ضد العرب فى فلسطين أو فى غير فلسطين».

ثم يضيف هيكل باشا فى روايته ما يلى:

«ولما كان الموقف قد تغير بعد قرار الأمم المتحدة، وبعد قيام الحرب بين اليهود

والعرب، حددت موعداً لهذا الشخص على أن أقف منه على اتجاه اليهود في هذا الظرف الجديد، فلما جاء إلى الفندق سألتني عما إذا كنت أطيل مقامي بإيطاليا بعد المؤتمر البرلماني، لأن المسيو ساسون يريد أن يقابلني في الأيام الأولى من أكتوبر (١٩٤٨) فذكرت له أنني مسافر إلى شمال إيطاليا أحضر المؤتمر التجارى ومؤتمر السياحة..».

المهم أن هيكل باشا يعترف في مذكراته أنه حاول أن يعرف من هذا الشخص على ما يريده مسيو ساسون من مقابلته، فلم يقل له الرجل شيئاً ذا بال، وما يلبث أن يسافر هيكل باشا إلى إيطاليا ثم إلى جنيف، وهناك قابله مسيو ساسون، وترك سطور هيكل باشا واعترافاته تروى وقائع ماجرى فيقول هيكل باشا:

قابلني مسيو ساسون وبدأ يحدثني في عقد الصلح بين مصر وإسرائيل (!!).

قال: «أصارحك بأننا لانعنى من الدول العربية بغير مصر، وأننا حريصون كل الحرص على إقامة العلاقات بيننا وبينها على أساس من المودة والصداقة».

فقلت: وعلى أى أساس تريدون أن يقوم هذا الصلح؟ أنا لا أعرف الخطة التى قررتها الحكومة المصرية، ولكن أريد أن أعرف عزمكم أنتم، فإذا اقتنعت بأن فيه ما يصلح أن يكون أساس حديث فى أمر الصلح أفضيت به إلى الحكومة المصرية، وأود أن أذكر لك رأياً شخصياً لى لم أفاتح به أحداً من المسؤولين فى مصر، ذلك أن تتنازلوا أنتم صراحة عن منطقة النقب لمصر، وأن تعلنوا استعدادكم لهذا التنازل قبل كل حديث.

وأجابنى الرجل فى لهجة لم أرضها: وما حاجتكم إلى النقب ولديكم «أنقاب» كثيرة لم تصلحوا منها شيئاً؟ (يريد أن صحارى مصر الواسعة لم تنل منا عناية أو إصلاحاً. وكفتنى هذه العبارة لأكف عن المضى فى الحديث فقلت: أظن إذن أنه لافائدة من الحديث فيما قصدت إليه !!

ويشير هيكل باشا إلى أنه كان يقصد من وراء مواجهة ساسون بضرورة تنازل إسرائيل صراحة عن منطقة النقب إلى غرضين:

أولهما: تشديد عزائم الجنود المصريين إذا هي علمت أنها تحارب في سبيل مصلحة قومية، وأن تضحياتها لن تذهب سدى.

والثاني: جس النبض لمعرفة ما يريد اليهود من الحديث مع مصر، وهل هو يدل على أنهم سثموا القتال فهم يريدون الصلح مخلصين، أو أنهم يريدون بهذا العرض أن يفرقوا كلمة الأمم العربية بعد الذي كان من تخلي الجيش الأردني في السلد والرملة، وتعرض جناح الجيش المصري بهذا التخلي لهجوم اليهود عليه.

ثم يقول هيكل باشا: «فلما رأيت «مسيو ساسون» يتحدث بلهجة لم ترضني أثرت عدم المضي في حديث لاجدوى من المضي فيه، وعدت إلى مصر في منتصف أكتوبر (١٩٤٨) وليس في نيتي أن أذكر لأحد شيئاً عما دار بيني والمسيو ساسون، وصرفني عن التفكير في هذا الأمر أن أوسع الصحف الموالية للحكومة انتشاراً انتهزت فرصة غيابي عن مصر فحملت على حملة غير كريمة. فأقنعني ذلك بأن أي حديث أفضي به إلى الحكومة في هذا الموضوع سيتخذ وسيلة لتغذية هذه الحملة.. من ثم لم يكن لهذا الحديث أية نتيجة، ولم أعره من جانبي أية عناية».



وقبل أن نسترسل مع باقي شهادة د. هيكل باشا حول اتصالاته مع ساسون، والذي أصبح ابنه «موشيه ساسون» سفيراً لإسرائيل في مصر عام ١٩٨٢ يلفت النظر بعض الملاحظات الهامة يمكن إيجازها فيما يلي:

١- إن هيكل باشا سبق له مقابلة ساسون أكثر من مرة، وكانت مصر هي مكان المقابلة (!!).

٢- إن هيكل باشا سبق له استقبال ساسون أكثر من مرة سواء في منزله أو في مقر مجلس الشيوخ (!!).

٣- إن ساسون حاول اقناع هيكل باشا بأنه «من الخير تفاهم مصر مع اليهود!». وكان ذلك قبل صدور قرار تقسيم فلسطين وبعده (!!).

٤- إن ساسون تحدث مع هيكل بشكل صريح ومباشر بشأن عقد الصلح بين مصر وإسرائيل، وكان ذلك العرض بعد قيام حرب فلسطين بشهور (!!).

٥- إن ساسون أفهم هيكل باشا أنهم حريصون على إقامة العلاقات بين مصر وإسرائيل على أساس من المودة والصداقة (!!).

٦- إن هيكل باشا تحدث مع ساسون بصفته الشخصية، وكان رأي الشخصى الذى لم يفتح به أحداً من المسئولين فى مصر هو ضرورة تنازل إسرائيل صراحة عن منطقة النقب لمصر!

٧- كان جواب ساسون على الاقتراح السابق (وما حاجتكم إلى النقب) سيئاً لكى يكف هيكل باشا عن المضى مع ساسون فى هذا الحديث.

٨- إن هيكل باشا بعد عودته إلى مصر - لم يخبر أحداً على الإطلاق بهذا الموضوع، وخشى أن تقوم الصحف الموالية للحكومة بتغذية الحملة المثارة ضده!!.



ثم نعود لاستكمال باقى شهادة د. محمد حسين هيكل باشا فى هذا الصدد، وكان قد وصل إلى باريس مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ وحجز لنفسه غرفة بفندق «لوتسيا»، وفى اليوم التالى يدق جرس التليفون بغرفته، وكان المتحدث هو نفسه الشاب الإسرائيلى الذى سبق لهيكل باشا أن التقاه فى روما، وعرف منه أن ساسون يرغب فى لقائه. المهم أن هذا الشاب أبلغ هيكل باشا أنه يريد أن يلقاه هو وأحد زملائه، وشرح هيكل باشا للشاب أنه مشغول طوال ثلاثة أيام باجتماعات اللجنة التنفيذية للاتحاد البرلمانى الدولى. وبعدها سيذهب إلى باريس لمدة أسبوع، ولكن الشاب أصر وألح على المقابلة مما جعل الدهشة تستولى على هيكل باشا فيقول:

كنت أحسب أن مادار بينى وبين المسيو ساسون بجنيف قد قضى على كل رجاء يدعو إلى استئناف الحديث فى موقف إسرائيل من مصر؟ أو موقف مصر من إسرائيل، والحوادث التى توالى بعد ذلك أمعن فى تقرير هذا المعنى. وأى جديد يريد أن يحدثنى هذا الشاب أو أن يحدثنى زميله فيه؟!

وفجأة جرى في مصر حادث اهتز له الرأي العام كله. فقد جرى اغتيال رئيس الوزراء المصري محمود فهمى النقراشى. يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨. وذهب هيكل باشا إلى مقر السفارة المصرية ليستطلع حقيقة ماجرى، وبعد الظهر عاد ليشارك في اجتماعات اللجنة التنفيذية، وصباح اليوم التالى يخاطبه تليفونيا ذلك الشاب الإسرائيلى ويبلغه استيائه لمقتل النقراشى باشا، وبأن إبراهيم باشا عبدالهادهى كلف بتشكيل الوزارة الجديدة، وبأنه - أى الشاب الإسرائيلى وصاحبه - سيحضران للقاءه فى الموعد الذى سبق تحديده.

وفى الموعد المحدد ذهب الشاب الإسرائيلى وصاحبه للقاء هيكل باشا بغرفته، وكان أول سؤال يوجهه لهما هو: عما جد من الحوادث مما نستطيع الحديث فيه.

ثم يمضى هيكل باشا فيروى تفاصيل المقابلة المثيرة على هذا النحو:

عادا يخبراننى أن إسرائيل حريصة أشد الحرص على صداقة مصر، وأن مصر ترغب عن هذه الصداقة لأمر لايفهمانه، وأن إسرائيل قدمت لمصر ما نعتقده الأساس الصالح لعلاقتهما فى المستقبل. وسألتهما. فعلمت أن إسرائيل بعثت بمشروع لمعاهدة «مودعة وصداقة» تعقدها مع مصر، وأن هذا المشروع أبلغ إلى إبراهيم عبدالهادهى باشا وهو فى رئاسة الديوان، وأنهم لم يتلقوا منه رداً. وسألتهما إن كانت لديهما صورة من هذا المشروع أستطيع الاطلاع عليها، فوعدا بإرسالها لى صبح الغد، وبأن نلتقى مرة أخرى بعد يومين لأبلغهما رأى فى هذا المشروع. وصدق الرجلان. فقد تلقيت صبح الغد من ذلك اليوم مظروفاً فضضته فإذا به هذا المشروع الذى حدثانى عنه(!!).

ويضيف محمد حسين هيكل باشا معلقاً على المشروع:

«وتلوت مقدمة المشروع ومواده فتولانى العجب أشد العجب. لقد صيغ على غرار المعاهدة المصرية البريطانية التى عقدت فى سنة ١٩٣٦. لكن إسرائيل تملى فيه على مصر ما هو أقسى مما ورد فى معاهدة ١٩٣٦. فالدولتان الساميتان المتعاقدتان يجب ألا تتخذ أيهما سياسة فى البلاد الأخرى تناقض سياسة الدولة الأخرى، ويجب

أن تخف أيهما لنجدة الدولة الثانية إذا تعرضت للاعتداء، ويجب أن تعامل كلتاها بشروط الدولة الأكثر رعاية في أراضي الدولة الأخرى، إلى غير ذلك من شروط أثارت دهشتي، حتى لقد ظننت أن المشروع لم يجرؤ أحد على إرساله إلى مصر، وأنهما [الشاب الإسرائيلي وصديقه] أخبراني بذلك ليقفا على رأيي فيما تعتزم بلاكهما التقدم به إلى الدولة العربية الكبرى».

وبعد أن انتهى هيكल باشا من قراءة مشروع معاهدة المودة والصداقة بين مصر وإسرائيل، كانت الدهشة والعجب قد استوليا عليه، وصباح اليوم التالي حضر إليه كل من الشاب الإسرائيلي وصديقه [لم يذكر لنا هيكل باشا عن اسم أي منهما] سألهما:

أحقا أن هذا المشروع أرسل إلى مصر؟! فأكد له أنه أرسل بالفعل إلى الديوان الملكي، وأنه تم تسليمه إلى إبراهيم عبدالهادي باشا رئيس الديوان، وأن الحكومة المصرية قامت بالاطلاع عليه!.

وهنا يبدى هيكل باشا دهشته واستغرابه قائلاً للشابين الإسرائيليين:

«ولكنكما تعلمان أن المصريين جميعا يعترضون اليوم أشد الاعتراض على معاهدة ١٩٣٦، فليس من بينهم حزب، وليس بينهم رجل سياسى يستطيع أن يصرح اليوم بأنها مرضية (أي المعاهدة) لمطالب وطنه، فكيف تطمعون أنتم فى أن ترضى أية حكومة مصرية عن هذا المشروع الذى أطلعتمانى عليه، وهو أشد وطأة... على مصر من معاهدة سنة ١٩٣٦...».

وهنا قال له الشابان: «ولكن توقيع معاهدة بيننا وبين مصر سيكون المقدمة لإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فستعمل إسرائيل بما لديها من مختلف الوسائل لتعاونكم على إلغائها».

قال هيكل باشا وقد استفزته الكلمات السابقة تماماً:

«إن مصر قادرة بمفردها على تحقيق أهدافها، وستبلغ ماتريد عما قريب».

ولم يأس الشبان وعادا يسألان هيكل باشا:

«إذن فأشر علينا بما يجب أن نصنعه لنوطد بيننا وبين مصر علاقة مودة وصداقة».

ولم يجد هيكل باشا غير هذه الكلمات إجابة عن سؤالهما.

«لاتظنوا أن الموقف الحاضر يعاون على أى إجراء رسمى يحقق هذه الغاية، فلاتزال الخصومة بين مصر وإسرائيل على أشدها. ومصر إلى اليوم لم تعترف بإسرائيل، ولست أظن أنها تعتزم الاعتراف بها عما قريب. أما وقد سألتمانى أن أشير عليكم فالرأى عندى أن تترك الأمور عاماً أو عامين أو ثلاثة، وألا تثيروا أنتم أية نائرة من جانبكم، وكثيراً ما حل الزمن مشاكل عجز أقدر الساسة وأمهرهم عن حلها. فالزمن هو الذى يثبت من الأشياء ما هو قادر على الحياة، ويمحو ما هو غير قادر عليها. أما إذا تعجلتم الأمور فلشد ما أخشى ألا تبلغوا من تعجلكم إلى غاية مع مصر أو غير مصر».

وما يلبث هيكل باشا أن يعترف قائلاً:

«فكرت بعد ذلك طويلاً فيما سمعت من رجال إسرائيل خلال هذه السنة الأخيرة»:

أصبح أنهم لا يعنون من الدول العربية غير مصر؟! أم أن لهم اتصالات بسائر هذه الدول؟، وقد تكون اتصالاتهم هناك أسعد حظاً من اتصالاتهم بى أو بغيرى من المصريين (لم يحدد هيكل باشا من المقصود بغيره من المصريين) ثم يضيف قائلاً:

وقد نشرت الأنباء منذ بدأت مفاوضات الهدنة بوساطة وسيط الأمم المتحدة الذى حل محل الكونت برنادوت السويدى المستر رالف بانس الأمريكى أن هناك اتصالات مباشرة بين إسرائيل وشرق الأردن، وأن العراق فوض شرق الأردن، ولم يفوض دولة عربية سواها فى التحدث باسمه (لم يقل لنا هيكل باشا لماذا) ترى أياكون الأمر قد بلغ إلى حيث استطاعت إسرائيل، واستطاعت السياسة الدولية أن تفرق بين الدول العربية، وأن تصل بين كل واحدة منها وبين إسرائيل لعقد صلح منفرد؟!!!.

ويضيف هيكل باشا قائلاً في مذكراته الهامة:

لم أقف طويلاً عند هذه الأسئلة (!!!) ولم أحاول الإجابة عنها (!!!) ولم يكن لدى معلومات كافية عن سياسة الحكومة المصرية نفسها. برغم أنني رئيس الهيئة التشريعية فيها، وليس يجمل بي أن أحكم على موقف الدول العربية الأخرى استناداً إلى معلومات مبتورة أو مشوهة تنشرها الصحف، أو أتلقها منتفاً من هنا ومن هناك من الرجال الرسميين ومن الرجال غير الرسميين (!!).

وعدت إلى مصر بعد أسبوع من انتهاء أعمال اللجنة التنفيذية، وبعد أن تألفت وزارة إبراهيم باشا عبد الهادي (تشكلت في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨)، وتشرفت بمقابلة جلالة الملك (فاروق) وأفضيت في هذه المقابلة بموجز من أعمال اللجنة التنفيذية وبتفصيل مادار بيني وبين هذين الإسرائيليين، ومادار قبل ذلك بيني وبين «مسيو ساسون» حين كنت بجنيف. فابتسم جلالة بعد أن أتممت حديثي وقال:

«لقد بلغ من أمر هؤلاء القوم أن خاطبوني مباشرة بخطاب بعثوا به، وكان أمامهم طريق الحكومة أو طريق الديوان».



وهكذا تنتهي أخطر وأغرب مفاجأة سياسية جاءت في مذكرات هيكل باشا، وكما رواها بنفسه في الجزء الثالث والذي نشر بعد رحيله بسنوات !!.

والملفت للنظر أن هذه القصة أو الوساطة على أهميتها البالغة لم يلتفت إليها كثيراً، ولم تأخذ حظها من الدراسة العلمية أو البحث التاريخي الجاد !!.

ولكن الكاتب الصحفي «حسنين كروم» (الناصرى) توقف أمام هذه القصة أو الوساطة وأفرد لها مساحة من الصفحات ضمن كتابه الوثائقي «عروبة مصر قبل عبدالناصر» [الجزء الثانى صدر عام ١٩٨٤] عن دار المستقبل العربى التى هى أيضا ناصرية التوجه !!.

كان حسنين كروم يناقش القضايا التى أبرزتها حرب فلسطين ١٩٤٨، ثم ابتداء

من صفحة ٦٦ يروى حكاية الوساطة التي قام بها هيكمل باشا تحت عنوان «سياسى مصرى يتفاوض سرّاً مع الإسرائيليين ويطالب بضم النقب لمصر»، ثم يقوم حسنين كروم بسؤال عدد من الأسماء السياسية الهامة ممن جرت أسماؤهم فى هذه الرواية، فيقول بالنص ما يلي:

هذه هى رواية الدكتور محمد حسين هيكمل باشا، ولقد عرضتها على «إبراهيم عبدالهادى» باشا فى مقابلة معه بمنزله بالمعادى فى شهر مارس ١٩٨٠ وسألته عن مدى صحتها، فأبدى استغرابه الشديد منها، ونفى نقياً باتاً أنه تسلم مشروعاً إسرائيلياً بعقد معاهدة صلح منفرد مع مصر عندما كان رئيساً للديوان الملكى، كما لا يعلم شيئاً عن وصول هذا المشروع إلى الملك عن غير طريقه وقال: «إن الملك ذكر للدكتور هيكمل باشا أن الإسرائيليين خاطبوه مباشرة عن غير طريق الديوان والحكومة».

وعاد الكاتب الصحفى حسنين كروم يسأل «إبراهيم باشا عبدالهادى» إذا كان الملك فاروق قد فاتحه فى هذا الموضوع بعد أن أصبح رئيساً للوزارة؟!

فأجاب: لم يحدث مطلقاً.

وعاد ليسأله: عما إذا كان الدكتور هيكمل أخبره بالموضوع، أو علم هو به عن طريق آخر!!

فقال إبراهيم عبدالهادى إن الدكتور هيكمل لم يخبره بأى شئ، وهذه هى المرة الأولى التى يعرف فيها بهذه الرواية بعد أن قرأها اليوم - يوم مقابلة حسنين كروم له - لأنه لم يقرأ الكتاب من قبل [!!!].

يضيف حسنين كروم قائلاً: وفى أثناء هذه المقابلة حضر الدكتور «محمد صلاح الدين بك» وزير الخارجية فى وزارة الوفد ١٩٥٢-٥٠ لزيارة إبراهيم عبدالهادى باشا فسألته عن صحة الرواية فأبدى تعجبه منها، وقال إنه لم يعلم بها إلا اليوم (!!).

ويكمل كروم قوله: "كذلك سألت فؤاد سراج الدين باشا فى مقابلة معه بمنزله بجاردن سيتى خلال شهر سبتمبر ١٩٨٠ عن معلوماته عن هذه الرواية، فسألنى بدهشة شديدة: هيكمل باشا قال كده!!".

فأعطيته الكتاب، ويعد أن قرأ مابه قال:

- إنها المرة الأولى التي يعرف فيها بحدوث شيء كهذا !!.



وربما تصور الكاتب الصحفي «حسنين كروم» أن يجد تفاصيل أكثر ومعلومات أغزر لدى نجل هيكمل باشا وهو «أحمد هيكمل المحامى» فهو الذى تولى نشر الجزء الثالث من المذكرات الذى وردت به هذه الواقعة، وبالفعل فقد قابله وسأله:

- لماذا لم ينشر فى الكتاب النص الكامل لمشروع المعاهدة الذى تسلمه هيكمل باشا من الإسرائيليين؟!.

وأجاب نجل هيكمل باشا: "إنه نشر كل ما وجدته، ولم يعثر فى أوراق والده على هذا النص...".

فسأله: بيم تفسر موافقة الدكتور هيكمل على الاجتماع بمندوبين إسرائيليين والتباحث معهما، رغم أن موقف الحكومة هو رفض إجراء أية محادثات مباشرة مع إسرائيل، ولماذا لم يخبر الحكومة بما حدث بعد عودته مع العلم بأن حزبه كان يشارك فى الحكم؟!.

فقال: إن هيكمل باشا لم ينته إلى نتيجة، ولم تكن المسألة جادة إلى الحد الذى يدفعه لأن يخبر الحكومة، وقد وجد أن الأمر لا أهمية له. (ص ٧١).



فى الشهادة السابقة يحاول نجل هيكمل باشا الدفاع عن والده بقوله إن المسألة لم تكن جادة!! «وليس معروفاً على وجه الدقة هل كان كلام أحمد هيكمل» هو رأى الشخصى أم أنه رأى والده الخاص؟!.

لكن اللافت للنظر أن كل الأطراف نفت معرفتها بهذا الموضوع من أساسه!!.

نفى ذلك إبراهيم باشا عبدالهادى.

ونفى ذلك أيضاً د. محمد صلاح الدين وزير الخارجية!.

ونفى فؤاد سراج الدين ذلك كله، وأضاف أنها المرة الأولى التى يعرف فيها بحدوث شئ كهذا.

ولم يتوقف أحد منهم أمام العبارة التى جاءت على لسان هيكل باشا فى مذكراته وفيها يقول إنه تقابل أكثر من مرة مع «ساسون» فى بيته، وفى مجلس الشيوخ قبل صدور قرار التقسيم. فى عام ١٩٤٧.

رغم خطورة الاعتراف السابق لا أحد يعرف السر الحقيقى وراء تجاهل «هيكل» باشا له فى مذكراته؟!.

ولماذا اكتفى «هيكل» باشا بسرد وقائع ماجرى بينه وبين ساسون بعد حرب ١٩٤٨ فى نفس الوقت الذى يتجاهل أو يتعمد تجاهل ماجرى مع «ساسون» قبل الحرب!!.

قبل صدور مذكرات هيكل باشا بأربع سنوات، صدر فى بيروت كتاب هام للكاتب الصحفى اللبنانى «عادل مالك»، اسمه من «رودس إلى جنيف»! (عن دار النهار).

فى هذا الكتاب الذى صدر عام ١٩٧٤ يكشف «عادل مالك» عن أسرار لقاء هيكل باشا مع «إلياهو ساسون» قبل حرب فلسطين!.

كان شحادة الغصين قنصل لبنان العام فى القدس قد التقى «ساسون» ودار بينهما حوار طويل سرعان ما أرسل به شحادة إلى «فؤاد عمون» أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية. تضمن القسم الأول من الخطاب ماجرى بين «ساسون» وصدقى باشا (انظر الفصل الثانى) ثم تضمن القسم الثانى حوار ساسون مع هيكل باشا!.

قال ساسون لشحادة الغصين وحسب نص رسالة الغصين نفسه ما يلى:

قابلت الدكتور «محمد حسين هيكل باشا» فى أوائل كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ وأنا مسافر إلى سويسرا لحضور المؤتمر الصهيونى العالمى فى بال، ودار بيننا الحديث طويلا حول قضية فلسطين، فكان هيكل باشا يرى أن تعقيد القضية

الفلسطينية والنفور الشديد الواقع بين العرب واليهود راجع إلى رغبة الأجنبي في السيطرة على البلاد ليتخذ منها موطناً يسيطر فيه نفوذه وسلطانه على الشرق الأوسط بأكمله. فلاخير يرجى للمصلحة العامة إلا بأن يقع الاتصال بين العرب واليهود، وإذا كان لليهود مايشكون من موقف العرب منهم، فما على اليهود إلا أن يعرضوا شكواهم مباشرة على الجامعة العربية لتكون رأيها النهائي على ضوء ما تسمعه من الجانب اليهودي!.

واستمر الخواجا ساسون في كلامه فقال (لشهادة الغصين):

وقد كلفنى هيكل باشا أن أعرض هذا الرأى على زعماء اليهود فى بال، وأن أطلب منهم ألا يكون فى قراراتهم ما يجرح شعور العرب ويشير نفوسهم (!!).

ثم يعترف ساسون بأنه قام بالاجتماع فى «بال» بالزعماء «وايزمان» و «بن جوريون» و«شرتوك» وغيرهم، وعرض عليهم اقتراح «هيكل باشا» بشأن عرض القضية على الجامعة العربية، فقابلوه بارتياح تام، واستقر رأيهم على ألا يتخذوا فى هذا الشأن قراراً نهائياً حتى ينتهى مؤتمر لندن، وبعد انتهاء المؤتمر اجتمع «ساسون» بالزعماء اليهود وتحدث معهم عن موضوع عرض القضية على الجامعة العربية فوافقوا عليه، بل وفوضوه فى مباحثة الدكتور هيكل باشا من جديد.

ويمضى «ساسون» فى حديثه مع القنصل العام اللبناى «شهادة الغصين» ليصف ما حدث مع «هيكل» باشا فيقول:

وحينما رجعت أخيراً إلى مصر اتصلت بهيكل باشا وأبلغته القرار، فسر به وأظهر استعداداه بل تصميمه بصفته عضواً فى الهيئة الرسمية لمثلى مصر فى الجامعة العربية على أن يعرض الاقتراح على المجلس فى الدورة القادمة (!!).

ولكننى (أى ساسون) أبديت له رأياً فى هذه المناسبة خلاصته أن عرض اليهود

قضيتهم مباشرة على الجامعة قبل التمهيد لها بشئ فيه خطر على الفكرة من أساسها، نظراً للنفور المستحكم منذ سنين بينهم وبين العرب، وللتوتر الناشئ عن المشادة على القضية نفسها، وقد يكون الأوفق أن تشكل هيئة من رجالات المصريين الكبارى النفوذ فتتخذ لها مهمة الاتصال مع اليهود والمسئولين العرب، والقيام بالأبحاث التمهيدية قبل عرض القضية على الجامعة.

ويضيف ساسون قوله: «فوافقنى هيكى باشا على رأيى، ولكنه أضاف أن أعضاء اللجنة يجب أن يختاروا من أكثر من دولة عربية واحدة وطلب منى أن أقوم بمساع فى غير مصر من الدول العربية، وأخبرنى أنه عازم من جهته على بذل جهده فى سبيل نجاح المشروع».

وقد أخبرت «هيكى» باشا أنى راغب فى عرض الفكرة على «عبدالرحمن عزام باشا» فقابلته وعرضتها عليه وسألته عن رأيه فقال: إن الفكرة فى مجملها حسنة ولا سيما من الناحية النظرية، ولكن أين هم رجالات العرب الذين يستطيعون أن يقوموا بمهمة اللجنة التمهيدية التى تقترحها دون أن يلاقوا من الهجوم الداخلى والتيارات الحزبية المحلية، ما يرميهم بتهمة الخذلان والخيانة، فالأحوال الداخلية فى جميع البلدان العربية غير مستقرة وأنا أعلم بها، وإذا تكلم هيكى باشا عن اقتراحه، فإنما يتكلم بالعقل والمنطق، وهو مصيب. أما أنا (أى عزام باشا) فإنى أحدثك والواقع أمام عينى!

ثم التفت (هيكى باشا) إلى عزام باشا وقال:

إذا شئنا أن نبحث عن رجالات من العرب يكونون فى منجاة من الشبهة، فلا نجدهم حقيقة فى غير ملوكهم ورؤسائهم، ولولا الأزمة السياسية التى استحكمت حلقاتها بين مصر وإنجلترا، وانشفالنا فى عرض قضيتنا على هيئة الأمم المتحدة، لما ترددت لحظة فى بسط الاقتراح بأكمله لجلالة الملك «فاروق» وسألته أن يتبتاه ويسعى

إلى تحقيقه، وعلى كل حال أنا لا أريد أن أحد من نشاطك أو أثبط من همتك، فاسع في مصر وفي غير مصر فقد تجمد من جلاله الملك عبدالعزيز (السعودية) أو من فخامة الرئيس بشارة الخوري (لبنان) أو غيرهما ما يعين على الخروج من المأزق!!.

وحسب ماجاء في خطاب القنصل العام اللبناني «شهادة الغصين» فقد استمر «ساسون» في حديثه قائلاً:

«تركت مصر وأنا مقتنع بأن المسؤولين من رجال مصر عن السياسة العربية راضون على الاقتراح وتواقون إلى تحقيقه، ولكنهم يطلبون دعامة من دولة عربية أو أكثر من دولة عربية، حتى تسهل المهمة التي يعنون بها، ونحن اليهود واثقون من أن لبنان يريد أن يرى حلاً نهائياً للقضية، ويعلم أن الحل النهائي لا يكون بغير اتفاق العرب واليهود، ونحن اليهود راغبون في أن نعرض مشكلتنا أمام الجامعة العربية وأن نلتقي والعرب أمام هيئة الأمم المتحدة، فكل تدخل أجنبي ليس له ثمرة للطرفين».

أما اللجنة التمهيدية - وهي مشكلة من العرب فقط - فتكون مهمتها إزالة هوة الخلاف بين كل من العرب واليهود، والتوفيق بينهم على ما هم مختصمون عليه وتقريب المبادئ التي يتمسكون بها من بعضها البعض، حتى إذا ما استطاعت اللجنة أن تصل إلى نتيجة، فتحيل الأمر برمته على الجامعة العربية لتناقشه وتبدى الرأي القاطع فيه.



ولعل أخطر اعترافات إيلياهو ساسون في حديثه مع «شهادة الغصين» هو قوله:

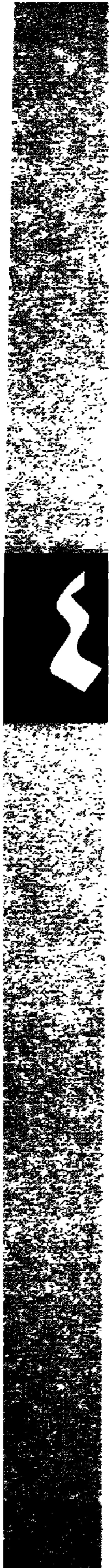
«سيدعو هيكل باشا مندوبى الحكومة اللبنانية لمجلس الجامعة العربية لبسط الموضوع لهم، والوقوف على رأيهم فيه، ونحن شتأ أن تقف الحكومة اللبنانية اليوم على خطوات هذا المشروع حتى لاتفاجأ فيه ولأول مرة في مصر».

وكان رجاء "ساسون" من "شهادة الغصين" : "وترجو الوكالة اليهودية من الحكومة اللبنانية أن تأخذ هذا الاقتراح بعين الاعتبار والعناية."

وكان آخر ما قاله ساسون لشهادة الغصين هو : «لقد اجتمعت أمس بين جوريون وشرتوك وغيرهما، فقررنا على أن نتصل بمعالى «إبراهيم عبدالهادي» باشا رئيس الديوان الملكي المصري لنسبط له الاقتراح السابق ذكره».



ولم يكن هيكل باشا وحده الذى التقاه «ساسون» !! .
كان هناك «قنصل مصر» فى القدس لسنوات طويلة !! .
وتلك حكاية أخرى ! .



عبد المنعم مصطفى
لناسون:
للصبر وأيضا للصلح
حدود!

وفى «لوزان» بسويسرا كان «إلياهو ساسون» على موعد مع «عبدالمنعم مصطفى»!!

كان «عبدالمنعم مصطفى» يرأس الوفد المصرى الذى سافر إلى لوزان، وكان «ساسون» عضو الوفد الإسرائيلى الذى يترأسه «إيتان»!!

كانت المناسبة انعقاد «مؤتمر عربى - إسرائيلى - دولى» فى لوزان تحت رعاية لجنة التوفيق الدولية بإشراف الأمم المتحدة.

وتشكلت لجنة التوفيق الدولية من ممثلين عن الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا لمتابعة أعمال ومهام الوسيط الدولى الذى أغتيل «الكونت برنادوت»، ولوضع حلول لإنهاء الصراع العربى الإسرائيلى، وبالتوفيق بين وجهات النظر المتعارضة.

استمرت المفاوضات خمسة شهور، وشاركت فيها مصر، سوريا، لبنان، شرق الأردن.

كانت المرحلة الأولى من محادثات لوزان تمهيدية، وامتدت ما بين ١٧ مارس ١٩٤٩ وحتى ٢٧ أبريل ١٩٤٩، وقد بدأت بالاجتماع الأول للجنة فى جنيف، ثم انتقلت إلى الشرق الأوسط، وعقدت عدة اجتماعات مع الأطراف العربية فى بيروت وتل أبيب.

كانت المرحلة الثانية هى الأخطر والأهم، وانهقدت من أبريل ١٩٤٩ إلى يوليو ١٩٤٩ حيث انتقلت اللجنة إلى لوزان، وأرسلت الأطراف العربية وإسرائيل وفودها إلى لوزان.

طوال تلك الفترة وما بعدها بقليل كان «إلياهو ساسون» يبعث برسائل مطولة عما يجرى ويدور إلى رئيس الوزراء «موشى شاريت»!.



ولم يكن صدفة اختيار «عبدالمنعم مصطفى» ليرأس وفد مصر فى محادثات لوزان!!.

كان «عبدالمنعم مصطفى» أحد خبراء الدبلوماسية المصرية فى شئون وتفاصيل المسألة الفلسطينية منذ سنوات!.

كان «عبدالمنعم مصطفى» قد شغل منصب قنصل عام مصر فى القدس فى أواخر أيام الانتداب البريطانى على فلسطين!!.

وعندما صدر قرر تقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧ وأثناء مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى اللجنة الخاصة بشئون فلسطين، كانت هذه المناقشات بكل جوانبها - حسب شهادة د. محمد حسين هيكل باشا - من اختصاص د. محمود فوزى بك وعبدالمنعم مصطفى بك.

وبعد ذلك كان أحد أعضاء الوفد المصرى فى محادثات رودس التى جرت بين مصر وإسرائيل، وأسفرت عن توقيع اتفاقية الهدنة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩.

وفى ختام هذه المفاوضات تولى «عبدالمنعم مصطفى» كتابة التقرير الختامى تحت عنوان «تقرير عن نتيجة المفاوضات التى جرت فى رودس ابتداء من ١٢ يناير سنة ١٩٤٩ وحتى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بين ممثلى السلطات المصرية واليهودية لعقد هدنة عسكرية فى فلسطين.

وهكذا لم يكن «عبدالمنعم مصطفى» غريباً عن المفاوضات الإسرائيلى، ولا عن ألاعيبه ومناورات وخبثه أيضاً!!.



وبعيداً هناك فى لوزان جرت حوارات طويلة بين «عبدالمنعم مصطفى» و«إلياهو ساسون»!.

كانت حوارات بعيدة عن ضغوط الدبلوماسية والسياسة والياقات المنشأة. كانت أشبه بالفضفضة والحوار المفتوح، لكنها فى نهاية الأمر كانت «حوارات سياسية» من الألف إلى الياء!!.

ولا أحد يعرف على الوجه القطع ما إذا كان «عبدالمنعم مصطفى» قد سجل هذه الحوارات فى أوراق أو مذكرات أو تركها تتسرب من ذاكرته وعقله!!.

ولا أحد يعرف هل كان «عبدالمنعم مصطفى» يكتب بفحوى مايجرى فى لوزان ويرسل به إلى القاهرة أم لا!!.

كلها أسئلة لا أحد يدرى أية إجابات لها؟!.

وكان لابد أن تنقضى سنوات طويلة حتى يتاح لنا معرفة ماذا جرى فى لوزان بين عبدالمنعم مصطفى و«إياهو ساسون»!.

كانت المرة الأولى التى تنشر فيها أسرار الحوارات بين «عبدالمنعم مصطفى» و«ساسون» ضمن فصول كتاب «من رودس إلى جنيف» للكاتب اللبناني «عادل مالك» الذى صدر عن دار النهار عام ١٩٧٤.

كان أخطر فصول الكتاب إثارة ودهشة هو الرسائل التى كان يرسل بها «ساسون» من لوزان إلى «موشيه شاريت» وزير الخارجية الإسرائيلى!.

كان عدد هذه الرسائل ١٢ رسالة كاملة، لم تترك صغيرة ولا كبيرة جرت بين «ساسون» و«عبدالمنعم مصطفى» أو باقى أعضاء الوفود العربية إلا ورصدتها وسجلتها بالكامل.

وربما كان كتاب «عادل مالك» هو المصدر العربى الوحيد الذى كشف النقاب عن تفاصيل ماجرى فى لوزان، ورغم مرور كل هذه السنوات - عشرين سنة بالضبط - لم تستفز هذه الرسائل بمحتوياتها وأسرارها أحداً من الباحثين أو المعنيين بالسياسة بتكذيبها أو تأييدها!!.

صدرت فى صمت وطواها النسيان!!.

لكن يختلف الأمر تماماً بالنسبة لإسرائيل.

كان رئيس الوزراء الإسرائيلى «ديفيد بن جوريون» على معرفة بكل مايجرى، ولم تكن رسائل «ساسون» غائبة عنه.

هذه الرسائل تجد لها متسعاً من مذكرات «بن جوريون» [يوميات الحرب] وطوال محادثات «إياهو ساسون» مع «عبدالمنعم مصطفى» كان «ساسون» حريصاً على أن يبلغ ديفيد بن جوريون بتفاصيل هذه المحادثات عبر برقيات مطولة ورسائل مسهبة!!.

وفى مذكرات «ديفيد بن جوريون» التى أسماها (يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩) سجد بعض التفاصيل الهامة عما دار بين «ساسون» و«عبدالمنعم مصطفى».

فى يوميات الثانى من يونيو ٤٩ (يوم الخميس) كتب «بن جوريون» يقول:

ليس جميع الجالسين فى لوزان سوى أبواق لشخص ما ، ولا يوجد أى عنصر مستقل، يزعم المندوب المصرى (عبدالمنعم مصطفى) أنه لا يملك تفويضاً للبحث فى السلام، بل فى مسألة اللاجئين، أنهم يدركون أنهم خسروا الحرب، وخلال الأعوام العشرة المقبلة ستكون لنا اليد الطولى، إذا شئنا الذهاب حتى الليطانى والقنيطرة لكن إذا توسعنا سنخنتق(!!).

حدّد «ساسون» لقاء مع «عبدالمنعم مصطفى» مندوب مصر ليوم أمس، ليس معروفاً بعد ماذا حدث هناك، وكان «لجون كمحى» حديث مع «منعم» هذا وقال:

- إن العرب سيصرون على إعادة اللاجئين العرب إلى إسرائيل !.

- وعندما قال له «كمحى» هذا مستحيل، يافا واللد وغيرهما أصبحت أهلة:

أجابه «عبدالمنعم مصطفى»: لا يهمنها لو قتل اللاجئين جميعاً، هناك ما يكفى من العرب.

فى ذلك اليوم أرسل إ. ساسون من باريس تقريراً يتعلق باجتماعه إلى المندوبين من مصر والأردن.

وفى يوميات الخامس من يونيو ١٩٤٩ (يوم الأحد) كتب «بن جوريون» يقول:

أرسل «ساسون» برقية من باريس (٢ / ٦ / ٤٩) اجتمع فى باريس إلى عبدالمنعم (مصر) ومندوب شرق الأردن. يستتج من هذه المحادثات:

أ - تم التوصل بواسطة إنجلترا إلى اتفاق بين مصر وشرق الأردن على تقاسم جنوب أرض إسرائيل بينهما، وستحصل مصر على جنوب النقب ابتداء من بئر السبع، وسيحصل شرق الأردن على جنوب النقب ابتداء من غزة حتى مغدال والبحر الميت.

- ب - أمريكا تعلم بهذا الاتفاق وتوافق عليه فى جوهره لافى تفصيلاته!
- ج - إلى حين نجاحهما فى تطبيق الاتفاق، توافق مصر وشرق الأردن على المحافظة على خطوط الهدنة، وتلتزمان عدم دخول مفاوضات منفردة مع إسرائيل.
- د - مشكلة اللاجئين ليست سوى أداة تكتيكية للضغط على إسرائيل وامتلاك عطف العالم.
- برقية ثانية من ساسون فى اليوم ذاته تتعلق بالحديث مع «عبدالمنعم» جرى الحديث فى اللوتيرى (مركز اليانصيب) تكلم «منعم» بصراحة:
- ١ - إن الدول العربية غير مستعدة فى المرحلة الحالية لتوقيع صلح مع إسرائيل.
- ٢ - إن لجنة التوفيق ستضطر إلى طرح كل اتفاق يتم التوصل إليه فى لوزان للمناقشة فى الأمم المتحدة وإقراره فى سبتمبر ١٩٤٩، وفى حال إقراره سيصبح سارى المفعول من دون توقيع الفرقاء.
- ٣- بعد ذلك تستطيع إسرائيل بدء مفاوضات منفردة مع كل دولة عربية على حده، وتنشئ علاقات اقتصادية ودبلوماسية.
- ٤- إن الدول العربية مصممة على عدم الموافقة على أية حدود تتجاوز نوعاً وحجماً حدود ٢٩ نوفمبر (١٩٤٧) وإذا طالبت إسرائيل بالجليل الغربى والأوسط، ستضطر إلى التعويض فى مكان آخر.
- ٥ - إن مصر لن تتخلى عن غزة، كما أنها ستطالب بإصرار بالحصول على جنوب النقب ابتداء من المجدل حتى البحر الميت (مشروع برنادوت) وعلى حد قوله (أى عبدالمنعم) فإن الأمريكين يؤيدون ذلك.
- ٦- يرفضون مشروع أثريديج الخاص بغزة واللاجئين.
- ٧- إن موقف الدول العربية من إعادة اللاجئين موقف تكتيكى، فهذه المسألة لاتضغط على الدول العربية كثيراً، لأن من الواضح أن إسرائيل لن تقبل إلا قسماً صغيراً، وهناك مشاريع تنمية أمريكية.

٨- إن لدى الوفود تعليمات بعدم مغادرة لوزان إلا بعد أن تقترح لجنة التوفيق العودة.

٩- إن كل ضغط يهدف إلى تغيير الموقف العربى يجب أن يكون موجهاً إلى الدول لا إلى الوفود العربية، لأن هذه لا تملك سوى سلطات محدودة.

انتهى ماكتبه «بن جوريون» فى يوميات الخامس من يونيو (ولاحظ غرابة صدفة التاريخ) لكنه يعود فى يوميات ٩ يوليو ١٩٤٩ ويكتب قائلاً:

يعتقد «ساسون» أن لا أمل بالتقدم فى «لوزان» يعتقد ساسون أن لا خوف من قيام العرب بمحاربتنا خلال ٣-٤ أعوام، حتى لو لم يحل السلام، إن ممثلى اللاجئين يضغطون على العرب ليعقدوا سلاماً، وبالتالي من أجل حل مشكلتهم، لكن ليس هناك دولة تريد أن تكون البادئة، كما أنه ليس هناك اعتراف، وحده (حسنى الزعيم) حاكم سوريا أذاع فى حديث مع مراسل سويسرى أنه يريد السلام مع إسرائيل.

فى رأى أن ثمة ضرورة للتمسك بهذا التصريح. إن مجرد حقيقة أن الزعيم مستعد لعقد هدنة تقضى بانسحاب كامل إلى خلف الحدود، يشكل دليلاً على سبب رغبته فى علاقات جيدة بنا. هل بسبب النزاع مع العراق؟! كما أن مصلحة فرنسا صديقة حسنى الزعيم تتطلب سلاماً بين سوريا وإسرائيل، وإذا وقع خلال هذا الأسبوع اتفاق الهدنة بيننا وبين سوريا، فمن المرغوب فيه أن يتوجه ساسون إلى دمشق كى يتفحص الأرضية.

وهكذا لم يكن «ساسون» يتحاور مع «عبدالمنعم مصطفى» وحده بل إنه كان مطلوباً منه أيضاً جس نبض زعيم الانقلاب الجديد فى سوريا «حسنى الزعيم»!.
وتلك حكاية أخرى وكان «لعبدالمنعم مصطفى» رأيه وتحليله أيضاً!.



والآن إلى رسائل «ساسون» لوزير خارجيته «شاريت» بكل التفاصيل والأسرار التى حملتها!.

أرسل «ساسون» إلى وزير خارجيته ١٢ رسالة، كانت الرسالة الأولى بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٤٩، وكانت آخر رسالة تحمل تاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٩.

لم تتضمن الرسالة الأولى شيئاً يذكر عن «عبدالمنعم مصطفى» لكنها تضمنت ما هو أخطر وأكثر إثارة. لقد كشفت هذه الرسالة التي بعث بها «ساسون» عن تفاصيل الدور الذي لعبه المستشار الصحفي للملك «فاروق» وهو «كريم ثابت» وكان خافياً عن الكثيرين (راجع الفصل الأول).

وإلى رسالة ساسون «الثانية» والتي خصصها بالكامل «لعبدالمنعم مصطفى».

وكانت بتاريخ أغسطس ١٩٤٩.

كان «ساسون» حريصاً على أن يخبر وزير خارجيته بأنه بعد استئناف المحادثات في لوزان حدث تبدل كبير نحو الأفضل في موقف الوفد المصري. فهو يبدو إيجابياً أكثر، ويتصل بي من حين لآخر «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد، ويسأل عن صحتي وصحة أصدقائي، ويقترح أن نلتقى، كما يسأل عما إذا كنا راضين عن مثوله أمام اللجنة وعن مثول زملائه أمام اللجنة العامة.

وهو (عبدالمنعم مصطفى) يذكر دائماً عملنا الناجح والمشارك في رودس، ويقترح تجديد تلك الأيام في «لوزان»!

ويعلق ساسون على إيجابية الموقف المصري بقوله:

«يصعب على الآن تحديد ما إذا كان العامل الذي يدفع إلى هذا التبدل تكتيكياً ومخادعاً أم جدياً، إلا أنه في مطلق الأحوال يساعد كثيراً على تحسين الجو، وتوثيق العلاقات، وتوجيه المحادثات».

ثم يضيف «ساسون» في نفس الرسالة المؤرخة في أغسطس ١٩٤٩ قوله:

في الاجتماع الأخير بين الوفود العربية واللجنة لبحث اقتراحنا حول حل شامل لقضية اللاجئين، فاجأها «عبدالمنعم» كلها فقد كان أول من بادر إلى الكلام فأعرب عن موافقته الشخصية على الاقتراح، وطلب إمهاله بضعة أيام للحصول على موافقة

حكومته، واضطر رؤساء بقية الوفود العربية الذين تحدثوا بعده، إلى أن يحذوا حذوه.

وفى نفس الرسالة يكشف ساسون عن أزمة خطيرة كادت أن تحدث بين الملك فاروق وبين عبدالمنعم مصطفى بسبب «ساسون» نفسه!!.

كانت الأزمة وحسب رواية إلياس ساسون لها جرت وقائعها على النحو التالى:
فى حديث دار منذ بضعة أيام بينى وبين عبدالمنعم - كنت قد أبرقت لك عنه بشكل خاص - روى محدثى القصة التالية لدى زيارته لمصر، أيام توقف عمل اللجنة استقبله الملك فاروق مدة عشرين دقيقة.

وقد اهتم الملك بمعرفة أمرين:

أ - لماذا يشكو منه أعضاء لجنة التوفيق الأمريكيون، ويطلبون استبداله؟.

ب - لماذا يظهر ساسون تشاؤما، ويعتبر موقف الوفد المصرى سببا فى فشل محادثات لوزان؟.

وردا على سؤاله: من أين لجلالته هذه المعلومات، حول تشاؤم ساسون ومخاوفه، أخذ الملك ورقة بيضاء من على مكتبه وناولها إياها قائلا: «خذ واقرأ» لقد كانت هذه رسالتى المعروفة إلى الكولونيل إسماعيل شرين، زوج الأميرة فوزية. وقد أعربت فى هذه الرسالة، كما أذكر عن مخاوفى إزاء مصير محادثات لوزان، ودعوت شرين كى يحضر إلى أوروبا لتشاور معا.

وتابع عبدالمنعم قصته قائلا: «سامحك الله على هذه الرسالة. لقد أخرجتنى، ولكن لما أعرف ثقة جماعتنا فى مصر بك، رأيت ألا أعترض على أقوالك، أو أن أشكو منك، بل أن أجد ذريعة تمكتنى من اصطياذ عصفورين بحجر واحد:

أ - التخلص من الورطة بسلام.

ب - الوفاء بوعد قطعته للسيد شاريت، ولم أستطع الوفاء به حتى الآن.

قلت للملك: «كنت حريصاً قدر الإمكان، منذ وصولي إلى لوزان، على عدم رؤية ساسون، وخلق انطباع لديه بأنه لا مبرر للقاء بي. والسبب بسيط: فقد كنت أخجل من أن أنظر إلى وجهه. ذلك أنه عندما كنا معا في رودس، وعدت، عن طريقه، السيد شاريت بأن أوصي حكومة مصر بأمرين:

أ - إطلاق سراح يعقوب وايزمن فوراً بسبب مرضه الشديد والخطير.

ب - إطلاق سراح بقية المعتقلين اليهود تدريجياً. ولكنني لم أنجح في الوفاء بوعدى، وهذا لا يليق بي.

وأضاف عبدالمنعم: لدى سماعه جوابي الذي قلته بأسف وتواضع كبيرين. هز الملك رأسه وقال: «لا تقلق، ستفى بوعدك في أقرب وقت. قل لليهود في لوزان إن حكومتى تؤيد السلام والاستقرار في الشرق بأسره، لكن ينبغي ألا يضغطوا علينا لتوقيع معاهدة سلام، فذلك أمر لا يمكن تنفيذه خلال الأشهر القليلة بسبب الوضع الداخلى في مصر والعالم العربى بأسره».

روى عبدالمنعم هذه القصة على ما يبدو، ليثبت لى أنه لا أساس للشائعات التى بلغتنا، وتحدث عنها «صوت إسرائيل» وتعلق باستعدادات مصر لتجديد الحرب عاجلاً أم آجلاً. «تشتري مصر فعلاً، فى الآونة الأخيرة، كميات كبيرة من الأسلحة، لكن دون أية علاقة بالوضع فى فلسطين، بل لأغراض داخلية وعربية محضة، ومن أجل إعادة تنظيم الجيش، والهيبة فى الداخل والخارج على السواء».



وفى نفس هذه الرسالة الثانية أشار «ساسون» إلى باقى الموضوعات التى تناولها الحديث مع «عبدالمنعم مصطفى» فقال:

لقد تحدث عبدالمنعم أيضاً عن المشاورات العديدة التى أجراها خلال زيارته لمصر، مع رئيس الحكومة، ووزير الخارجية، ومندوبى الدول العربية، وعزام باشا، وكان رأى الجميع كراى فاروق، إنه لا بد من إيجاد سبيل للتسوية، ومخرج مشرف. لكن الجميع

يتهمونا بأننا توجهنا إلى الهاشميين، وكأن بيتنا وبين عبدالله اتفاقيات سرية، سياسية وعسكرية، بمعرفة البريطانيين وموافقتهم.

ويبدو أن عبدالمنعم سمع عن رغبتنا فى إجراء اتصال مع رئيس الجمهورية السورية، حسنى الزعيم، فقد أكد عدة مرات خلال الحديث، أن للملك فاروق، تأثيراً على الزعيم. وأن الزعيم نفسه رجل شجاع وجريء، ولكنه أيضاً - أضاف - متقلب ويصعب الاعتماد عليه بشكل كامل. ويصعب على عبدالمنعم مثلاً، الجزم بأنه لا توجد قوة أجنبية تقف من وراء الزعيم اليوم، وهذا الشكل يقلق مصر.

وتكلمنا، خلال الحديث، عن اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية. إن محدثي لا يعلق على هذا الاجتماع أهمية كبيرة. كذلك تحدثنا عن الجمعية العمومية (للأمم المتحدة)، فقال إن فى نيته أن يشرح للأمريكيين ضرورة العمل فى لوزان، وكأنه ليس هناك جمعية عمومية. كذلك يستحسن الحيلولة دون أى صدام جديد بين ممثلى إسرائيل وممثلى الدول العربية، على المنصات الدولية فى ليك سكسيس وجنيف وأماكن أخرى.

وفى نهاية الرسالة كان «ساسون» حريصاً على إيلاغ «شاريت» بأمرين لهما دلالتهما:

* الأمر الأول هو أن عبدالمنعم مصطفى «يبحث بتحياته لشاريت وإلى أعضاء الوفد»!

* والأمر الثانى أن عبدالمنعم مصطفى استحلف ساسون بأولاده أن يحافظ على سرية لقائنا وحديثنا.



وفى ٣ أغسطس ١٩٤٩ كان «إلياس ساسون» قد كتب رسالته الثالثة إلى «شاريت» واختص الجزء الأكبر منها بالحديث عن «كريم ثابت» مستشار الملك، ثم تطرق الخطاب إلى رئيس الوزراء الجديد «حسين سرى باشا»، ورأى عبدالمنعم مصطفى فيه، وجاءت سطور رسالة «ساسون» بالنص كما يلى:

«وبناء على كلام «عبدالمنعم مصطفى» ، كان «حسين سرى باشا» رئيس حكومة مصر الجديد، بين أولئك الذين عارضوا، في حينه، اشتراك مصر في حرب فلسطين، وربط مصيرها السياسى بمصير الدول العربية. وهو اليوم أيضا بين أولئك الذين يعارضون تقوية الجيش المصرى، ويطالب بإنفاق عشرات ملايين الليرات على محاربة الفقر والامية فى مصر. وهكذا يمكن افتراض أن الأمر إذا وقع بين يدى «حسين سرى» سيجد آذانا صاغية وأيدى أمينة».

وفى نهاية الخطاب يؤكد «ساسون» لشاريت على أن : لايزال «عبدالمنعم مصطفى» يتصرف بشكل جيد، ولايمر يوم دون أن يتصل بى هاتفياً مرة أو مرتين يسأل عن سير الأمور.



وبعد ٢٤ ساعة بالضبط وبتاريخ ٤ أغسطس ١٩٤٩ كتب «ساسون» الرسالة الرابعة إلى شاريت، جاءت الرسالة بمثابة محضر الاجتماع الذى جرى بين ساسون وروبين شلواح (عضو الوفد الإسرائيلى) مع عبدالمنعم مصطفى.

هذه الرسالة بالتحديد ونظراً لأهميتها وخطورتها، فمن الضرورى قراءتها كاملة، وجاءت الرسالة على النحو التالى:

موشيه العزيز. وافر التحية:

لقد تحدثت ورؤوبين، خلال ساعتين تقريباً، مع رئيس الوفد المصرى «عبدالمنعم مصطفى». وفى بداية الحديث، أعرب كل جانب عن رغبته فى السلام، وعن استعداداه للمساعدة قدر المستطاع على دفع محادثات لوزان وإنجاحها. وتطرق الجانبان إلى الفوائد التى تنجم عن ذلك بالنسبة إلى مصر وإسرائيل والشرق بأسره، وإلى إمكانات التعاون فى المستقبل. والحق أن هذا الكلام كان عاماً، إلا أنه كان هناك شعور بأنه لم يكن مجاملة ورياء، بل قيل عن يقين وإيمان.

لقد تطرق الحديث مثلاً إلى الوضع السياسى والأمنى فى الشرق الأدنى. واستتج الطرفان أن الشرق لم يكن بحاجة إلى الاستقرار مثل هذه الفترة. وأن باستطاعة

إسرائيل ومصر، إذا توصلنا إلى تفاهم فيما بينهما، أن تقدما مساهمة كبيرة وبناءة في سبيل استقرار الشرق وتطويره وتقويته.

وتحدث «عبدالمعزم» عن مثوله أمام اللجنة وعن «موافقته دون تحفظ» على شرطينا المتعلقين ببحث قضية اللاجئين.

وكان مسرورا من أننا لانصر على توقيع معاهدات سلام في لوزان. وليس هذا مرونة من جانبنا، بل يدل على أننا نفهم الشرق والاتجاهات فيه، ونبحث عن سلام حقيقي لا عن قطعة ورق.

وعرض رؤوين بناء على طلبه، تفاصيل الجلسة التي عقدناها مع اللجنة في الثالث من الشهر الجاري، حول قضية اللاجئين، وأشار إلى مدى المساهمة من جانبنا في سبيل حل شامل للقضية. وشرح له الدوافع التي حملتنا على إقرار هذه المساهمة، والعقبات الأمنية والاقتصادية وغيرها التي تجعلنا نعتبرها أقصى ما نستطيع.

لم يعترض عبدالمعزم على ذلك، لكنني أعتقد أنه لا يمكن اعتبار صمته موافقة تامة، ولعله لم يجد مناسبا أن يناقش الأرقام ونحن نتكلم عن مبادئ وجهود مشتركة.

وسأل عما إذا كان باستطاعتنا أن نقدم له تفاصيل عن فئات اللاجئين الذين تنوى قبولهم، وما إذا كنا قد حددنا موقفا من هذا الأمر، فأجبنا أن خبراءنا يدرسون حاليا هذه المسألة وسيصل قريبا السيد ليفيتس، رئيس الخبراء، إلى لوزان ومعه جميع التفاصيل المطلوبة. ولكننا - أضفنا - لانستطيع قبول رفض العرب الاجتماعات المشتركة، فهذه الاجتماعات ضرورية لمعالجة جوهر القضية، ولتحسين الجو العام في الدول العربية ولوزان. وقد وافق على ذلك، وتعهد بيذل المساعدة في هذا الصدد.

وتناول الحديث بعد ذلك موضوع الحدود. وأكدنا أنه يستحسن - وإن لم يحن الوقت لذلك - أن يدرك كل جانب وجهة نظر الآخر بأسرع ما يمكن. وكررنا شرح موقفنا بالنسبة إلى نقاش منفصل مع كل دولة عربية على حدة، وحاولت أن أثبت أن ذلك ليس منطقيا ومفيدا فقط، بل ينطوي على مصلحة حيوية لنا وللعرب أيضا. وقد وافق، ولكنه أضاف أن هناك بعض المسائل الموضوعية التي تحتم عليه الاستمرار في

المثول أمام اللجنة مع بقية رؤساء الوفود العربية، ومعالجة أمور لا تتعلق مباشرة بمصر، مثل : بروتوكول ١٢ آيار (مايو) (بروتوكول لوزان) ، وتفويض قضية القدس والأماكن المقدسة إلى اللجنة، والمصير السياسى للأجزاء العربية فى فلسطين، وغير ذلك، ولكنه سيأخذ موقفنا بعين الاعتبار، وسيحاول تكييف نفسه مع هذا الموقف. وسيستخدم جميع صلاحياته لدفع محادثات لوزان وإنجاحها.

ثم تحدثنا عن مطالب بلده الإقليمية، وهو لا ينكر أنه قال لنا خلال محادثات رودس إنه ليس لبلده أية مطامع إقليمية فى فلسطين. لا يزال هذا الموقف قائماً، لكن العبرة التى انتهى إليها بلده من اشتراكه فى حرب فلسطين، تحتم عليه الاهتمام بأمنه. وقد أجرت حكومته، خلال الأشهر الستة الماضية، استشارات بهذا الشأن مع عدد من الخبراء العسكريين - أمريكيين وبريطانيين وفرنسيين وبلجيكيين وسواهم - فقالوا جميعاً إن على بلده:

أ - الاستمرار فى الاحتفاظ بقطاع غزة.

ب - توسيع مساحة هذا القطاع من الجنوب والشمال على طوال الحدود المصرية.

ج - توسيع حدوده حتى البحر الميت، بناء على خط يشمل المجدل وبئر السبع.

د - أن يضم إليه النقب الجنوبي.

إن بلده بحاجة إلى (ج) و(د) لأغراض أمنية، وللاتصال المباشر أيضاً بالأردن وبقية الدول العربية. وليست هذه فى الواقع المرة الأولى التى يشير فيها «عبدالمع» هذه المطالبات الإقليمية ، فقد سبق أن أثارها فى الماضى مرات عديدة أمامى وأمام الدكتور «إيتان»، وكذلك أمام الزميل «طوبيا أرازى» (موظف فى القسم السياسى فى الوكالة اليهودية بين ١٩٣٨ - ١٩٤٨، ثم فى وزارة الخارجية) فى ليك سكسيس، ولكن الفرق هو التالى: فى الماضى عرض مطالبه بشكل متصلب، وكشرط لا يمكن تجاوزه للتوصل إلى سلام بين إسرائيل ومصر، وعرضها هذه المرة بطريقة لينة وبشكل يفتح باباً للمساومة. بدأنا مثلاً بالاعتراض على افتراضات الخبراء العسكريين، وشرحنا له أنه ينبغى عدم التحدث فى ذلك، أجاب: ماذا تقترحون مقابل

ذلك؟ لنجد حلاً وسطاً. ولم نجب، بل واصلنا الحديث عن استحالة مطالبيه، فأدار رأسه نحوي، وكرر القول عدة مرات: جد لنا تسوية.

رأيت ورؤوبين عدم الاستمرار في الحديث حول هذا الموضوع والاكتفاء، في الوقت الحاضر، بما أسمعنا وسمعنا. سأحاول الاجتماع به قريباً، مرة أخرى، وجعله يسير في الاتجاه السليم إذا أمكن.

لم أحاول بعد الاتصال بعرب آخرين.



ثم جاءت الرسالتان «الخامسة والسادسة» من رسائل «ساسون» إلى «شاريت» وقد خلتا تماماً من اسم عبدالمنعم مصطفى، لكنها تطرقت إلى موضوعات أخرى لا تخلو من الأهمية والخطورة (الرسائل منشورة ضمن ملاحق هذا الكتاب بالكامل).

أما الرسالة السابعة والتي كتبها «ساسون» بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٩، فلم يأت فيها ذكر «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصري إلا في سطور قليلة تقول كلماتها:

أفكر في دعوة «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصري هذا الأسبوع، وسأحاول أن أعرض عليه إجراء مفاوضات مباشرة خارج كواليس لجنة التوفيق على غرار المفاوضات التي أجراها في حينه الدكتور «إيتان» مع «فوزي الملقى». (وزير الدفاع الأردني).

إذا نجحنا في ذلك سنبلغك تلغرافياً ونطلب تعليمات.

وبعد ٤٨ ساعة تسلم شاريت الرسالة الثامنة (بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٩). من ساسون، وكانت الرسالة بالكامل مخصصة لموضوع الانقلاب الذي حدث في سوريا [يقصد انقلاب حسنى الزعيم]، وكان واضحاً أن هذا الانقلاب المفاجئ كان بمثابة «لغز» جديد!!.

وجاءت رسالة «ساسون» على النحو التالي:

تحدثت ورؤوسين اليوم نحو ساعة مع «عبدالمنعم مصطفى» ، بالنسبة إلى الانقلاب في سوريا، قال إنه من السابق لأوانه استخلاص أن يحدد في هذه اللحظة ما سيكون موقف بلده منهم. ولكن ، على قدر ما يعرف، لم تكن الأمور على ما يرام خلال فترة حكم الزعيم القصيرة. فقد ازداد الفساد وتغلغل حتى في منزله. وحصل (٠٠٠) سكرتيره (٠٠٠) في فرنسا على رشوة بعشرات الآلاف من الليرات لتوقيع اتفاقيات لشراء أسلحة. أضاف محدثنا: ولكن الأعضاء الأمريكيين في لجنة التوفيق في لوزان يأسفون جدا لما حدث في سوريا. ومنذ وقت قصير فقط توصلوا - على حد قولهم - إلى اتفاق مع الزعيم لاستيعاب عدد كبير من اللاجئين، ومن الصعب أن يعرفوا الآن كيف ستطور الأمور.

وسأل «عبدالمنعم» ، بعد ذلك عن رأينا في إثارة قضية فلسطين في الجمعية العمومية. قلنا إن هذه المحاولة ستعطل محادثات لوزان، وستعكر الجو، وستؤدي إلى تأزم العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل من جديد، وستزيد من آلام النازحين، وسترجئ التسوية النهائية إلى وقت بعيد. وشرحنا الفرق بين الحل المتفق عليه والحل المفروض، وقلنا إننا نفضل عدم إثارة القضية في الجمعية العمومية، حرصا على كل ذلك.

ورداً على ملاحظة محدثنا، قلنا إن الأمر يتوقف أساسا على موقف لجنة التوفيق. وأنها - بحسب ما نعرف - غير مخولة بوقف محادثات لوزان مادام الفريقان موافقين على استمرارها لإيجاد حل متفق عليه.

بعد هذا الحديث ، وجه إلينا محدثنا، بما يشبه المزاح ، السؤال التالي: هل تودون البقاء هنا في لوزان طوال الشتاء ؟ أجبنا: لا. ولكن لن نتردد إذا اقتضى الأمر ذلك.

وشكرناه على إثارة هذا السؤال، وقلنا إننا كنا نفكر، عند مجيئنا اليوم لتحدث، في أن نعرض عليه محادثات منفصلة جدية خارج كواليس اللجنة، سواء واصلت هذه عملها أو أوقفت. إذا استمرت، فإن محادثاتنا المنفردة ستسهل عملها. وإذا توقفت سنضمن لأنفسنا مواصلة الاستيضاحات، والجهود المشتركة للتوصل إلى تسوية نهائية.

وأجاب «عبد المنعم»، دون تردد، أنه مستعد لذلك. وحددنا الاستيضاح الأول يوم الجمعة المقبل، ٢٠ من هذا الشهر. الموضوع الأول: المذكرة الأخيرة للجنة حول قضيتي اللاجئين والأراضي. ووافق معنا على أنه كان من الأفضل إعطاء أجوبة متقاربة أو منسجمة إذا أمكن. وهو يرى مثلنا أن مثل هذه الخطوة قد يرضى اللجنة ويدفعها إلى مواصلة عملها.

وتحدثنا أيضاً عن اللجنة المشتركة التي تألفت أمس، لاستجلاء مسألة الأموال المجمدة، وطلبنا أن يصدر تعليمات إلى ممثله في اللجنة ليكون مرناً جداً: أولاً، أن يسعى لإنجاح عمل اللجنة. ثانياً، أن يبرهن أنه كلما جلس العرب والإسرائيليون حول طاولة واحدة وتناقشوا وجهها لوجه، فإنهم يفهمون بعضهم أكثر فأكثر، ويتوصلون إلى حلول متفق عليها ومرغوب فيها. فوعد بالقيام بما هو مطلوب.

وخلال الحديث حلل عبد المنعم موقف أعضاء اللجنة بالنسبة إلى الذهاب إلى الجمعية العمومية. والجدير بالذكر أنه توصل إلى نفس الاستنتاجات التي توصلنا إليها خلال المشاورات التي أجريناها منذ يومين مع «جدعون رفائيل» والتي كتب إليك رؤوبين عنها بصورة خاصة، وأبلغنا «عبد المنعم» أيضاً، خلال الحديث، أن حكومته قررت بفضل جهوده، منح تأشيرات دخول إلى ممثلينا في مؤتمرى الصحة والتغذية الدوليين اللذين سيعقدان قريباً في مصر، ومعاملتهم بكل لطف. وقد أبرقنا لك عن ذلك بصورة خاصة. كما أبرقنا بشأن اجتماع يوم الجمعة وطلبنا التعليمات.



جاءت الرسالة التاسعة من رسائل «ساسون» إلى «شاريت» خالية تماماً من أى ذكر لعبد المنعم مصطفى، وشملت حواراته مع اللبناني المحامي «نمر الهوارى» ثم تأتى الرسالة العاشرة حافلة بالأسرار والمعلومات، وكانت الرسالة مؤرخة بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٤٩ وتقول:

قضينا -رؤوبين وأنا- يوم الجمعة، ١٩ من هذا الشهر، نحو سبع ساعات بصحبة «عبد المنعم مصطفى» رئيس الوفد المصرى، فى بلدة صغيرة بالقرب من لوزان تدعى

«لافيثرت». وكان الغرض من الاجتماع الاستفسار مباشرة، عن مطالب كل فريق، وعما إذا كان ثمة مجال لتسوية متفق عليها بيننا وبين المصريين. وكذلك لمحاولة تحديد وسائل استمرار المحادثات المباشرة في المستقبل، إذا ما اتخذت لجنة التوفيق قراراً بوقف العمل في لوزان بصورة مؤقتة أو دائمة. وقد أجرينا، في الوفد، مشاورات قبل الاجتماع، وحددنا لأنفسنا بعض الأسس والمبادئ والمقترحات.

وفي بداية الحديث، طلب «عبدالمنعم» أن نكون صريحين، وأن يكشف كل فريق أوراقه. فهذا هو أسلوبه في حياته الدبلوماسية. ثم دعانا لتكون البادئين. حددنا، على جدول أعمال، ثلاث نقاط للتوضيح هي: الحدود، اللاجئين، التعاون الاقتصادي. وأكدنا أننا نعتبره ممثل مصر، وليس ممثلاً للعالم العربي، وأنها نريد أن نستجلى معه الأمور التي تخص إسرائيل ومصر فقط، لا العالم العربي بأسره، فوافق.

وشرح «رؤوبين» أهمية النقب بالنسبة إلينا من جميع النواحي، وحاول أن يبرهن أنه لا أساس لمطالبة مصر بالنقب للدواعي الأمن أو الامتداد الإقليمي، حتى لو حاولت مصر الحصول على النقب فلن تضمن أمنها من جانب إسرائيل. وفي ختام كلامه، توصل رؤوبين إلى استنتاج أن الطريق السليم إلى ذلك هو: اتفاقية عسكرية بين إسرائيل ومصر.

وقد اقترح من أجل ذلك، إجراء توضيحات ومشاورات بين عسكريينا وعسكرييهم. وأراد رؤوبين، بكلامه هذا، نفى افتراضات الخبراء العسكريين الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين والبلجيكيين، التي أشار إليها «عبدالمنعم» في حديث سابق، ورفض خطتهم الدفاعية من أساسها.

وبعد ذلك، دار نقاش استغرق ساعات اللقاء، ولم يسفر عن أية نتائج إيجابية. بل على العكس، فقد أظهر أن البعد شاسع بين وجهات نظر الفريقين. وأظهر أيضاً أنه حدث تغير نحو الأسوأ في موقف مصر في الأيام الأخيرة. وقد اتضح في أثناء الحديث أن «عبدالمنعم» أجرى محادثات مع «بورتر وروكويل»، ويبدو أن الأول قال: ليس هناك احتمال لانتزاع النقب من إسرائيل، أما جزء منه فنعم.

وقال «عبدالمعزم» رداً على كلام رؤوسيين، إنه لا حاجة إلى مشاورات عسكرية. فالسياسيون هم الذين يحددون، وبصورة عامة، سياسة الدولة لا العسكريون، فوظيفة هؤلاء تنحصر في التنفيذ فقط. إذ يطلب منهم إذا ما هاجمت دولتهم أو هوجمت، وضع خطط الهجوم أو الدفاع وتنفيذها. وهو يأسف كثيراً عندما يرى رجال الجيش في سوريا يتدخلون في الشؤون السياسية، ويحاولون فرض سلطتهم على شعبهم، فهذا خطير جداً، ويضع أسس الدولة ويحرمها الاستقرار. هذا أولاً، وثانياً: أن السياسة المصرية قائمة على أمرين:

أ - إقامة حاجز بين إسرائيل ومصر، وبينها وبين شرق الأردن. ويمكن تحقيق ذلك بجعل النقب، الشمالي والجنوبي، عربياً. عربياً فلسطينياً، وليس عربياً مصرياً، أو عربياً أردنياً.

ب - تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية بإسرائيل تدريجياً. مثلاً: يسمح اليوم لمندوبى إسرائيل بدخول مصر والاشتراك فى المؤتمرات الدولية التى تعقد فى الإسكندرية أو فى أية مدينة مصرية أخرى، وغدا يلغى تفتيش السفن التى تمر فى قناة السويس فى طريقها إلى إسرائيل، ويسمح بعد غد، بالتجارة المحدودة، ثم الحرية بين إسرائيل ومصر، وهكذا لن تمر بضع سنوات، إلا وقد قامت علاقات طبيعية بين البلدين. وستدرك مصر، بمرور الزمن، أن إسرائيل أصبحت دولة دائمة، وأنه ليست لها أية خطط عدوانية، وسينسى الجمهور المصرى أحداث السنة الماضية الكثيرة.

وأضاف «عبدالمعزم»: أن إقامة الحاجز بين إسرائيل ومصر فى النقب بأسره، سيساعد ضمنا على أمرين آخرين:

١ - توطين جزء كبير من اللاجئين فى فلسطين بالذات.

٢ - جعل الأجزاء العربية من فلسطين جديرة بالاستقلال، الأمر الذى سيمنع شرق الأردن من أن يضم إليه المثلث الفلسطينى، سيساعد على المحافظة على الوضع الراهن فى العالم العربى.

وهو يؤمن بأنه يمكن، بمساعدة الدعم المالي، الأمريكي أو الدولي، توطين جميع اللاجئين الموجودين في غزة ومصر والذين يصل عددهم، بحسب تقديره، إلى ٢٦٠ ألف نسمة، في النقب، خصوصاً النقب الشمالي الصالح بكامله للزراعة. ويصبح بالإمكان، إذا دعت الضرورة، نقل لاجئين إليه من أماكن أخرى. هذا أولاً، وثانياً: بجعل النقب بأسره عربياً، وضمه إلى المثلث، سيكون بالإمكان تنفيذ قرار الجمعية العمومية الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) بشأن إقامة دولة عربية مستقلة في جزء من فلسطين، والحقيقة أن مثل هذه الدولة ستحتاج، في سنواتها الأولى إلى مساعدة مالية دولية وعربية، لكن لاشك في أنها ستتمكن من أن تعيل نفسها بنفسها، بعد مضي بضع سنوات.

وعندما أشرنا إلى أن معظم النقب يهودي بحسب مشروع التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الثاني، أجب أن هذا صحيح. لكن من الواضح له أن إسرائيل لن تتخلى عن الجليل الذي هو عربي بحسب التقسيم. وعندما شرحنا له ألا يتوقع أن تتخلى إسرائيل عن شبر واحد من الأرض في النقب، قال: إذا كان هذا هو الوضع، فلن يكون هناك أي أساس للتعاطف المباشر بين إسرائيل ومصر، ويستحسن إذن طرح الموضوع على الجمعية العمومية لحسمه. وأضاف أنه يأمل، إذا ما اتخذت الجمعية العمومية قراراً لصالح إسرائيل، أن تخضع مصر، وتوقف مطالبيها، وتجلو من غزة وضواحيها، وتعود إلى حدودها السياسية. ولكن -أضاف- لن يكون هناك احتمال للتعاطف والسلام والتعاون بين إسرائيل ومصر. ليس هذا فقط، بل ستبقى جميع احتمالات استمرار الحرب بين البلدين قائمة.

وهناك ثار قليلاً وقال: فلتفهموا أن مصر لا تريد حدوداً مشتركة مع إسرائيل. ولو لم تقم إسرائيل وكانت مصر سعيدة. وقد فعلت كل ما في وسعها لتحويل دون قيامها. وهي مقتنعة أن دولة إسرائيلية غريبة عن العرب في كل شيء، داخل المحيط العربي، ستبقى حتماً عاملاً دائماً للنزاعات والتعقيدات وعدم الاستقرار في الشرق. وأضاف: ربما كانت مصر مخطئة في تقديراتها لطبيعة إسرائيل ونواياها. لكن من

المستحيل أن يقتلع، بالكلام فقط، اعتقاد مصر الخاطئ، على الأقل خلال فترة قصيرة. وقد شرح جميع هذه الأمور أكثر من مرة لاثريدج وبورتر ولكل أمريكي آخر تحدث إليه، كما أنه شرح للأمريكيين أن على الولايات المتحدة، إذا أرادت أن تعيد ثقة العالم العربي بها وتوفر الاستقرار في الشرق الأدنى على مدى الأيام، الاهتمام بالأصـحـح تصبح إسرائيل دولة كبيرة، وألا تكون قوية، وألا يكون فيها عدد كبير من السكان اليهود. كما شرح لهم أن مصر لن تشعر، في قرارة نفسها، بأنها آمنة ومحصنة، وعلى حدودها في النقب ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي، كلهم ذوو ثقافة ومبادرة، وكلهم مستعدون للتضحية بأنفسهم.

وعندما شرحنا له أنه لا يوجد أي أساس لمخاوف مصر، ولا يوجد خطر اجتماعي أو عسكري أو اقتصادي عليها من إسرائيل، قال إن المستقبل وحده سيثبت ذلك، لكن على مصر، كدولة مستقلة، أن تأخذ في الحسبان، ليس فقط «الاحتمالات المضيئة» بل «الاحتمالات المظلمة» أيضاً، وإلا فإنها ستخطئ بحق نفسها وأمام التاريخ. انتهجت مصر، عندما قررت منذ سنة ونصف السنة محاربة إسرائيل، سياسة متسارعة وغير مدروسة، والآن، حان الوقت لتجرب حسابها وتدرس مصالحها. وعندما قلنا له إننا سنتصرف في الجمعية العمومية، بشكل مختلف، إذا حسمت الأمر لصالح مصر بالنسبة إلى قضية النقب: ستمرد، ولن نتحرك من النقب لأنه حيوى جداً لنا، قال: افعلوا ما ترونه حسناً في نظركم، فلكل طريقته في حياته الخاصة والعامة.

لم يمكننا هذا النقاش حول النقب من أن نبحت مع محدثنا في المشكلات الأخرى. وعندما حاولنا أن نفعل، قال إنه لافائدة من ذلك.

وعندما اقترحنا تحديد اجتماع آخر، قال إنه مستعد للاجتماع بنا في كل وقت. لكن، إذا كان هذا هو موقفنا، فمن الأفضل الاجتماع للتحدث في مواضيع مختلفة لا في الشؤون السياسية. إلا أنه وعد بأن ينقل إلى حكومته مضمون حديثنا نصاً وروحاً.



باختصار شديد كان «عبدالمعـم مصطفى» على حق عندما اعترف لـسـاسون أن مصر كدولة مستقلة عليها أن تأخذ في الحسبان ليس فقط الاحتمالات المضيئة، بل المظلمة أيضاً!!.

وعندما لم يجد أية فائدة فى زحزحة الموقف اليهودى قال بحسم لساسون: من الأفضل أن نتحدث فى مواضيع مختلفة لافى الشئون السياسية!!.



ونصل إلى واحدة من أخطر الرسائل التى بعث بها «ساسون» إلى «شاريت» وهى رسالته رقم «١١» فى هذه الرسالة يبدو واضحاً جداً انزعاج «ساسون» من عدم وجود مايرر تسرع فاروق لعقد حلف مع إسرائيل، لأنه يريد أن يبدو كبطل قومى، لقد توصل «ساسون» إلى هذه النتيجة فى أعقاب حواراته الطويلة مع «عبدالمنعم مصطفى» وإلى رسالة ساسون الحادية عشرة التى بدأها كما يلى:

لوزان ٢٩-٨-١٩٤٩.

إلى موشيه العزيز وافر التحية:

(T) كما وجدت صعوبة فى الماضى - أى قبل نحو شهر - فى أن أفهم معنى التغيير نحو الأحسن الذى حدث فى موقف مصر منا، أجد صعوبة اليوم فى فهم معنى موقف مصر الجديد والمفاجئ منا، الذى عبر عنه عبدالمنعم فى حديثه الطويل الأخير إلينا.

أعتقد أنه لم يكن للمصادفة أى دور، لا فى الماضى ولا اليوم، ربما جاء التغيير بمرور الزمن ونتيجة للظروف. ذلك أنه، عندما استؤنف العمل فى لوزان، كان وضع الملك فاروق سيئاً للغاية، سواء فى الداخل أو فى الخارج، فى الداخل، لم تكن حكومته تمثل الشعب المصرى، ولم تكن مقبولة منه، كانت هذه «حكومة شرطة» حكمت بالقوة. فقد اضطهدت خصومها واعتقلتهم، وكانت تحمى نفسها برجال الشرطة والمدافع. وفى الخارج كان الملك على خلاف مع قوتين كبيرتين: الكتلة الهاشمية فى العالم العربى، والكتلة البريطانية فى العالم الديموقراطى. وعملت هاتان الكتلتان على إخضاعه وربطه بعجلتيهما بجميع الوسائل المتوافرة لهما.

لكن الوضع اليوم تبدل كلياً تقريباً. ففى الداخل، لدى فاروق اليوم حكومة ائتلافية تمثل تقريباً جميع التيارات السياسية فى البلد، وعلى رأسها «الوفد» وتريد أن

تجربى للشعب المصرى انتخابات برلمانية حرة، تمكنه (فاروق) من استعادة السلطة. وفى الخارج علاقاته بالهاشميين والبريطانيين آخذة فى التحسن من يوم إلى آخر. والدليل على ذلك الزيارتان الأخيرتان اللتان قام بهما الملك عبدالله ونورى السعيد إلى الإسكندرية، ومحادثتهما الطويلة مع زعماء الحكومة والبلاط: عبدالرحمن عزام وسياسيين آخرين. كذلك الزيارات المتابعة التى يقوم بها عبدالفتاح عامر، مندوب مصر فى لندن، إلى وزارة الخارجية البريطانية.

وأعتقد أن ثمة سببين حملا البريطانيين وحلفاءهم المخلصين، الهاشميين، على تحسين علاقاتهم بالملك فاروق:

(١) الاستنتاج الذى توصل إليه ممثلو إنجلترا فى الشرق خلال مشاوراتهم الأخيرة فى لندن، إنه ينبغى تكتيل العالم العربى من جديد وربطه بالعجلة البريطانية، ومن أجل ذلك يجب إيجاد وسيلة للتفاهم والتعاون مع مصر.

(٢) الانقلاب الجديد فى سوريا الذى أسقط حسنى الزعيم، الذى كان قد أخذ على عاتقه محاربة الهاشميين والنفوذ البريطانى فى الشرق، وحل فى الحكم رجال جدد يرون أن مهمتهم الأساسية هى المحافظة على الوضع الراهن فى العالم العربى وعدم تفضيل دولة على أخرى فى علاقاتهم الخارجية. مثلاً: مصر على شرق الأردن، أو فرنسا على بريطانيا.

واضح، من هذا الوضع، أنه ليس ثمة ما يبرر تسرع فاروق لعقد حلف مع إسرائيل، بصورة أو بأخرى. ويبدو أنه يعتبر اليوم أن عليه الظهور مرة أخرى كبطل قومى، وتزعم أولئك السياسيين العرب الذين يواصلون الحديث عن مقاطعة إسرائيل وعن الحرب الباردة ضدها.

إننا ننتظر عودة «روبين» لنطلع على تعليماتك الجديدة، خصوصاً لمناسبة تصفية عملية لوزان فى هذه الأيام!.

«نحية وسلاماً»

«المخلص إلياس»

ونصل إلى آخر رسائل «ساسون» إلى شاريت!!.

كانت الرسالة رقم ١٢، وفي هذه الرسالة أسهب «ساسون» في وصف المشاعر واللحظات الحميمة التي تخللت لقاءه مع «عبدالمنعم مصطفى» فقد كان الحديث على حد قوله «حديث وداع» بينهما!!.

اعترف عبدالمنعم مصطفى لساسون بأنه سوف يستقيل نهائياً من العمل السياسى، ثم يتفرغ لزراعة أرضه، كانت الرسالة مؤثرة وهامة ومن الضرورى قراءتها كاملة!.

وجاءت رسالة ساسون على هذا النحو:

لوزان ٨ / ٩ / ١٩٤٩.

إلى موشيه العزيز وافر التحية.

تحدثت اليوم مدة ساعة إلى «عبدالمنعم مصطفى» رئيس الوفد المصرى. وكان حديث «وداع» إذ أنه سيعود، بعد بضعة أيام، إلى بلده ليقدم إلى حكومته تقريراً عن محادثات لوزان، ثم يستقيل ليس فقط من رئاسة الوفد، بل من الخدمة الرسمية كلياً، إنه يعمل فى وزارة الخارجية المصرية منذ ٢٥ سنة، ويحق له أن يطلب إحالته على التقاعد. وهو يرغب فى أن يتفرغ لزراعة أراضيه وأراضى عائلته، وفى الوقت نفسه لتأليف كتاب عن مشكلة فلسطين. وقد وعد بأن يكون موضوعاً مائة بالمائة.

إنه لايعرف، حتى الآن، أية طريق سيسلك فى العودة إلى بلده، طريق اسطنبول أم باريس، إذا سلك الطريق الأخيرة- وهذا يتوقف على التعليمات التى سيتلقاها، خلال هذه الأيام، من حكومته- فسيكون مستعداً وبطيبة خاطر، أن ينتظر بضعة أيام فى باريس ليراك، وليطلعك على رأيه فى محادثات لوزان، وعلى مطالب مصر النهائية، وليستمع إليك، ثم ينقل ماترغب فى قوله إلى حكومته.

فى مستهل الحديث، كان عبدالمنعم غاضباً على العالم كله. كان غاضباً على أعضاء لجنة التوفيق الذين لم يظهروا أبداً كمحايدين، لا فى المحادثات الخاصة ولا الرسمية، بل بحث كل منهم قبل أى شئ عن مصلحة حكومته. وكان غاضباً على رؤساء الوفود

العربية الذين صرفوا اهتماماً شديداً ووقتاً طويلاً إلى المسارح والملاهي وعلى «فتيات سويسرا الشقراوات» أكثر مما صرفوا على العمل الذي حضروا من أجله إلى لوزان، أضف إلى ذلك أنهم صوتوا من أجل نقل عمل اللجنة إلى نيويورك وليك سكسيس وفضلوا، حلاً مفروضاً على حل متفق عليه، ليتمكنوا من الحضور إلى أمريكا، ومشاهدة بلد غربي جديد، و«فتيات جديدات».

وهو غاضب على الأمريكيين عامة، الذين يظهرون في كل مكان كأسياد العالم، مدعين أنهم يريدون مصلحته، بينما هدفهم الأساسي هو السيطرة عليه واستعباده لدولاراتهم. وكان مضطراً كرئيس للوفد المصري، إلى أن يرحب بلجنة المسح الدولية في كل مكان، وكأنها جاءت لتطوير الشرق العربي، والمساعدة على حل مشكلة اللاجئين. ولكنه، كمصري قومي، كان عليه أن يثور على النوايا الإمبريالية الأمريكية المستترة وراء لجنة المسح الدولية، والتي تهدف إلى منح الحق في موطن قدم قانوني ثابت «لغلاة المستغلين ومصاصي الدماء»، رجال الغرب، في الشرق العربي. إنه غاضب على الدول العربية التي هزمت في حربها ضد إسرائيل، وترفض الاعتراف بهذه الحقيقة الأبدية. وكان على هذه الدول المهزومة أن تفعل أحد أمرين: إما أن تخضع وتقبل شروط الإسرائيليين، أو أن تحارب من جديد وتزيل الوصمة عن جبينها. ولكن من غير المعقول، على الإطلاق، أن تتنكر للحقيقة وتتقدم بمطالب متطرفة كجائزة على فشلها، وهذا هو البرهان الأكيد عن عدم النضج السياسي الكامل. وهو لا يريد، كرجل يحترم نفسه، أن يظل شريكاً في «سياسة منحطة أو غريبة كهذه». وسيسجل كل هذا في كتابه عن فلسطين. وهو غاضب على إسرائيل أيضاً التي تتحدث، بحسب رأيه، عن السلام «بالكلام فقط»، «إنها تظهر في كل مكان كمنتصر يعتمد على قوته فقط». ونحن لانحاول - على حد قوله - أن ندرك فداحة الضربة التي وجهتها إسرائيل إلى العالم العربي، وأن نجد لها العلاج المطلوب.

بعد كل هذا الكلام، انتقلنا إلى الحديث بهدوء عن عمل لجنة التوفيق، وقد اتضح أنه متفق معي على ضرورة بذل الجهد لتأجيل موعد انعقاد اللجنة في نيويورك.

والاستئثار بالضرورة على مشكلة فلسطين في الجمعية العمومية، سيؤدي دون شك إلى تآزم العلاقات من جديد بينا وبين العالم، وستحول الجمعية إلى منصة خطابه للإسرائيليين والعرب الذين يتنافسون فيما بينهم، ويهاجمون ويشتمون بعضهم بعضا. لقد تحدث عن ذلك إلى بواسنجيه، وروكويل، ويلطشين، واقترح عليهم عقد اجتماع جديد للجنة، بعد أن تنهى لجنة المسح الدولية عملها، ولكن عبثا، فقد أصرروا على رأيهم. وكان بإمكانه مواصلة الضغط لو وجد تأييدا من رفاقه بقية رؤساء الوفود العربية، إلا أن هؤلاء لم يؤيدونه. ليس هذا فقط، بل إنهم انتقدوا أيضاً موقفه وناقشوه فيه.

وهو لا يزال يأمل في إمكان التأثير على حكومته كي لاتستجيب بسرعة لدعوة اللجنة إلى الحضور إلى نيويورك، ولتحاول إقناع الدول العربية بقبول موقفها. على أى حال، سيبذل جهده لترسل حكومته تعليمات إلى وفدها في ليك سكسيس ليكون لبقا في مناقشاته مع وفد إسرائيل، ويقلل من الكلام قدر الإمكان.

في نهاية الحديث، تكلمنا عن رد الوفود العربية على مذكرة اللجنة الدبلوماسية في ١٥ آب (أغسطس). وهو موافق على أنها بالغت في مطالبيها الإقليمية. لم يكن بإمكانها التصرف بشكل آخر لتحقيق جميع مطالبيها وتظهر متراصة «ككتلة واحدة». ولكن ليست هذه كلمة العرب الأخيرة. وليست هذه على أى حال، كلمة مصر الأخيرة.

ورداً على سؤالى إذا كان مستعدا للانتقال إلى باريس ليتابع معنا محادثات شخصية، أجاب أنه لو كان يرغب في الاستمرار في الخدمة الحكومية لفعل ذلك بسرور، لكنه وعد بأن يقدم اقتراحى إلى حكومته.

وأشار أن باستطاعته اقتراح ذلك مباشرة على «صديقى» فى مصر.

وطلب منى، خلال الوداع، أن أنقل تحيته إلى جميع أعضاء وفد إسرائيل الحاليين والسابقين. كما طلب منى أن أدرك أن الصداقة التى قامت بيننا قوية، وأن اعتبره دائما الشخص المستعد للمساعدة فى كل وقت وأوان.

انتهى ماكتبه «ساسون» إلى شاريت، لكن أخطر وأجمل ماينسبه «ساسون» إلى عبدالمنعم مصطفى هو أنه «مصرى قومي كان عليه أن يثور على النوايا الإمبريالية الأمريكية» كما أنه «غاضب على الدول العربية التي هزمت في حربها ضد إسرائيل وترفض الاعتراف بهذه الحقيقة»، وهو أيضاً غاضب على رؤساء الوفود العربية الذين صرفوا اهتماماً شديداً ووقتاً طويلاً إلى المسارح والملاهي مع فتيات سويسرا الشقراوات!!.



ماجري في «لوزان» يستحق القراءة الهادئة، والتأمل الأكثر هدوءاً!.
عبر صفحات كتاب ١٩٤٩ الإسرائيليون الأوائل للكاتب الصحفي توم سيفغ
نرصد ماجري! كتب توم سيفغ يقول مايلي:

في أحد أيام النصف الثاني من أغسطس ١٩٤٩ سافر «إلياهو ساسون» و«رؤوين شيلواح» (رئيس دائرة المعلومات التابعة لإدارة الوكالة اليهودية) إلى «لافايت» وهي بلدة صغيرة بالقرب من لوزان، من أجل التفاوض مع رئيس الوفد المصري «عبدالمنعم مصطفى» إلى محادثات الصلح. وقد استمرت محادثاتهم سبع ساعات تقريباً. كما وصفها «ساسون» في إحدى الرسائل [الرسالة رقم ١٣] التي اعتاد إرسالها بانتظام إلى «موشيه شاريت».

لم تكن هذه المحادثات هي الأولى التي تجرى بين الإسرائيليين والدبلوماسي المصري (عبدالمنعم مصطفى) غير أن سيرها ومضمونها ونتائجها عكست جيداً وضع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية. فقد كان هناك اتصال و«اعترف» العرب بدولة إسرائيل، كما كان هناك استعداد مبدئي للبحث في السلام، لكن إسرائيل رفضت الشروط. /

طالب المصريون بأن يصبح «النقب» مع الضفة الغربية دولة عربية مستقلة، تشكل حاجزاً بين إسرائيل ومصر، وبين مصر وشرق الأردن، وأوضح «عبدالمنعم مصطفى» أن إقامة هذا الحاجز بين إسرائيل ومصر في كل النقب سيتيح توطين قسم كبير من

اللاجئين فى أرض إسرائيل بينهم نحو ٢٦٠ ألف لاجئ يقيمون فى مصر وقطاع غزة، وربما يصبح فى الإمكان نقل المزيد من اللاجئين إلى هناك من أماكن أخرى.

وحسب مايقول المؤلف «توم سيفف» فإن الدبلوماسى المصرى «عبدالمنعم مصطفى» قال:

«إن النقب الشمالى صالح للاستيطان كله، وبمساهمة مالية من الولايات المتحدة ومن دول عربية، يصبح فى الإمكان تنفيذ المشروع، ولقد رأى فى المشروع ميزة كبرى يمكن أن يُعرض كتحقيق لمشروع التقسيم المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، واقترح فى مقابل ذلك اتفاقاً للسلام».

وقام «ساسون» و«شيلواح» بلفت انتباه «عبدالمنعم المصرى» إلى أن مشروع ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ للتقسيم وضع النقب ضمن حدود الدولة اليهودية.

ورد عبدالمنعم المصرى بأنه يعرف ذلك، غير أن المشروع أعطى العرب الجليل، ومن الواضح له أن إسرائيل لن تتخلى عن الجليل.

وأجاب «ساسون» و«شيلواح» بأن إسرائيل لن تتخلى حتى عن شبر واحد فى النقب أيضاً.

واعتبر «عبدالمنعم المصرى» أنه فى هذه الحال ليس هناك أى أساس للتفاهم بين الدولتين، ومن الأفضل أن تمثلاً أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، ووعد بأن توافق مصر على قرار الجمعية العامة، وأن تجلو عن غزة لو طلب منها ذلك، لكن عندها لا يظل هناك أى أمل بالتفاهم أو بالسلام والتعاون بين الدولتين!.

واختتم «عبدالمنعم مصطفى» كلامه بتحذير مؤداه: «ويمكن أن تنشب حرب بينهما، لكن ليست حرب بنادق ومدافع بل حرب باردة: حرب سياسية واقتصادية».

ولاحظ: «إلياهو ساسون» أن «عبدالمنعم المصرى» ثار بعض الشئ عند هذه النقطة، ومضى «عبدالمنعم مصطفى» يقول:

- افهموا أن مصر لا ترغب فى حدود مشتركة مع إسرائيل، ولكانت - مصر - سعيدة لو لم تقم إسرائيل، فلقد فعلت كل شئ من أجل منع إقامتها.

إن مصر مقتنعة بأن دولة إسرائيلية ستكون غريبة عن العرب في كل شيء، وبأنها ستشكل داخل المحيط العربي - وبالضرورة عنصراً دائماً للنزاعات والتعقيدات وعدم الاستقرار في الشرق.

وأضاف «عبدالمنعم مصطفى» إلى ماسبق قوله:

«يمكن أن تكون مصر مخطئة في تقدير نيات إسرائيل وعقليتها، لكن من غير الممكن، وعلى الأقل في هذه الفترة اقتلاع هذا التفكير غير السليم من عقل مصر بالكلام فقط. أن مصر لن تشعر بالاطمئنان والمناعة وعلى حدودها في النقب ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين يهودي كلهم مثقفون وأصحاب مبادرة ويتمتعون بروح التضحية»!!.

ولذلك كله دعا «عبدالمنعم مصطفى» إلى «إقامة دولة فاصلة عربية فلسطينية في النقب» وحسب مايقول مؤلف الكتاب أيضاً: فإن الإسرائيليين حاولوا إقناع «عبدالمنعم مصطفى» بخطئه وضلاله، وقالوا له إنه لا أساس لمخاوفه، غير أن «عبدالمنعم المصري» كرر أنه يمكن أن يكون على خطأ، لكن يجب أن تأخذ مصر في حسابها أسوأ الاحتمالات، وأوضح الإسرائيليون أنه إذا قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعطاء النقب للمصريين، فستخذلها إسرائيل لأن النقب حيوى جداً بالنسبة إليها.

وقال «عبدالمنعم المصري» افعلوا ما يحلو لكم».

وقال: «ساسون» إن هذا النقاش مع محاورنا - يقصد عبدالمنعم مصطفى - في شأن النقب لم يمكننا من مناقشة مشكلات أخرى، وعندما حاولنا ذلك قال: إنه لا فائدة منه، وعندما أردنا موعداً آخر للقاء قال إنه مستعد للاجتماع إلينا في أية ساعة، لكن مادام هذا هو موقفنا فالأفضل الاجتماع للحديث عن أي شيء ما خلا الأمور السياسية.



ولم يترك عبدالمنعم مصطفى ورقة واحدة تشير إلى لقاءاته مع «ساسون»!.

وليس معروفاً أيضاً ماذا جاء في التقرير الذي كتبه إلى وزارة الخارجية عن
محادثات لوزان!!!.

ورحل الرجل ومعه كل الأسرار والألغاز!!!.



لكن حكاية ساسون لم تنته عند هذا الحد!!!.

كان أخطر لقاءاته على الإطلاق وأكثرها إثارة مع الملك «عبدالله» ملك الأردن!
[وتلك حكاية أخرى]!!!.

**الملك عبد الله
ساسون
فى قصر الملك**

«.. فشل.. إلياهو ساسون» فى الوصول إلى «الملك فاروق»، لكنه نجح فى الوصول إلى الملك: عبدالله ملك الأردن وجد الملك حسين!!

كان أقصى ما استطاعه «إلياهو ساسون» فى جولاته المكوكية بين القاهرة وبعض العواصم الأخرى أن يلتقى برئيس وزراء مصر «إسماعيل صدقى باشا» و«رئيس مجلس الشيوخ د. محمد حسين هيكل باشا» و«كريم ثابت» المستشار الصحفى للملك فاروق.. وخارج القاهرة التقى «بعبدا المنعم مصطفى».

لكن «إلياهو ساسون» نجح فى اتصاله بالملك «عبدالله» واستطاع تحويل هذه الاتصالات إلى علاقة وثيقة وصداقة حميمة بلغت ذروتها عندما سافر لمقابلة الملك «عبدالله» فى قصره بعمان ويقدم له هدية بمناسبة تتويجه ملكا، وكانت الهدية مبلغاً نقدياً قيمته ستة آلاف جنيه!!

لم يكن «إلياهو ساسون» غريباً عن الملك عبدالله. بل كان صديقه الحميم!! والواسطة القديمة للتفاهم بين الملك عبدالله واليهود(!!)

وحسب رأى الكاتب الإسرائيلى. «توم سيغف» فقد كان ساسون «يتصرف كأهل البيت فى العواصم العربية»!!



كانت جريدة «أخبار اليوم» أول من أزاح الستار عن لقاءات «إلياهو ساسون» مع الملك عبدالله!

صدرت «أخبار اليوم» فى ١٨ مارس ١٩٥٠، ونشرت صورة لبعض خطابات الملك إلى قادة إسرائيل، وخطابات من قادة إسرائيل إلى الملك عبدالله!

وكتبت أخبار اليوم تقول: «وأولى هذه الوثائق الخمس التى تعتبر أخطر ما نشر من أسرار السياسة العربية، خطاب بخط يد «المسيو إلياس ساسون» الذى كان مستشاراً للشئون الشرقية بوزارة الخارجية اليهودية، وهو الآن سفير إسرائيل فى تركيا».

وفى عدد أخبار اليوم التالى - الصادر فى ٢٥ مارس ١٩٥٠ - قامت أخبار اليوم

بنشر وثائق أخرى، وكان تعليقها على إحدى هذه الوثائق قولها: «إن الملك عبدالله قابل «ساسون»، وقابله مع دايان حاكم القدس العسكرى اليهودى فى الغور».

وعلى صفحات مجلة «آخر ساعة» كشف «محمد حسنين هيكل» عن أسرار أخرى.

ففى عدد ٢٣ مارس ١٩٥٠ أشار «هيكل» إلى أن الملك عبدالله قدم أغلى وأهم أسرار الجيش المصرى والجيش الأخرى التى عرفها جلالته بوصفه قائداً أعلى للجيش العربى، ثم بصفته عضواً فى الجامعة العربىة.. أى بعد يومين من اتصال الملك بإلياس ساسون «المبعوث اليهودى لمفاوضة جلالته فى القدس!!»



كان «عبدالله التل» قائد معركة القدس شاهداً ومشاركاً فى كل تلك الاتصالات والمقابلات بين الملك «عبدالله» و«إلياهو ساسون»!

وفجأة هرب «عبدالله التل» من عمان ووصل إلى القاهرة فى أواخر يناير ١٩٥٠ ومعه كل أوراقه ومذكراته وشهادته حول كل ما جرى، وأرسل «عبدالله التل» بياناً إلى الصحافة ونشرته «الأهرام» فى ٢٨ يناير ١٩٥٠، وقال فيه عبدالله التل ما يلى: «إننى لم أختلف مع السلطات الأردنية على مسائل شخصية بسيطة، بل اختلفنا على مسائل مهمة وخطيرة تتعلق بالوضع الحالى فى الأردن».

وبعد تسع سنوات بالضبط قام «عبدالله التل» بنشر مذكراته، وعنوانها «كارثة فلسطين» ونشرها فى القاهرة عن «دار القلم» وتقع فى ٦٤٦ صفحة.

وابتداء من صفحة ٤٣٧ بدأ عبدالله التل شهادته تحت عنوان «الاتصالات السرية بين اليهود والملك عبدالله» موضحاً دور «إلياهو ساسون» بكل تفاصيله المثيرة.

كتب «عبدالله التل» يقول: فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ اتصل رئيس المراقبين الدوليين هاتفياً بعبدالله التل، وأخبره أن الكولونيل «ديان» يريد مقابلته فى الحرام لأمر مهم.

وذهب «عبدالله التل» حسب الاتفاق ليجد «موشى ديان» فى انتظاره ومعه أحد المراقبين المعينين لتلك المنطقة. وتقدم ديان وأخبر «عبدالله التل» أنه يحمل رسالة مهمة جداً من شخصية يهودية كبيرة إلى الملك «عبدالله»!

تسلم «التل» الرسالة من ديان ووعدته بتأمين إيصالها إلى الملك «عبدالله»، وقبل رحيل ديان عاد ليؤكد «للتل» على أهمية الرسالة وضرورة ألا يفتحها إلا الملك نفسه!!

ويعترف عبدالله التل بأنه أحس بعوامل قوية تدفعه إلى فض الرسالة والاطلاع على ما فيها، من هذه العوامل الشك فى سير الأمور، وفى نوايا الملك عبدالله نفسه ثم رغبة «التل» فى معرفة الحقيقة لعله يستطيع حسب قوله - تدارك ما يمكن تداركه. وهكذا قرر «عبدالله التل» فض الرسالة بعد أنه أزال عنها الشمع الأحمر، وراحت عيناه تقرأ سطورها بحضور الرئيس «قسيم محمد».

كانت الرسالة بخط وتوقيع «إلياهوساسون» وكما يقول التل وبمجرد قراءتى لاسم «ساسون» تذكرت هذه الشخصية المعروفة لدى الأردنيين بصداقتها المتينة للبلاط الهاشمى.

بدأت رسالة «إلياهوساسون» إلى الملك «عبدالله» كما يلى، وحسب النص الحرفى للرسالة التى كانت مكتوبة بلغة عربية وخط واضح جميل (!!)

مولاي المعظم: إجلال واحترام وبعد. أرجو أن تكونوا جلالتكم بعناية الصحة أدامها المولى عز وجل عليكم.

سيدى: لقد وصلت اليوم إلى القدس عائداً من باريس. لمدة قصيرة، للاتصال بجلالتكم - إذا تفضلتم وأذنتم بذلك - والتعاون على حل الأمور المعقدة، والوصول إلى ما نتمناه جميعاً فى إحلال السلام فى ربوع هذه البلاد العزيزة على جلالتكم وعلينا، فأرجو جلالتكم والحالة هذه أن تتكرموا وترسلوا إلى القدس لمقابلتى والبحث معى أحد الأشخاص الذين تثقون بهم، وأرجو أن يكون هذا الشخص مصحوباً

بالصديق الدكتور «شوكت باشا»، وأن يكون كذلك من المخلصين للقضية المشتركة.
هذا وأرجو أن يأتى هذا الشخص فى أسرع ما يمكن، وإن أمكن غداً السبت حيث
أوقاتي قصيرة جداً، ومضطر أن أعود إلى باريس فى أسرع ما يمكن، هذا وإنى أتمنى
أن تساعدنى الظروف على التشرف بمقابلة جلالتك فى إحدى الفرص السعيدة إن
شاء الله.

وأرجو أن يكون الشخص الذى سيأتى لمقابلتى حاملاً الكثير من ملاحظات
جلالتك بشأن كافة الأمور لنسترشد بها فى حديثنا، وأطال المولى بقاء جلالتك.

المخلص

«إلياس ساسون»

القدس الجمعة ١٠ / ١٢ / ١٩٤٨

ملاحظة: لقد قابلت قبل تركى لباريس حضرة الصديق الأمير عبدالمجيد حيدر
وتكلمنا مطولاً فى عدة أمور.

انتهت رسالة «ساسون»!

وقبل أن نمضى مع مذكرات «عبدالله التل» تجدر الإشارة إلى أن القراءة الهادئة
لمضمون ومحتوى رسالة «ساسون» للملك «عبدالله» تكشف ببساطة شديدة عن
مدى الثقة التى يحوزها «ساسون» عند الملك، فهو لضيق وقته يطلب من الملك إرسال
من يثق به فى أسرع وقت!!

وهو أيضاً - أى ساسون - يحدد بالاسم الشخص الذى يرافق من يرسله الملك
وهو د. شوكت باشا!!

والأهم من ذلك أن «ساسون» يرجو الملك بأن يكون من المخلصين للقضية
المشتركة!!

وأخيراً يتمنى «ساسون» عندما تساعد الظروف على التشرف بمقابلة الملك
عبدالله فى إحدى الفرص السعيدة حسب وصف ساسون نفسه!!

وبعد الملاحظات السابقة نعود إلى مذكرات التل، الذي كان قد تقابل مع الملك عبدالله وسلمه رسالة ساسون.. وما جرى بعدها يرويّه «عبدالله التل» فيقول:

سافرت إلى الشونة مبكراً في صبيحة يوم السبت ١١/١٢/١٩٤٨ واجتمعت بجلالة الملك الساعة الثامنة تماماً وقدمت له الرسالة بعد أن وضعتها في مغلف جديد ختمته بالشمع الأحمر، وما أن بدأ جلالتة بقراءتها حتى انبسطت أساريره وتهلل وجهه فرحاً وأعاد لي الرسالة لأقرأها، ثم خرج برهة وعاد معه الدكتور «شوكت الساطي» طبيب جلالتة الخاص فسلمه الرسالة وقال بالحرف الواحد: «تذهب يا باشا للقدس، وتقابل ساسون لتفاهم معه على المسائل المعلقة، وعبدالله بك يساعدك في الأمور الفنية».

ثم أمر (الملك) بإحضار ورقة بيضاء وبدأ يملأ على الدكتور ما يلي ليلغّه إلى «ساسون»:

- ١ - يسرنا أن تكون مذاكرة معكم.
- ٢ - تعلمون أن أية مذاكرة منفردة إن لم تكن موفقة فهي ستجر متاعب من الناحية العربية، وبالأخص من الخصوم السياسيين فوق ما تتصورون.
- ٣ - قرار مؤتمر أريحا يجب أن يكون بالغ الاحترام.
- ٤ - مسألة اللد والرملة يجب أن تكون على الحالة التي سبقت الانسحاب منها. لأنكم تدركون المتاعب التي لحقتنا بعد الانسحاب.
- ٥ - مسألة يافا تحت المذاكرة، والقدس القديمة عربية. واليهودية بيد أهلها.
- ٦ - مسألة النقب تحت المذاكرة، وكذلك الجليل.
- ٧ - مسألة اللاجئين تحت المذاكرة.

ويضيف «عبدالله التل» قائلاً: وعندما أنهى (الملك) إملاء ملاحظاته أمرني أن أسافر إلى عمان، وأعرض رسالة «ساسون» على رئيس الحكومة الأردنية السيد «توفيق أبو الهدى» فسافرت بعد أن اتصل الملك برئيس الحكومة هاتفياً وأبلغه عن سفرى بالرسالة الهامة.

وصلت إلى عمان الساعة ١٢ ظهراً، واجتمعت برئيس الحكومة في مكتبه، وقدمت له الرسالة، وبعد أن قرأها خاطبني قائلاً: «الحكومة ما عندها مانع، وجلالة سيدنا يطلعنا دائماً على نتيجة اتصالاته الشخصية مع اليهود في لندن وباريس، أما نحن فلا يمكننا أن نفاوض اليهود علناً حتى لا نكون موضع انتقاد من الدول العربية، مع أننا نوافق على كل ما يتوصل إليه سيدنا من اتفاق معهم».

بعد ذلك أخذ «عبدالله التل» الرسالة وعاد للشونة حيث اجتمع بالدكتور «شوكت» حيث علم منه أنه سيحضر للقدس هذا المساء للاجتماع «بساسون» في الساعة السادسة والنصف.

ثم وصل «التل» إلى القدس. وتقابل مع «ديان» في المنطقة الحرام، وقام بإبلاغه أن الرسالة وصلت للملك عبدالله، وسوف يوفد - الليلة - الدكتور شوكت للاجتماع ببساسون إذا كان ذلك ممكناً.

ورد ديان على كلام «التل» بالموافقة لأن ساسون موجود بالقدس، ويسهل إحضاره لمكان الاجتماع المتفق عليه في المنطقة الحرام بباب الخليل.

وقبل الذهاب إلى الموعد المقرر طلب «التل» من د. شوكت الملاحظات التي أملاها عليه الملك، وبعد أن أمعن فيها النظر وجد «التل» أنها مبهمه وخطيرة، واتفق مع د. شوكت على إهمالها تماماً وتقديم نقاط جديدة كانت كما يلي:

- ١ - وجوب إعادة اللد والرملة كدليل على حب التفاهم.
- ٢ - وجوب إعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم قبل فوات موسم الزراعة.
- ٣ - بحث اقتراح «برنادوت» ومشروع التقسيم للتوصل لحل يرضى الطرفين.
- ٤ - إعادة الأحياء العربية في القدس الجديدة.

وقبل الموعد المحدد بخمس دقائق تحرك «عبدالله التل» ود. شوكت لمكان الاجتماع وعند وصولهما وجدا «ساسون» و«ديان»!

وكتب «التل» في مذكراته يصف ما جرى وما حدث فيقول: «ما أن شاهد

«ساسون» الدكتور (شوكت) حتى تقدم إليه وصافحه بحرارة، ثم بدأ الدكتور بالحديث، وبلغ «ساسون» نحيات الملك (عبدالله) وسروره من رسالة «ساسون» الرقيقة. وهنا تبادل الصديقان القديمان عبارات العتاب على سوء التفاهم الذي وقع وأدى إلى الاشتباك المسلح، ومما قاله الدكتور.. لصديقه «ساسون» معاتباً: كانت جولدا مايرسون (مائير) جافة أثناء مقابلتها لجلالة سيدنا قبل الاضطرابات ولو حضرتم بنفسكم لأمكن التفاهم أحسن».

فرد «ساسون» مدافعاً عن جولدا مايرسون، ووضع اللوم على المترجم اليهودي الذي رافقها لعمان لأنه لم يوفق لشرح وجهات النظر جيداً.

وبدأنا ندخل في الموضوع الرئيسي فأخرج الدكتور ورقة الملاحظات التي اتفقنا عليها وشرحها «لساسون» بعد أن أكد له أن سيدنا يرحب بالمباحثات الأولية مع اليهود تمهيداً لعقد صلح رسمي.

ولما انتهى الدكتور من حديثه بدأ «ساسون» يعلق باختصار على النقاط التي قدمناها وتملص من إعطاء رأى قاطع عن أية ناحية وطلب إمهاله ليتذاكر (بتشاور) مع تل أبيب ثم يعطينا رأيه في الاجتماع المقبل.

بعد ذلك يقول التل: انتهى الاجتماع على أن يعقد ثانية مساء الاثنين ١٣/١٢/١٩٤٨، وعند وداعه ابتعد «ساسون» والدكتور عنا قليلاً ووفقاً لمدة عشر دقائق في خلوة تامة. أما ما جرى بينهما من حديث فقد أظهرته لى قرائن الأحوال مؤخراً كما سيرد معنا. وبعد افتراقنا عاد الدكتور إلى الشونة في نفس الليلة، وكان جلالة الملك لا يزال في انتظاره مع أنه يأوى لفراشه عادة في التاسعة تماماً. فشرح له الدكتور ما وقع في الاجتماع، وكيف أن رد «ساسون» سيقدمه إلينا في الاجتماع المقبل.



كان الاجتماع الثانى بين «إلباهوساسون» و«عبدالله التل» على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية!

كان الدكتور «شوكت الساطي» قد حضر إلى القدس بعد ظهر الاثنين ١٣ ديسمبر ١٩٤٨ واجتمع به «التل» قبل الذهاب للقاء «ساسون»، وفي هذا الاجتماع القصير «اتفقنا على أن نسمع منهم في هذه المرة، ولا نقدم أية ملاحظات، وذلك لجس النبض والاطلاع على بعض ما يكونه».

وفي الساعة السادسة والنصف وصلنا إلى المكان المقرر في المنطقة الحرام، فالفينا «ساسون» ومساعدته «ديان» في انتظارنا، وبعد أن بلغ الدكتور سلامات سيدنا (الملك) وتحياته لساسون كالمعتاد، رد «ساسون» مبلغاً تحيات «بن جوريون» و«شروتوك» (شاريت) لجلالته.

ثم بدأنا الحديث الرسمي عن النقاط. عندها أخرج «ساسون» ورقة من جيبه ورجا الدكتور أن يسجل الملاحظات الواردة فيها ليقدمها للملك في الشونة.

فبدأ «ساسون» يملي، والدكتور يكتب، وكانت تلك الملاحظات كما يلي حرفياً:

١ - إذا كان جلالة سيدنا يرغب في تنفيذ مقررات أريحا فلا اعتراض لنا على ذلك، ونظن أن المستحسن أن ينفذها في أسرع وقت ممكن حتى يضع خصومه وأصدقاءه أمام الأمر الواقع. وللأمر الواقع أهمية كبرى عند دول أوروبا وأمريكا وقد جربنا ذلك بأنفسنا.

٢ - في حالة إقدامه على تنفيذ هذه المقررات نرجوه ألا يتعرض للناحية اليهودية لا بخير ولا بشر، ويكتفى بالقول بأنه يقدم على ذلك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولإعادة الهدوء والسعادة إلى الشعب العربي الفلسطيني.

٣ - نرجوه في حالة إقدامه على تنفيذ المقررات ألا يحدد موقفه النهائي من ناحية مصير القدس - لا القديمة ولا الجديدة أننا نعتقد أنه يجب ترك مصيرها إلى مباحثات واتفاقات بيننا وبين جلالته مباشرة في القريب العاجل، ونعتقد أن هناك حلاً يرضيه ويرضيها.

٤ - ننصح لسيدنا بإعلان الهدنة الرسمية الطويلة - هدنة دائمة - وهذا يساعد على

سحب جيوشه من جميع الجبهات واستخدامها في جهات أخرى، إذا ما اقتضت الحاجة لذلك، وإذا كانت الظروف الحاضرة تحول دون إعلان ذلك فبالإمكان الاتفاق على ذلك سراً بيننا. وفي مثل هذه الحالة نؤكد له بأننا لن نتعرض بسوء إلى مراكزه في جميع الجبهات ونحترمها كل الاحترام، حتى نهاية المباحثات ولو طال الأمر شهوراً.

٥ - نحن ننصح لسيدنا أن يعمل بسرعة على سحب القوات العراقية من الحدود وإحلال قوات أردنية محلها للمحافظة على الأمن الداخلي فقط، وإذا فعل ذلك فإننا نؤكد له بأننا لن نمس هذه الأماكن بسوء حتى نهاية المباحثات، أما إذا بقيت القوات العراقية في مراكزها فنخشى أن نصطدم بها يوماً من الأيام.

٦ - ننصح لسيدنا أن يسعى جهده لسحب القوات المصرية من جنوب القدس والخليل ليخلص من المتاعب السياسية التي يخلقها وجود هذه القوات في أي وقت.

٧ - ننصح لسيدنا أن يتجنب قدر الإمكان وساطة الأجانب لتسوية الأمور بيننا وبينه، وأن يفضل مثلنا المباحثات المباشرة فإن هذا في نظرنا أدعى للنجاح. سواء كان من الناحية العسكرية أو السياسية.

٨ - إذا أعرب سيدنا عن موافقته على النقاط السبع السالفة فإن في استطاعتنا أن نؤكد له بأننا سوف نقوم بالدعاية لمقررات أريحا في جميع أرجاء العالم.

ويمضي «عبدالله التل» قائلاً في مذكراته: انتهى «ساسون» من إملاء ملاحظاته، أو بالأحرى نصائحه، وتجاهل بحث النقاط الرئيسية التي قدمناها له في الاجتماع الأول. ولا شك أن القارئ يلاحظ من هذه النقاط اهتمام اليهود بالتعليق على مقررات أريحا مع أنه لم يرد لها ذكر في النقاط التي قدمناها مما يدلنا على خيوط الخلوة السرية التي تمت بين «ساسون» والدكتور في الاجتماع السابق.

وحينما تصافح الدكتور و«ساسون» للوداع ابتعدا قيد خطوات منا وتهامسنا لبضع دقائق استطعت خلالها أن أسمع بعض الألفاظ تدور حول المادتين (الخامسة والسادسة) من ملاحظات اليهود للملك.

وأخيراً افترقنا على أن نعود لساسون برأى الملك.



كان ما يجرى كله وليس بعضه أشبه بما يحدث فى الأفلام البوليسية، ولكن هذا ما جري بالفعل!!

وكان أكثر الناس قلقاً وحيرة على معرفة ما دار فى ذلك اللقاء هو الملك عبدالله!
كان من عادة الملك أن ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً!!

لسنوات طويلة لم يكن هناك شىء يدعو الملك عبدالله لتغيير هذه العادة إلا فى تلك الليلة وحدها!!

فى تلك الليلة سهر الملك «عبدالله» على غير عادته!!

كان الملك ساهراً فى قصره ينتظر وصول الدكتور «شوكت الساطى» ليعرف منه ماذا جرى فى اللقاء مع «إلياهو ساسون»!!

وعند الحادية عشرة ليلاً وصل أخيراً د. شوكت، وهنا فقط هدأ بال الملك، وفى الحال أخرج د. شوكت الرسالة التى حملها معه وقرأ مرادها الثمانى التى سبق وأن قام بإملائها «ساسون»، وكان الملك يعلق على كل مادة من هذه المواد بجملته مختصرة يسطرها على هامش الرسالة.

وفى مذكراته كتب «التل» يقول: وفى فجر الثلاثاء ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ اتصل بى جلالة الملك هاتفياً وتكلم باختصار قائلاً: الباشا يجيك اليوم مع جوابنا للجماعة أوصلوه لهم!!

والجماعة هنا تعني «اليهود» وكان جلالاته يرمز إليهم بهذه الكلمة عندما يكون الحديث سرياً.

وفى العاشرة صباحاً وصل الدكتور وأطلعنى على تعليق الملك على هامش الرسالة وقد كان هذا التعليق بحسب كل مادة كما يلى:

- ١ - هذا رأى حسن.
 - ٢ - هذه خطتنا من زمان.
 - ٣ - القدس القديمة للعرب والجديدة لليهود وتترك المسألة للمباحثات.
 - ٤ - أوافق على ذلك سرّاً بشرط أن يسرى على الجبهة العراقية.
 - ٥ - للمباحثات مع سمو الوصى.
 - ٦ - ممكن عند انتهاء المشكلة بيننا وبين مصر والجامعة العربية، أفضل قبول الهدنة السرية.
 - ٧ - للمباحثات السرية مع الباشا فيخبركم عن رأى.
 - ٨ - نعم.
- ويعترف التل قائلاً فى تعليقه على ما كتبه الملك عبدالله بقوله: وقد هالنى فى هذه الشروح الملكية أن أجد فى المادة الثالثة أنه لا يزال يقنع بالقدس القديمة للعرب، فأقنعت الباشا أن نضع كلمة «العربية» بدلا من القديمة واليهودية بدلا من الجديدة، فتكون الفقرة «القدس العربية للعرب، واليهودية لليهود».
- أما الألفاظ التى وردت فى المادتين الرابعة والسابعة فلم أعرها اهتماماً لأننى لم أكن أتوقع أن يتأمر الملك على حلفائه العرب الذين ورطهم فى فلسطين ثم خانهم واتفق مع اليهود على قهرهم حسب اعتراف جلالته نفسه، وكما سيرد فيما بعد.
- بعد ذلك يروى «عبدالله التل» كيف بقى د. شوكت فى القدس حتى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر الثلاثاء ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ واجتمع بساسون للمرة الثالثة وأطلعه على رد الملك على الملاحظات والنصائح.
- والملفت للانتباه هو عدم حضور «التل» هذا الاجتماع بسبب استدعاء الملك له «لسبب ظاهرة استشارتى فى أمر تعيين أحد أنجاله نائبا للملك فى فلسطين، وباطنه إيعادى عن اجتماع الدكتور بساسون هذه المرة».

وبعد عودة التل من الشونة تقابل مع الدكتور الساطي وسأله عن نتيجة اجتماعه مع «ساسون» فأكد له أنه عرض لساسون الرد الملكي بحسب اتفاقنا ولم يزد عليه شيئاً.



وعاد «التل» ليقول في مذكراته: «طلب اليهود الاجتماع بالدكتور (الساطي) في السادسة والنصف من مساء الخميس ٣٠ / ١٢ / ١٩٤٨، ولما وصل الدكتور للقدس توجهنا لمكان الاجتماع، وقد أدهشنا ألا نجد هذه المرة «ساسون» و«ديان»، بل وجدنا «ديان» ومعه شخص آخر عرفنا بنفسه وكان «روين شيلوح» من مساعدي وزير خارجية إسرائيل، وكان يجيد العربية كذلك، وقد بادرنا شيلوح قائلاً: مع إننا نثق في جلالة سيدنا ونعلم تماماً إنه يحافظ على كلمته، إنما الأصول تقضى بأن نتبادل أوراقاً رسمية تثبت تفويضنا وتفويضكم للكلام عن إسرائيل وجلالة سيدنا».

وحسب كلام «التل» فقد وعد الدكتور بإحضار التفويض المطلوب على أن يحضر اليهود مثله.

وعاد الدكتور «شوكت الساطي» إلى الملك عبدالله وأطلعه على نتيجة الاجتماع وكيف أن «ساسون» اختفى وحل محله «شيلوح» واتصل الملك هاتفياً بعبدالله التل وأمره بأن يقابله صباح الجمعة ٣١ ديسمبر.

وذهب التل لمقابلة الملك الذي كان يجلس معه الدكتور و«تباحثنا في شأن التفويض المطلوب».

قال الملك: «يا عبدالله. الدكتور ما يعرف شيء والله أحاكمه ما يجاوبني، نريدك أن تخدمنا وتحكي بلسانا مع الجماعة».

وأجاب «التل» قائلاً: «أمركم مولاي، إنما المباحثات مع اليهود من واجب الحكومة المسئولة، وأنا عسكري بالدرجة الأولى».

قال الملك مستغرباً: «إيش الحكومة - خليك من الحكومة، أنا المسئول قبل كل إنسان، وأنت لا تخاف من شيء وأريدك أن تحس لي نبض الجماعة».

قال «التل» للملك: أمركم مولاى سأجس نبضهم بصورة غير رسمية.

وقام الملك عبدالله - بنفسه بوضع صيغة كتاب التفويض وأمر بطبعه ومضى «عبدالله التل» يقول: تقرر أن نجتمع لتبادل وثائق التفويض الأربعاء ١٥ يناير ١٩٤٩، وحضر الدكتور «السايطى» ومعه الوثيقة الملكية التى تفوضنى بالتحدث باسم جلالتة فتسلمتها من الدكتور، وذهبنا فى السادسة مساء لمكان الاجتماع فى «ماندلبوم» بالمنطقة الحرام، وهناك وجدنا «شيلوح» و«ديان» فقدا إلينا وثيقة تفويضهما مكتوبة باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والعبرية وهى بتوقيع «بن جوريون» وشرتوك «شاريت» فتسلمتها واعتذرت لهما عن عدم إنجاز الوثيقة الملكية لأن جلالتة يريد صوغها طبقا لما يرد فى وثيقتهم، فلم يعترضا على ذلك.

أما الوثيقة الملكية - فيعترف التل - بأنه قد احتفظ بها ولم يقدمها لليهود، وحسب الصورة الزنكوغرافية التى نشرها التل فى مذكراته للوثيقة فقد كانت كالتالى :

عبدالله بن الحسين

عمان فى ربيع الأول ١٣٦٨

الموافق اكانون الثانى ١٩٤٩

قائد القدس العسكرى السيد عبدالله التل

أفوضكم للتذاكر مع الجانب الإسرائيلى فى الأسس المرغوب التفاهم عليها تذليلاً لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمى. وإن تفويضكم هذا هو تفويض شخصى، وسيتلو هذا التفويض الرسمى مع رفاق آخرين وبالشكليات الحكومية المعتادة فى مثل هذه المسائل.

وبما أن الغرض من التذليل هو إيجاد سبل السلام الحقيقى، فلا يجب إجراء أى أمر بدون أن يتفق عليه.

وهكذا جرى تبادل الوثائق من طرف واحد، كانت الجلسة لجس النبض، وفيها كشف «عبدالله التل» عن نوايا اليهود الحقيقية.

وكانت المفاجأة فى اعتراف الدكتور شوكت الساطى للتل بقوله «الجماعة - يقصد اليهود - تغيروا عما كنا نعرفهم».

وسافر الدكتور لمقابلة الملك عبدالله وأطلعه على ما جرى فى الاجتماع السابق، لكن الملك لم يطمئن لشرح الدكتور، وطلب التل لمقابلته مساء السبت ٨ يناير ١٩٤٩، لكى يستمع منه أيضا.

ويقول «التل» فى مذكراته:

وفى صباح الثلاثاء ١١ / ١ / ١٩٤٩ دق جرس التليفون وكان المتكلم جلالة الملك، فبدأ الحديث بنعمة جديدة لها شىء من الاستلطاف والمداعبة وأخيراً قال: أريدك أن تجيب لنا صديق الدكتور والأعور. وهنا نحكى بصراحة!!

ويعنى بصديق الدكتور «إياهوساسون» وبالأعور «ديان». ولما كنت غير قادر على مناقشته فى التليفون أجبت فى الحال: يا مولاي أنا أتشرف بمقابلة جلالتك لأخذ الأمر مفصلاً!

ونسى «عبدالله التل» أمر هذه المحادثة التليفونية، وتأخر عن السفر بضعة أيام، وسرعان ما استدعاه وزير الدفاع فوزى باشا إلى مكتبه بعمان يوم السبت ١٥ يناير ١٩٤٩ ودار بينهما حديث مثير كان مؤداه أن الملك زعلان من التل لأنه لا يصفى إلى أوامره بل إن «التل» لا يريد جمعه مع «ساسون» و«ديان»!

وقال التل لوزير الدفاع: هل يليق بجلالة سيدنا أن يجتمع باليهود فى قصره، ألا يخشى افتضاح أمره فى العالم العربى؟!

وكان رد وزير الدفاع هو: «شويهكم يا عبدالله. سيدنا له أسلوبه الخاص، وكلنا لا نرى لزوماً لكثير من أعماله وأدائه، ولكننا نسير معه حتى النهاية طالما أنه مستعد لتحمل مسئولية كل شىء».

وأخيراً قال التل له: «سأمر على سيدنا عند عودتى اليوم للقدس لأسمع منه ما يريد بالتفصيل».

وهكذا وصل «التل» لمقابلة الملك عبدالله الذى خرج لمقابلته مرحباً فلم يعاتبه أو يلومه. ثم قال له: والله أنى أحبك فلا تعاندنى، وقلت لك إنى لا أكثرث بالحكومة لأننى أغيرها بجرة قلم ولا أركن لأساليب الحكومات المطاطة فى حل المشاكل.

وأضاف الملك قوله: «ولابد من اجتماعنا بساسون فهو صديق قديم غير متطرف، وإن أردتنى المجيء للقدس لمقابلته سرأ فعلت، والأفضل أن تأتى به إلى هنا، وأحب أن يكون معه ديان».

وأجاب التل قائلاً: «أمركم يا مولاي، سأبلغهما غداً، وإنما أرجو أن يكون الجيش مستولاً عن حراستهما فى الذهاب والإياب»!!

وفى اليوم التالى (الأحد ١٦ يناير ١٩٤٩) طلب «التل» من المراقب الدولى أن يجمعه «بديان» فى المنطقة الحرام ففعل، وقام «التل» بلقاء ديان وعرض عليه رغبة الملك فى الاجتماع به، وأيضاً «بساسون» فى الشونة الليلة «لتبادل وجهات النظر وتناول طعام العشاء مع جلالته».

طلب ديان إمهاله مدة ساعة حتى يتصل بتل أبيب ويتأكد من وجود «إلياهو ساسون» بها، وكذلك لاستشارة الحكومة!!

وبعد ساعة بالضبط قام ديان بإيلاغ «التل» عبر رسالة - بأن سلطات تل أبيب ترحب بفكرة الاجتماع، وأن الشخصين المطلوبين «ساسون» و«ديان» على استعداد للسفر للشونة مساء.

وبالفعل وصل ديان و«ساسون» حسب الموعد المتفق عليه، وحسب ما روى «التل» تحركنا معاً إلى الشونة فوصلناها فى الثامنة إلا عشر دقائق، وقبل وصولنا للقصر قابلتنا إحدى سيارات المقر العالى، وبها «هاشم الدباسى» مرافق الملك للاطمئنان على سرية الرحلة وسلامتها. ولما وصلنا للقصر قابلنا الدكتور شوكت باشا فتعانق مع «ساسون» وصافح ديان وأدخلهما الصالون.

وبعد برهة وجيزة صاح أحد أفراد الحاشية: جلالة سيدنا!!

فنهضنا جميعاً ودخل جلالته بلباسه العربى وعمته «الهاشمية» فتقدمت إليه وقبلت يده، وتبعنى «ساسون» و«ديان» فصافحاه، ثم أمسك جلالته بيد «ساسون» ونحن لا نزال وقوفاً وخاطبه قائلاً: هيك يا أخى والله ما عهدت فيك الجفاء!

فخجل «ساسون» وقال: عفواً. مولاي!

ثم جلس الملك و«ساسون» عن يمينه، وأخذ كل منا مقعداً، ومعنا الدكتور «شوكت» باشا و«هاشم الدباسى».

وبدا جلالته الحديث سائلاً «ساسون» عن صحة «بن جوريون» و«شرتوك» (شاريت) فرد «ساسون» بأنهما بخير وقد حملاه سلاماً عاطراً لجلالته.



كانت هذه هى المرة الأولى التى يتاح فيها «للعبدالله التل» أن يرى الملك عبدالله مجتمعاً مع اليهود، وكان يتوقع حسب كلامه أن يكون الملك «لبقاً حذراً يأخذ ولا يعطى، يرهب ولا يرغب» ولكن الملك خيب ظنون «التل» لأنه كشف عن أوراقه بشكل مخيف، وتحدث بأسلوب رقيق سخيف كأنه يتحدث إلى أبنائه، وكان التل يذوب خجلاً!!

وحسب ما جاء فى مذكرات التل، ومن جملة ما قاله الملك أمام ساسون وديان هو قوله: أنا ملك عربى لا أخلف وعداً ولا أخون عهداً، تعرفون نواياى وشعورى نحوكم، ورأيتي ألا يقف أحد بيننا الآن بعد أن خمدت الفتنة، وانتهى لكم الأمر فى الجنوب.

«وأنت تعلم يا «ساسون» إننا لم نحاربكم ولم نعتد على ما خصص لكم، وأنا الآن لا أصغى لنصائح حلفائى الإنجليز. فهم أصدقاءكم المخلصون، وقد أحجموا عن مساعدتنا ولم يبعثوا لنا خرطوشة واحدة منذ نشوب الاضطرابات، وكانت تنقصنا الذخيرة ولا تزال».

وكان تعليق «عبدالله التل» على ما قاله الملك هو «قال جلالته كل هذا، وأفهم

اليهود بعبارات موجزة أنه لم يخن العهود، والخلاصة لقد دون على نفسه فى أقل من خمس دقائق اعترافات خطيرة، كل هذا و«ساسون» و«ديان» يستمعان!!

ومضى الملك عبدالله يقول مخاطباً «ساسون»:

- «أنت تعلم يا أخى أننا اتفقنا على أسس سبقت، ولكم الآن مطالب حقة، ولنا مطالب حقة والقدس المقدسة فى عهدتنا، ولكم حرية المرور لمعابدكم، وما بأيديكم لانتازعكم عليه».



ومضى «التل» يقول فى مذكراته:

والغريب فى الأمر أن جلالة - أى الملك - لم يعط فرصة لساسون ليرد عليه بشىء، فقد أنهى حديثه قائلاً: هيا نتعشى!!

وسار الملك إلى قاعة الطعام، وأجلس الملك «ساسون» عن يمينه، و«ديان» عن شماله، وعلى العشاء انقطع الحديث السياسى ودار حديث عادى أغلبه عن قصر «المصلى» وبناته من اليهود، واستفسر الملك من «ساسون» عن أولئك البنائين وأظهر رغبته فى رؤيتهم يوماً ما.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام نهض الملك وقاد «ساسون» بيده إلى غرفته الخاصة وأقفل بابها، وبعد دقيقتين على دخولهما نادى جلالة الدكتور «شوكت» وأشركه فى الخلوة التى دامت عشر دقائق.

ويقول «التل»: لم أكثر ث لتلك الخلوة لأن جلالة لم يترك سراً فى صدره ولم يعد يخفى سياسته على أحد.

ولم تكن الغاية من الاجتماع - حسبما يقول التل - فى نظر الملك سوى إبداء ولاءه وإخلاصه لأصدقائه القدماء، وإظهار نواياه وشعوره على حقيقته، ولم يكلف «ساسون» إلا بنقل هذا الشعور وتلك النوايا إلى تل أبيب كخطوة جديدة للتعاطف وعربوناً للصداقة الجديدة. التى اعتورها الوهن بعد نشوب الاضطرابات فى فلسطين.

تغيرت لهجة اليهود تماماً!!

ولم يكن ذلك التغير خافياً على «عبدالله التل»، لكن اللافت للنظر هو أن ذلك التغير وجد طريقه إلى العلن ولم يعد سراً!

وجاء تصريح «ديان» في ٢٣ يناير ١٩٤٩ دليلاً حاسماً على الهواجس التي بدأ التل يشعر بها، فقد جاء في تصريحه.

«إن القدس لا تربطها بإسرائيل روابط روحية. فهي هدف يهود العالم منذ آلاف السنين، بينما لا تربطها بالعرب روابط قوية (!!) كانت القدس لنا وستبقى لنا».

وطلب «التل» أن يجتمع بديان، الذي تأكد له تمسك اليهود بالأمر الواقع، وأن لهجة ديان أصبحت أقوى بكثير من ذي قبل.

وفي الحال رفع «التل» تقريراً مفصلاً إلى وزير الدفاع، ثم اتصل بالملك الذي دعاه لمقابلته مساء ٢٦ يناير ١٩٤٩، وفي هذا الاجتماع قال التل للملك.

الجماعة (اليهود) تغيروا والحالة تطورت!!

ورد الملك ببساطة: توكل بالله إن شاء الله مايتغيروا، أنا أريد أشوفهم مرة ثانية!!
واتصل «عبدالله التل» برئيس الوزراء «توفيق أبو الهدى» الذي نصحه بتلبية أمر الملك. بل قرر رئيس الوزراء أن يحضر الاجتماع مع اليهود ربما نجح في كبح جماح الملك.

وبدأ الاجتماع بأن قام الملك بتحية «ساسون» و«ديان» وصافحهما، ورد «ساسون» التحية بمثلها، وزاد من عنده تحيات «بن جوريون» و«شاريت» لجلالته.

دار الحديث - كما يقول التل - بعد ذلك وكان أغلبه حول المادة الخامسة من رسالة ساسون ونصائحه للملك. وكرر «ساسون» رأى «بن جوريون»، ونصيحته للملك عبدالله بسحب الجيش العراقي من لواء الساحرة، ووضع قوات من البوليس مكانه، ويتعهد اليهود بعدم التعرض للمنطقة بسوء، وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين، وهم جيش هاشمي أمره يهم سيدنا كثيراً، وحينما سمع الملك حديث

«ساسون» قال: إن شاء الله نشوف «عبدالإله» فى (H.3) (أتشترى) بهذين اليومين وسيكون ما ترغبون.

لكن أخطر اعترافات الملك عبدالله لساسون والتي يسجلها «التل» فى مذكراته وبحسب وضعه أيضا أنه قال بكل جرأة ولم يخجل من أحد حتى ولا من رئيس الحكومة الذى تحمس لحضور هذا الاجتماع.

قال جلالتة لساسون: كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزة فهى متفدنا على البحر، ولا بد لنا من ميناء ولتكن مجدل وعسقلان.

وطرب «ساسون» و«ديان» لسماع تصريحات كهذه وقال «ساسون»:

الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا (!!)

وأخيراً انتقل الحديث إلى رودس، وأعلن الملك استعدادة لإرسال وفد أردنى حالما ترد الإشارة من الدكتور «بنش» وأشار الملك ناحية عبدالله التل وقال:

هذا ولدنا وسيفنا يكون رئيس الوفد بإذن الله.

كان حديث الملك مفاجأة تامة لعبدالله التل. فلم يرد بكلمة واحدة، وسرعان ما نهض الملك وقال: هيا للعشاء!!

وجلس «ساسون» عن يمينه، و«ديان» عن شماله، وأمامه مباشرة جلس رئيس الوزراء:

ويمضى «التل» فى وصف ما جرى بعدها فيقول: بعد الانتهاء من تناول العشاء نهض جلالتة ونهض الجميع، وكرر ما فعله فى الاجتماع الأول بأن أمسك جلالتة بيد «ساسون» وقاده إلى غرفته الخاصة ونادى خلفهما الدكتور «شوكت» ودامت الخلوة ربع ساعة خرج بعدها جلالتة وصافح «ديان» و«ساسون» وحملهما السلالم المعتادة إلى «بن جوريون» و«شرتوك».



ومضى «التل» يقول فى مذكراته:

كان من المعلوم في الأردن أن «إلياهو ساسون» قد سافر في أوائل مارس ١٩٤٩ إلى باريس ولندن ليكون على اتصال دائم بعمر زكي الوزير المفوض الأردني في باريس، و«عبدالمجيد حيدر» الوزير الأردني في لندن.

وكانت اتصالاته مع الملك تتم بواسطة البرقيات السرية من المفوضيتين في باريس ولندن.

وكان من أخطر الرسائل المتبادلة بين ساسون والملك. الرسالة التي بعث بها «ساسون» لجلالته من لندن، وأطلع عليها أغلب الضباط العرب الذين يتدربون في إنجلترا، وقد أصبح كل ضابط عربي في بريطانيا على علم بمضمون تلك الرسالة. وجاء كل منهم يروي القصة حينما يعود من إنجلترا إلى عمان.

وقد روى لي - أي للتل - تلك القصة أكثر من ستة ضباط أذكر منهم القائد «علي الحيارى»!!

يضيف «التل» في مذكراته قوله:

إن «ساسون» تعود الاتصال بالملك عبدالله كلما أراد بواسطة لاسلكي المفوضية الذي ينظم البرقيات بالشفرة أو بواسطة البريد السياسي السري.

وحدث في أواسط مارس ١٩٤٩ أن بعث «ساسون» برسالة مطولة إلى الملك يشرح فيها خطة تطويق الجيش العراقي لإرغامه على الخروج من فلسطين إذا ما أصر على البقاء في المثلث.

وقد كان ما ورد في الرسالة (التي بعث بها ساسون للملك) يتلخص فيما يلي:

١ - تبدأ القوات اليهودية بمناوشة الجيش العراقي في المثلث في اليوم الذي تعينونه جلالته.

٢ - تحتشد القوات الرئيسية للجيش الإسرائيلي في غور بيسان!

٣ - تزحف هذه القوات من بيسان إلى الجفتلك، وتحتل المرتفعات التي تسيطر على طريق نابلس الجفتلك لتقطع خط انسحاب الجيش العراقي بأكمله.

٤ - تمنع حكومة شرق الأردن للجيش العراقي من الانسحاب عن طريق رام الله - القدس أريحا، لئلا يضرب القوات الإسرائيلية المراقبة في الجفتلك أو يطوقها.

٥ - لا بأس من أن تقع مناوشات بين القوات الأردنية والإسرائيلية للتغطية، وعلى كل حال يمكن لحكومة صاحب الجلالة الهاشمية أن تحتج بأن توقيع الهدنة مع إسرائيل يمنع من الاشتراك الفعلي مع الجيش العراقي.

٦ - عندما يدرك الجيش العراقي أنه وقع في الطوق، سيطلب حتماً الانسحاب من فلسطين بدون قيد أو شرط.

هذه خلاصة رسالة «ساسون»!!

لكن المثير في الأمر أن رسالة ساسون لم تصل إلى الملك عبدالله في الشونة، لأن إحدى الشخصيات العربية في المفوضية الأردنية بلندن اطلعت على محتويات الرسالة وقامت بالخطوات التالية وفقاً لما جاء بمذكرات عبدالله التل:

طلبت تلك الشخصية مقابلة السفير العراقي في لندن الأمير «زيد» في الحال، وحينما تمت المقابلة عرضت الشخصية على سموه خلاصة البرقية فبكى الأمير وبكت الشخصية.

وفي اليوم التالي طار الأمير زيد إلى بغداد وبالطبع فإنه أحاط الوصي والحكومة العراقية بما يجري وراء الستار من مؤامرات ودسائس خطيرة!

وبدلاً من أن يتخذ الوصي وحكومة العراق إجراء صارماً مع الملك عبدالله حقاً له رغبته في الانسحاب الفوري من فلسطين.

وفي أواخر شهر أغسطس ١٩٤٨ اجتمع الملك «عبدالله» وحكومته بقنصل بلجيكا العام في القدس «نوفنوز» وقرروا قبول نصيحته بإيفاد مندوب رسمي لمفاوضة اليهود في باريس سراً.

وقنصل بلجيكا صديق حميم للملك ويعرف أهل القدس. أن هذا القنصل هو الرسول الأمين بين الملك واليهود منذ زمن الانتداب البريطاني على فلسطين. ولم

ينقطع قنصل بلجيكا عن زيارة الملك، وكثيراً ما كان الملك يطلبه فيؤمن إحضاره من الجانب اليهودي بواسطة دائرة الارتباط في القسم العربي.

وتنفيذاً لنصيحة قنصل بلجيكا لم تجد حكومة الأردن أصلاً من السيد «عبدالغنى الكرمي» ولا أخلص وطنية منه في الاتصال باليهود سرّاً.

وحسب شهادة عبدالله التل نفسه فقد كان «عبدالغنى الكرمي» متزوج من يهودية وله أخ قتل في فلسطين لاتهامه بالتجسس لليهود ومساعدتهم في كل شيء. فأوفدته إلى باريس للاتصال بالوفد اليهودي الذي ذهب للاشتراك في دورة الأمم المتحدة، ولما كان «الكرمي» من موظفي قصر رغدان ومن أملاء الملك فقد أدرك الناس السر في هذه الرحلة المفاجئة!!

وفي باريس اشترك الوزيران الأردنيان المفوضان في لندن وباريس مع «عبدالغنى الكرمي» في مفاوضات اليهود، وعلى رأسهم «إلياس ساسون» صديق الملك «عبدالله» منذ زمن بعيد.

واستمرت المفاوضات أكثر من شهر ونصف الشهر، كانت الرسائل ترد تباعاً للملك والحكومة لإطلاعهما باستمرار على ما يجري في باريس.

ومن باريس أعطيت للملك ولحكومته أول إشارة سرية عن احتمال اعتداء اليهود على المصريين في النقب، وأرسل الجواب من عمان لباريس بوعد قاطع باتخاذ موقف الحياد، وعدم التدخل في أي حرب ضد اليهود.

ويضيف عبدالله التل قوله:

كشف «عبدالغنى الكرمي» نفسه النقاب عن هذه الناحية من المفاوضات بعد بضعة أشهر من وقوعها يوم ظن بأن العالم قد نسيها ولم يعد لها أية أهمية أو خطورة، فأفضى إلى بسرّها.

أما اليهود فقد كانوا لا يخفون أمر هذه المفاوضات الدائرة بينهم وبين الأردن في باريس، وقد التقطت من أخبارهم ونشراتهم السرية البرقيات التالية التي تؤيد وقوع تلك المفاوضات:

١ - برقية التقطت الساعة ٢٠٠٠ تاريخ ١٩٤٨/١١/٧.

«أرسل الصحفيون الأجانب في إسرائيل البرقيات الصحفية إلى الخارج يؤكدون فيها قيام محادثات للمصلح بين إسرائيل والعرب. ويقولون إن مركز هذه المحادثات انتقل من عمان إلى إحدى المدن الفرنسية، وأن من المنتظر أن يعرج عليها شرتوك في طريقه إلى باريس، وأن سفره الأخير ذو علاقة بهذه المحادثات».

٢ - من نشرة الأخبار العبرية الساعة ٧١٥ تاريخ ١٩٤٨/١١/١٠.

«علمت حكومة إسرائيل من مصادر عليا أن الملك عبدالله أرسل برقية إلى بشارة الخوري رئيس جمهورية لبنان يخبره فيها أن الحالة في فلسطين حرجة تتطلب إجراء مفاوضات مباشرة مع اليهود».

وقد كشف الستار في تل أبيب أمس أن المفاوضات بين العرب واليهود كانت تجري على فترات متقطعة منذ سبعة أشهر، وأن مفاوضات تجري الآن بين شرق الأردن وإسرائيل».

٣ - التقاط الساعة ٧١٥ تاريخ ١٩٤٨/١١/١١.

«ذكر في بارس أن إياهو ساسون مدير دائرة الشرق الأوسط لحكومة إسرائيل اجتمع في باريس مع ممثل الملك عبدالله. وذكرت وكالة يونايتد برس أن الملك عبدالله أجاب إجابة غامضة عن سؤال صحفي حول صحة وجود مفاوضات سلمية قائلا أنه قرر إعادة السلام إلى فلسطين».

٤ - التقاط الساعة ٨١٠ تاريخ ١٩٤٨/١١/١١.

«صرح مصدر إسرائيلي كبير أن مندوب إسرائيل لدى هيئة الأمم في باريس قد تقابل مع مندوب شرق الأردن، وتحدث معه طويلا بشأن المفاوضات المباشرة بين الدولتين، وقد تم الاتفاق على ذلك».

٥ - من نشرة الأخبار العبرية الرسمية الساعة ٧١٥ تاريخ ١٩٤٨/١١/٢٢.

«أعلن رسميا في مقر حكومة إسرائيل في تل أبيب أن المحادثات الرسمية التي تدور الآن بين إسرائيل وبعض الدول العربية، تتقدم بنجاح، ومع أن هذه المحادثات

لا تدور حول السلم النهائي، ولكنها ستؤدي إلى عقد هدنة دائمة بين العرب واليهود. وقد صرح الدكتور بنش بأن هذه المحادثات خطوة كبيرة في سبيل السلام، كما أعلنت أوساط الوفد الإسرائيلي في باريس أن الأمور سائرة على ما يرام.



ويتهى أخطر وأهم ما جاء بمذكرات «عبدالله التل» خاصة فيما يتعلق بمهمة «إياهو ساسون»!!

كانت مذكرات «عبدالله التل» هي أول من كشفت أسرار كل التفاصيل واللقاءات التي دارت بين «ساسون» و«الملك عبدالله»، كما شارك فيها بنفسه ودونها في أوراقه!!

وكان من الطبيعي أن تحفل الوثائق الإسرائيلية بتفصيلات أخرى عن تلك اللقاءات أكثر صراحة وإثارة مما نشره «عبدالله التل»!

في البداية تأتي مذكرات «موشى ديان» [الجزء الأول] الذي وصف «التل» بقوله: «كان عبدالله التل شاباً طويل القامة قوى البنية، وسيماً، أشقر البشرة، وفيه استقامة. إذ ينظر إلى عينيك مباشرة بابتسامة صريحة وودية.

وعندما التقيت به فإنه أثر في نفسي لكونه أجدر وأكفاً كثيراً من الضباط العرب الآخرين والموظفين السياسيين الذين صادفتهم في تلك الحقبة، وفي مشاوراتنا الخاصة سويتنا خلافتنا بسرعة.

ثم يشير «ديان» إلى موافقة «التل» الفورية على مد خط تليفوني مباشر بين ديان وبينه دون أن يتم الاتصال عن طريق الأمم المتحدة.

وتحت عنوان «محادثات مع ملك عربي» كتب «ديان» في مذكراته يقول:

أبلغني «عبدالله التل» عقب توقيع على «اتفاقية وقف إطلاق النار المخلصة» مباشرة بأن الملك «عبدالله» فوضه في الدخول في مفاوضات معنا حول كل الموضوعات المتعلقة بمنطقة القدس بما في ذلك «بيت لحم» «ورام الله» و«اللطرون».

وكانت مقترحات «التل» التي تعكس وجهات نظر الملك بكل تأكيد مبنية على تبادل الأراضي وعلى السيطرة المشتركة. وكان «بن جوريون» يريد من كل قلبه التوصل إلى معاهدة سلام رسمية كاملة ونهائية، وكان على استعداد للموافقة على عمليات معينة لتبادل الأراضي، ولكنه لم يكن يعتقد أن السيطرة المشتركة أمر يمكن تنفيذه من الناحية العملية.

وكان «بن جوريون» يعارض أساسا الترتيبات الجزئية، وكان الرد الذي طلب مني أن أنقله إلى الملك عن طريق «التل» هو أننا لن نستمر في المباحثات على أساس الهدنة وحدها. لقد كنا مستعدين. بل في الحقيقة متلهفين على التفاوض من أجل شروط سلام حقيقي مع ممثل سياسى.

وبعد أن أبلغت «التل» برد «بن جوريون» الصريح بأننا لن نكون مستعدين للدخول في مباحثات إلا من أجل تسوية شاملة للسلام تلقيت مكالمة تليفونية منه يوم ٢٩ من ديسمبر يقول فيها: إنه قابل الملك وإنه قد عين ممثلا للملك ليصوغ معنا مشروعا للسلام، وأنه في محادثاته معنا سوف ينضم إليه طبيب الملك، وأنه عندما تستكمل صياغة المقترحات فإن الملك سوف يطرحها على وزرائه للموافقة عليها. فإذا رفضت فإن الملك سوف يغير تشكيل الوزارة. لأن الملك يتمتع بسلطان قوى، واقترح «التل» أن تبدأ المحادثات في مساء اليوم نفسه، وأن يجريها في أحد مباني القدس القريبة من الأرض الحرام بين الخطوط اليهودية والعربية. فإذا استمرت الجلسات فتعقد بالتناوب مرة في مبنى أردنى ومرة في مبنى إسرائيلى.

وقرر أن يعقد الاجتماع الأول مساء اليوم التالى فى الساعة السادسة والنصف فى الجانب الأردنى، وطلب «التل» أن نحضر مرتدين ملابس مدنية، وأن نحضر معنا الخرائط والوثائق اللازمة.

كان الاجتماع الأول مع التل والطبيب هاما للغاية، ولم نركز على المحادثات الأساسية إلا فى الاجتماع الثانى، وقد اجتمعنا فى الساعة السابعة مساء يوم ٥ من يناير ١٩٤٩ فى مبنى عند طرف بوابة مندلموم، وكان الجانب الإسرائيلى يتألف من

ثلاثة أعضاء هم «شيلوح» من وزارة الخارجية ومساعدى وأنا، وأما الجانب الأردنى فلم يحضر منه سوى «عبدالله التل» ولم يظهر الطبيب لسبب ما.

تبادلنا خطابات الاعتماد وكانت خطاباتنا مكتوبة باللغة العبرية واللغة العربية والإنجليزية، وموقعا عليها من رئيس الوزراء «ديفيد بن جوريون» ووزير الخارجية «موشيه شاريت». وكان «التل» يحمل خطابات مكتوبة بخط يد الملك عبدالله شخصيا، ومن المشكوك فيه أنه كان يمكن أن تقبل للصياغة والأسلوب المستخدمين فى تلك الخطابات فى محكمة قانونية.

وعندما حدد «التل» مقترحات الأردن كان واضحا أن هناك هوة حقيقية بين أفكار كل منا عن التسوية.

وقد قدمنا تقريرنا إلى «بن جوريون» وقلنا: إنه من الواضح أن ليس هناك ما يدعو للاستمرار فى المحادثات، ولكنه أمرنا بالاستمرار فيها قائلا: «يجب علينا أن نتلمس أية إمكانية لتحقيق السلام الذى نحن فى حاجة إليه - ربما أكثر من الأردنيين».

اتبعت أوامر «بن جوريون» وأن يكن دون حماس كثير، واتصلت تليفونيا «بالتل» للاتفاق على اجتماع آخر. فتقرر عقده فى ١٤ من يناير. غير أننى قررت أثناء المحادثات التليفونية أن أبلغه برأى فى مقترحاته مبينا وجهة نظرى الشخصية وهى أنه إذا لم يحدث تعديل فى منهج الأردن فإنها سوف تؤدى إلى الحرب وليس السلام.

ظهر بعد ذلك أننى لست وحدى الذى يدرك أنه ما من منفعة ستعود من مواصلة المحادثات عند «بوابة مندليوم» وإنما كان «التل» أيضا يدرك ذلك، فقبيل الموعد المحدد لاجتماعنا بيوم واحد اتصل بى ليقول إن الملك يدعونا لنذهب ونتحدث معه فى «قصر الشونة» حتى يمكنه أن يظهر شخصيا رغبته المخلصة فى السلام، فاتصلت بـ«بن جوريون» وتلقيت موافقته.

عقدنا اجتماعين مع الملك عبدالله الأول يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٤٩، والثانى بعد ذلك بأسبوعين وقد مثل إسرائيل «إلياس ساسون» من وزارة الخارجية وأنا، وفى الاجتماع الأول كان مع الملك «التل» وطيبه، وفى الثانى انضم إليهم رئيس وزراء

الأردن «توفيق أبو الهدى»، وقد وصلنا إلى القصر فى سيارة المقدم عبدالله التل التى كان يقودها بنفسه، ومع أنه كان ينطلق بسرعة فإن الرحلة استغرقت أكثر من ساعة.

عقدت هذه الاجتماعات بينما كنا نتفاوض مع مصر فى «جزيرة رودس» حول اتفاقية للهدنة تحت رئاسة الدكتور «رالف بانس» القائم بأعمال وسيط الأمم المتحدة وكانت تلك المفاوضات قد بدأت يوم ١٣ من يناير.

فى ذلك الوقت كانت المحادثات مع ملك الأردن يوم ١٦ من يناير ويوم ٣٠ منه ما تزال استطلاعية وغير رسمية، ولم تسفر عن نتائج ملموسة بمعنى أنها لم تحقق تغييرا مباشرا فى الموقف. وقال الملك.. إن ذلك التغيير سوف يحدث على الرغم من الفجوة الواسعة بيننا عندما تبرم الأردن اتفاقية للهدنة معنا تحت إشراف الأمم المتحدة مثلها فعلت الدول العربية الثلاث الأخرى التى حاربتنا. وكان الملك مفعما بالأمل فى أنه سيتم التوصل إلى هذه الاتفاقية، وقال إنه بعد ذلك مباشرة يسره أن يبدأ مفاوضات لعقد معاهدة للسلام، وأن هذا يحدث علانية لا سرا فى القدس دون حضور الأمم المتحدة، وأنه ستعقد جلسة افتتاحية رسمية فى قصره فى «الشونة»، وفى ضيافته، بل إنه اقترح أن يشكل وفدنا فى المفاوضات من وزير خارجيتنا «موسى شاريت ومن ساسون» ومنى.

وجرت إشارة عابرة إلى المحادثات الجارية مع المصريين فى «رودس» وفجأة ظهر على الملك نوع من القلق، وحثنا بكل ما يمكنه من قوة على ألا نعطي «غزة» لمصر، لأنه هو نفسه يحتاج إليها كمنفذ له إلى البحر المتوسط. ولم يكن يساوره أى شك فى إمكان التوصل إلى اتفاق معنا حول هذه النقطة.

وكان الأمر المهم بالنسبة له هو ألا نسمح بإعطاء غزة للمصريين، إذ قال «خذوها أنتم أعطوها للشيطان، ولكن لا تسمحوا لمصر بأن تأخذها!!»

كنا نتغذى مع الملك قبل أن نبدأ العمل، وقبل الغداء بساعة أو نحوها كان يدور حديث سياسى عما يجرى فى عواصم العالم، وكنا من آن لآخر نلعب الشطرنج أو تكون هناك قراءة فى الشعر، أما فى الشطرنج فكان من المتحتم ألا ننهزم أمام الملك

فحسب، وإنما أن يظهر دهشتنا من تحركاته غير المتوقعة، وعندما كان يقرأ أشعاره في لغة عربية فصحي فإنه كان على المرء أن يعبر عن إعجابه بالتنهد من أعماق النفس. وعلى الرغم من ذلك فإنني لم أقل قط من منزلة عبدالله، فلقد كان رجلا حكيما وزعيما يستطيع اتخاذ قرارات خطيرة، فعندما كانت تعترضنا مشكلة عسيرة لم يكن يحيلنا أبدا على وزرائه وإنما كان يطلب أن تعرض عليه المسألة ويتحمل هو المسؤولية الكاملة عن القرار، ثم إنه لم يفقد حيوية البدوي فكان كل طبق من الطعام يوضع أمامه يكون مصحوبا باللبن الزبادي الذي يضيف إليه عسبا غريبا، وكان يطلق الحكم والأمثال في أثناء مناقشاتنا، ولم يكن يحصل دائما على ما يطلبه، ولكنه كان دائما يعرف ما يريد كما عرفنا من محادثاتنا السرية المتصلة معه في قصره، بينما كانت تدور المفاوضات الرسمية مع مندوبيه في «جزيرة رودس».



ومضى.. موشى ديان.. يقول في مذكراته:

وواظبت على تتبع أخبار «التل» زمنا طويلا بعد أن تركت قيادة القدس، ولقد انتهت حياته العسكرية والسياسية فجأة عندما اختلف مع الملك «عبدالله» حول موقفه من البريطانيين لأن «التل» كان يريد طردهم من الأردن، أما الملك فلم تكن لديه رغبة في ذلك، ولم يكن قادراً على الموافقة. وفي يونيو ١٩٤٩ استقال «التل» وحاول الملك ترضيته بل وعده بالترقية، ولكن «التل» رفض وغادر البلاد إلى سوريا حيث قابل «حسني الزعيم» الذي كان قد تزعم انقلابا قبل ذلك بأشهر قليلة في شهر مارس، وأصبح الآن رئيسا لنظام عسكري حاكم. وقد تأثر «التل» به كثيرا ويفكرة قيادة ثورة مماثلة في وطنه الأردن. ولكن الزعيم نفسه راح ضحية انقلاب وقع بعد ذلك بوقت قصير. حيث أعدم رميا بالرصاص في ١٤ من أغسطس سنة ١٩٤٩ فرحل «التل» إلى القاهرة.

وقد تلقيت رسالتين من «التل» بعد ذلك، المرة الأولى عن طريق ضابط جيش مصري في حفل بلندن سنة ١٩٥١ حيث أبلغني تحيات «التل» وقال إنه يرأس كتيبة فدائيين تقوم بمناوشة القوات البريطانية العسكرية في منطقة القنال في ذلك الوقت.

والمرة الثانية عندما بعث إلى بتحيته الودية عن طريق رجل دين أمريكي زارنى فى القدس، وأضاف رجل الدين أن «التل» يود أن يرانى لنبحث «موضوعاً معيناً»، وتطوع الأسقف الكاثوليكي لترتيب اللقاء السرى، إلا أن هذا اللقاء لم يتم أبداً، ولم أكتشف قط ما الذى كان يدور بخلده، إلا أنه لم تكن له أهمية سياسية، فرسائله كانت مجرد تعبيرات إنسانية عن التحية، وهذا فى ذاته شىء له قيمته لصدوره من ضابط عربى لإسرائيلى.

انتهى ما كتبه «ديان» بالحرف الواحد فى مذكراته!!



وصدرت مذكرات «ديفيد بن جوريون» [يوميات الحرب] ١٩٤٧ - ١٩٤٩ وجاءت حافلة بخفايا وخبايا ما جرى فى تلك الأيام!

حرص «بن جوريون» رئيس الوزراء الإسرائيلى على تدوين وتسجيل كل صغيرة وكبيرة فى يومياته. حتى لو كانت أمراً هامشياً، وتافهاً لا يستحق عناء الكتابة!!

وكانت كل خيوط الاتصالات والأحداث تصب فوق مكتبه، وفى المقدمة منها اتصالات «ساسون» نفسه بكبار رجال السياسة والحكم فى العالم العربى!!

وكان «ساسون» نفسه - وكما سبق أن قرأنا فى الفصول السابقة - حريصاً على إبلاغه أولاً بأول تفاصيل وتطورات تلك الاتصالات!!

لكن ما يلفت النظر فى يوميات «بن جوريون» هو حرصه على إخفاء بعض الأسماء العربية التى كانت مشاركة فى تلك الاتصالات، ويكتفى بالقول مثلاً «رجل الملك»!! وكان يقصد رجل الملك فاروق!!

وحدث نفس شىء مع «عبدالله التل» إذ كان اسمه السرى هو «ويلهلم»!!

فى يوميات ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ كتبت بن جوريون:

«الجامعة العربية» بمقدار ما نعرف من الصحافة ومن عرب ومن مكالمات هاتفية اتخذت ١٧ قراراً، «ساسون» يعرف تسعة منها (لا يعرف مضمونها بدقة بل بصورة

تقريبية)، ربما سنعرف من أحد الأشخاص في شرق الأردن ما إذا كانت القرارات نهائية! أم أنها بحاجة إلى موافقة الحكومات ومجالس النواب.

في الثانية عشرة والرابع عاد «ساسون» بعد أن تحدث مع رجل شرق الأردن، «شمعوني» و«ساسون» التقيا الطبيب د. السطى وتكلما أكثر مما استمعا (!!)

وشرح «ساسون» و«شمعوني» له (للطبيب السطى) الوضع في الجامعة (العربية) وما اتخذ من قرارات!!! أقر (الطبيب) على أن كل ذلك تقرر (والقرارات بين يدي) وأضاف: مصر لن تقدم سوى المال والدعاية والعمل السياسى لكن لا سلاح ولا جيش، ربما تسمح لمتطوعين!

وهنا قام «ساسون» بتسليم طبيب الملك عبدالله برسالة أعدها مسبقاً تتعلق بالفيلق العربى، وقال الطبيب لساسون: «حبذا لو أن صحافتكم أثارت ضجة فى شأن الفيلق».

كما تحدث «ساسون» إليه عن طلب سوريا السلاح من تشيكوسلوفاكيا، وذُهل طبيب الملك وسأل «ساسون» بماذا تنصحون الملك!!

وكان رد «ساسون» هو قوله: ألم يحن الوقت كى يتكلم الملك بوضوح مع الإنجليز وإسرائيل ليسألهم عما يجب عمله؟!

كان الطبيب يستمع لما يقوله «ساسون» ودونه ليرسله إلى الملك بعد ذلك (!!)

لكن أخطر ما قاله ساسون لطبيب الملك هو إنه إذا جرى تنسيق (بين الأردن وإسرائيل) فسنوجه نحن ضربة جديدة، ويهب الملك إلى مساعدة الجزء العربى، وعندها نساعدته بالمال!!



وفى يوميات أول يناير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«ساسون» لا يؤمن بأننا سنخضع العرب بالقوة، لأن المسألة ليست مسألة (عرب أرض) إسرائيل وحدهم، بل هى قضية العالم العربى!!

وفيما يتعلق بمسألة الملك «عبدالله» فقد توافرت فى المدة الأخيرة معلومات من شأنها أن تغير رأينا فى الملك.

وتذكر «ساسون» ما قاله الملك (فى منتصف نوفمبر فى اجتماع حضرته جولدا مائير بحضور ساسون نفسه): تقسيم لا يخزىنى فى العالم العربى، ما رأيكم فى جمهورية صغيرة؟!

جاء موفد الملك (عبدالله) إلى «ساسون» ليلغه أنه ملتزم وعوده لنا، على الرغم من كل ما تنشره الصحف من كلام وأخبار.

وفى يوميات ١٩ يناير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

فى المساء حديث مع «ساسون» وبحسب جميع المصادر هناك كما يبدو تغيير فى تكتيكات العرب!!

وفى يوميات ٩ فبراير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

فى التاسعة مساء مشاورات، لم يكن فى استطاعة «ساسون» الحضور، لأن الصديق القبطى (لم يذكر بن جوريون اسمه) وصل من القاهرة، موفد بحسب قوله من قبل المسئولين عنه (بلاط الملك) إنه يبلغ ثلاثة أمور:

١ - إنجلترا تضغط على الدول العربية بالخطر الشيوعى اليهودى!

٢ - تطلب إنجلترا بدعم من أمريكا، من الدول العربية أن تعلن أنه فى حال نشوب حرب بين الدول العظمى، فإنها ستلتحق بالجانب الأنجلو - سكسونى، وهم سيكتفون بهذا الإعلان وسيواصلون تأييده!

٣ - تريد إنجلترا بواسطة أمريكا عقد تحالفات اقتصادية مع العالم العربى، بدلا من تحالفات سياسية، وبالتالي فإنهم سيحافظون على نفوذهم فى الشرق.

بحسب كلام إياهو ساسون فإن الوضع سيتفاقم!!

وفى يوميات ١٦ فبراير ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

بحسب تقرير أرسلته مفوضية مصرفى واشنطن إلى القاهرة، تنصح أمريكا إنجلترا بتوقيع معاهدة إقليمية مع الجامعة العربية فتخلص بالتالى من معاهدات منفصلة مع مصر، العراق، إلخ وفى رأى «ساسون» أن هذا يشمل أرض إسرائيل كدولة عربية(!!) مع أن هذا لم يرد ذكره فى التقرير!

يظن «ساسون» أن العرب لن يقوموا بأى ترتيب إذا كانوا لا يعرفون ماذا سيحدث بشأن البلد!!

وفى يوميات ٧ مارس ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«ساسون» يقول: لا يوجد حتى الآن اتصال بالملك (عبدالله).

ويقول ساسون: إن النزاع مع العرب لن يحسم بالقوة حتى النهاية، ويجب المحافظة على نقاط ثلاث يمكن بواسطتها التكلم عن التفاهم.

يستحيل بصورة مطلقة الالتقاء بالعرب فى بلادهم. يجب محاورة مصر ولبنان وسوريا فى الغرب: فى فرنسا، فى سويسرا، فى إيطاليا.. إن مندوبى الحكومات العربية فى القدس لا يستطيعون تقديم تقرير صحيح إلى الحكومة، لأنه ليس لهم أى اتصال باليهود. وهذا الاتصال غير متاح إلا فى الخارج.

«رؤوفين» يقترح أن يسافر «ساسون» إلى روما أو إلى باريس للاتصال بالعرب!!

وفى يوميات ١٦ أبريل ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«يولندا» (يهودية مصرية) تبلغ أن رجل فاروق (ملك مصر) يريد الاجتماع إلى إلياس ساسون بمعرفة الملك (!!)

وفى يوميات ٧ مايو ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

إن «عبدالله» (ملك الأردن) يريد الاجتماع إلينا، نصحت بالتعجيل فى الاجتماع، لكن ينبغى ألا يعقد بصورة مكشوفة ورسمية كما اقترح «ساسون» ذلك لسبب ما!!



وفى منتصف مايو ١٩٤٨ كانت الحرب قد بدأت بين العرب وإسرائيل، وبعيداً عن تفاصيل ما جرى، نواصل تقليب أوراق ويوميات ديفيد بن جوريون!

وفى يوميات ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

«إياهو ساسون» وصل [من باريس] وبحسب قوله، ثمة فرص سانحة للسلام. إن

رياض الصلح (رئيس حكومة لبنان، سني - مسلم) مستعد للعمل من أجلنا. ليس للبنان مطالب وتطلعات إقليمية. إذ أن عبء الحرب ثقل عليهم، لكنهم لا يريدون الخروج منها وحدهم، ولذا كان يريد أن يخرج الجميع - ليس لرياض الصلح أية فرصة للترقي - وصل إلى أعلى منصب يمكن أن يصل إليه مسلم في لبنان. وليس له أي أمل خارج لبنان.

ثمة غليان في سوريا؛ إذ قامت حكومة موالية للعرب [تؤيد التعاون مع الدول العربية] بيد أن الإنجليز خسروا اللعبة، كما يعتقد ساسون. مصر ضدهم. وازدادت الكراهية لهم في مصر بسبب السودان (جرى [هناك] تنظيم انتخابات للبرلمان، وستقوم حكومة سودانية موالية للإنجليز). قيل لساسون إن الجيش الإنجليزي في مصر ازداد حجما من عشرة آلاف إلى ستين ألف شخص، بموافقة النقراشي [رئيس الحكومة] لكن ضد الشعب. يسود في العراق غليان، الشيوعيون أقوياء، وليس هناك أي إمكان لتوقيع معاهدة مع بريطانيا، وبالتالي من الجائز أن يسمحوا لعبدالله بعقد سلام معنا.

يعتقد ساسون أنه يجب الإصرار الآن على إنهاء الحرب - خروج الجيوش العربية، علما بأن السلام لن يحل - ربما بعد إنهاء الحرب - وربما ستكون هناك حاجة إلى بذل جهد كبير من أجل هذا الغرض. وهذا لا يمكن إحرازه إلا بواسطة الحكومات الحالية التي أعلنت الحرب علينا وأخفقت. إن حكومات جديدة ستحاول محاربتنا.

في ٢٨ أو ٢٩ كانون الثاني - يناير، اجتمع ساسون إلى مبعوثي عبدالله - عبدالمجيد حيدر، ممثل شرق الأردن في لندن، وعبدالغنى الكرمي الذي جاء من شرق الأردن. سأل ساسون: إذا كانت هذه مفاوضات، فمن الضروري أن يكون هناك محضر، وعليهم أن يقولوا ما هو موقف إنجلترا - هل هي مؤيدة، أم أن الأمر كله قد رتب من دون معرفتها؛ وما هو موقف العراق - نظرا إلى وجود اتفاق سياسي وعسكري بين البلدين. فإذا عقدوا سلاما، فهل سيسمحون للعراق بنقل جيشه؟ أجاب كلاهما إنهما لا يتمتعان بسلطة البحث في أمور مهمة، بل في مشكلات يافا، والرملة، واللد،

واللاجئين، والمخرج إلى البحر. وقد وعدوا بأنهم سيتصلون بالملك للحصول على ردود على أسئلة ساسون. وسافر أحدهما إلى لندن للاتصال بشرق الأردن عن طريق مكتب خاص بهم لهذا الغرض.

واصلت المداولات السياسية [مع ساسون]. مصير غزة؟ طبقاً للمنطق الجغرافي، يجب أن تكون داخل إسرائيل، ويمكن منح عبد الله ميناء حراً هنا. يعتقد ساسون أن مصر تخاف الآن من قوة شرق الأردن العسكرية، وهي لا تريد أن تكون جارة لها. (ألا تخاف من إسرائيل؟). إن إنجلترا لن تتخلى في أية حال من الأحوال - كما يعتقد ساسون - عن غزة، [وستطالب بها] لإعطائها لعبد الله، أى لنفسها، لأن السويس ستنتقل إلى مصر بعد بضعة أعوام. إنهم يقاتلون من أجل السودان - ومن دون غزة لن يحصلوا على هدفهم، لأنهم من هنا فقط يستطيعون تقديم مساعدة إلى العراق في حال نشوب نزاع عالمي.

بلغ رياض [الصلح] ساسون أن البريطانيين وعدوا الدول العربية بإعطائها كميات كبيرة من الأسلحة، ومدرين، وفي اللحظة الأخيرة - أيضاً تدخل مباشر، عسكري. توقع البريطانيون منا أن نعطي رداً سلبياً على قرارات ٤ تشرين الثاني / نوفمبر، والرد الذي قدمناه صدمهم وأذهلهم وحطم جميع خططهم. كما أن بياننا الذي جاء فيه أننا سنخرج من لبنان أربكهم.

يُجمل ساسون قضية [الجمعية العامة التابعة لـ] الأمم المتحدة: دخلنا الأمم المتحدة عن طريق مشروع برنادوت - خرجنا من دون برنادوت والنقب والجليل في حوزتنا. ونشاطنا العسكري في النقب والجليل رفع من شأننا في نظر الجميع.

وفي يوميات ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ كتب «بن جوريون».

- تسلمت من [إلياهو] ساسون الموجود في القدس خبر أنه أرسل عن طريق [عبد الله] التل رسالة إلى الملك. زاره التل أمس باسم الملك، وبلغه أنه يريد إجراء مفاوضات بشأن السلام - لا فوراً، بل بعد مرور ١٠ أيام، بعد أن يحاول جلب سائر الدول العربية إلى محادثات السلام. وإذا رفضت ذلك - فإنه سيقوم بها وحده. سأل

ساسون إذا كان سيتدخل فى الحرب بيننا وبين أية دولة عربية أخرى، كالعراق. أكد التل أنه سيأتى برد الملك. أرسل ساسون فى ١١ كانون الأول/ ديسمبر تقريراً خاصاً بالاتصال بالملك عبد الله بشأن الصلح، وبشأن محادثاته مع عبد الله فى اليوم نفسه.

خلال اللقاء مع موشيه [دايان] والتل، بلغ موشيه قرارى (بعد أن قال ذلك فى حديث خاص إلى التل)، أن المحادثات لن تستمر فى نطاق التوقف المؤقت للقتال بل فى نطاق هدنة، باستثناء قضية بيت لحم والميلاد المسيحى.

وفى يوميات ١٦ ديسمبر ١٩٤٨ كتب "بن جوريون".

"ساسون" ذهب بعيداً فى حديثه مع "التل" بشأن الضم. [الملك عبد الله] مستعد لكل شىء، ويريد التحالف بشأن الهدنة وبعد ذلك بشأن السلام.

وفى يوميات ١٨ ديسمبر ١٩٤٨ كتب "بن جوريون":

يعتقد "ساسون" أنه عن طريق "الملك" عبد الله وحده أو بصورة أساسية نستطيع التوصل إلى إنهاء الحرب.

وفى يوميات ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ كتب "بن جوريون":

وصلت من [موشيه] دايان برفقية (صدرت هذا الصبح ٣٠:٥). هذا نصها: «ويلهلم! الاسم السرى لعبد الله التل - بموجب إشارة إلى ويلهلم التل [اتصل هاتفياً هذا الصباح وقال إنه كان عند الملك [عبد الله] أول من أمس، وهذا عينه ممثلاً للملك لإعداد مشروع سلام معنا. وسينضم إلى المحادثات الأخيرة أيضاً الدكتور [السايطي]. وعندما يتم استكمال مشروعهم، سيعرضه الملك على مجلس الوزراء لإقراره. وإذا رفض مجلس الوزراء المشروع سيغير الملك الوزارة، نظراً إلى أن الملك هو الحاكم بأمره. اقترح بدء المحادثات منذ هذا المساء. مكان المحادثات فى القدس، فى موقع قريب من المنطقة الحرام، فى مبان تابعة لهم ولنا بالتبادل. جزمنا بأن تبدأ المحادثات غدا مساء ١٢/٣٠، الساعة ٣٠:١٨. طلب أن نحضر خرائط، وأوراقاً، وما إلى هنالك، وأن نحضر بثياب مدنية. ساد هذه الليلة هدوء تام فى القدس. جنود الفيلق

يتجولون مكشوفين خارج مواقعهم. ويلهلم يشكو من أن جنودنا يطلقون النار على البدو وقطعانهم في الجانب الشرقي من نهر الأردن قرب جسر الشيخ حسين والعدسية [القريبة من أشدوت يعقوف]، طلب وقف ذلك، وأكدت له أننا سنعالج الأمر. [نشاورت] مع [إياهو] ساسون، و[يعقوب] دوري، ورؤوفين شيلواح، ساسون يقترح أن يذهب رؤوفين مع موشيه [دايان]. أعددت قائمة بالموضوعات التي ستطرح في المحادثات.

وفي يوميات ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨ كتب "بن جوريون":

ساسون "يحلل الوضع في مصر، والعراق وسوريا ويتوصل إلى استنتاج مؤداه أن شرق الأردن الدولة المستقرة الوحيدة في الشرق العربي، لأن الدولة هي الملك" .. ويعتقد ساسون "أنه لا ينبغي الخوف من وحدة شرق الأردن والعراق"

وفي يوميات ١٥ يناير ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

- في الخامسة والنصف حضر يغثيل [يادين]. عاد من رودس بعد الظهر مع إياهو ساسون. متفائلاً. المصريون يريدون السلام. وفدهم عسكري، لكن أحد العسكريين سيتزوج شقيقة الملك فاروق الكبرى، ونائب عزام [باشا] في أمانة الجامعة العربية. سير المداولات جيد حتى الآن. يغثيل يحتج على بيان موشيه [شاريت] المرتبط (?) [علامة الاستفهام في المصدر] بالتزام جلاء المصريين قبل الهدنة. يعتقد يغثيل أنه يمكن السماح للمصريين بالبقاء في الشريط الساحلي خلال فترة الهدنة. وفيما يتعلق بالقالوجة، فهو يؤيد تحريرها جزئياً، شرط أن يُرسل [المسرحون] إلى خلف الحدود لا إلى غزة.

اقترحت على ساسون أن يعرب للملك عن احتجاجنا على دعوة البريطانيين - في الوقت الذي تدور محادثات سلام؛ فهذا عمل عدائي وتهديدي، كما أنه يظهر تعلقه بالبريطانيين. سيطلب منه [من الملك] موافقة على ذهابنا إلى إيلات. وإذا طلب منه الضم، فعليه عدم إعطاء رد إيجابي، ولا رد سلبي أيضاً.

لدى ساسون انطباع واضح أن المصريين يريدون السلام، وأنهم ضاقوا ذرعا بتورطهم فى سياسة عربية شاملة، وأنهم ذاقوا طعم الهزيمة المر.

وفى يوميات ١٦ يناير ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

العجوز "عبد الله" (الملك) يشكو من الإنجليز، ويطلب عدم ترك المصريين - لا سمح الله - فى غزة ومن المفضل أن نسلمها إلى الشيطان، أن نأخذها نحن شرط ألا يأخذها المصريون(!!).

وفى يوميات ١٧ يناير ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

- جاء موشيه دايان و[إلياهو] ساسون. سافرا إلى الشونة عبر الطريق العادي. وكان باب العمود خاليا من أى شخص خلال ذهابهما وإيابهما. ترتيبات الحراسة فى المدينة ممتازة قرب جسر اللبى جمرك وحراسة ممتازة. لم يتم توقيفهما سوى ٣ مرات: فى المدينة، وعلى جسر اللبى، وفى الشونة. وبينما كانا فى طريقهما، تحدث موشيه مع [عبد الله] التل بشأن حرية الانتقال إلى الخليج [خليج إيلات] وسيتحدث مع الملك فى هذا الشأن. عارض التل ذلك، قال إن عندهم بشأن الخليج خطة - مفادها أنه سيكون كله فى أيديهم، وسيسمحون لنا بالوصول إليه، كما فى حيفا - تأمين حرية الوصول إليهم. "إنهم لا يزمعون على التقدم، وهم مستعدون لتوقيع اتفاق عدم اعتداء، وعدم تقدم. كان الحديث مع الملك شاقا. كان عنده - بصورة غير متوقعة - بعض الضيوف، القنصل الأمريكى وآخرون. حضر الملك فى منتصف تناول الطعام. كان الحديث متوترا. تكلم ساسون والملك بالعربية. استمر الحديث ثلاثة أرباع الساعة، استهل الملك كلامه: يقال إننا أعداء - يشهد الله أننا لسنا أعداء.

سأل عن موشيه [دايان]، من هو، وطلب إرسال التحية إلى شرتوك ووايزمن وغولدا. غضب على غولدا، لأنها كانت قادرة على الحؤول دون الحرب ولم تفعل، وحسن أنها أرسلت إلى موسكو. قال ساسون إن لديه (لدى الملك) انطباعا مغلوطا فيه بشأن غولدا، ربما لأنها لم تكن قادرة على التكلم بالعربية. صب (الملك) جام غضبه على الدول العربية. إنه لا يعترف بحق أية دولة فى أن تكون موجودة فى البلد،

بامتناء اثنتين - إسرائيل وشرق الأردن. استخدم أيضا عبارة حكومة إسرائيل. إنه يتخوف من شيء واحد فقط - من الشيوعية ومن العلاقات بروسيا. رد ساسون [بأن إسرائيل] خائفة من إنجلترا: إنه لا يريد محادثات مشتركة مع الدول العربية. وهذه عليها المغادرة. مجلس وزرائه ومستشاروه البريطانيون يؤيدون محادثاته في رودس بشأن الهدنة. إنه متردد. ليس مع الآخرين، وليس في رودس. لماذا لا يجرى الأمر عنده؟ دعا ساسون وموشيه إلى الحضور إليه مرة أخرى خلال أسبوعين. إنه الآن يدرس المشروع. وبعد أسبوعين سيرد علينا. وبالنسبة إلى رودس، فإن لديه تحذيرا وطلبا - إخراج المصريين من حدود البلد. ساسون رد بأنه كان شخصا في رودس وأن المحادثات عسكرية فقط، ومن الجائز أن يتم الاتفاق على بقاء المصريين [في غزة]. قال: لا تفعلوا ذلك - لتبقَ حكومة إسرائيل هناك، ليبق الشيطان، [ليبق] أى أحد ما عدا مصر."

أكد عبد الله [التل] خلال رحلة العودة أن الملك كان صريحا جدا. قال طبيب الملك [الدكتور الساطي]. في حديث قصير مع ساسون: تدبروا أمر التل وكل شيء سيكون على ما يرام.



وفجأة وقع انقلاب في سوريا، وتسلم مقاليد الحكم "حسنى الزعيم"!

وفي يوميات أبريل ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

طلب "ساسون" تأجيل محادثات الهدنة كى لا تكون إسرائيل أول من يعترف بالنظام الجديد، ونصح "ساسون" بالعمل على إضعاف "حسنى الزعيم" وعدم مفاوضته بشأن الهدنة!

وفي يوميات ٢ يونيو ١٩٤٩ كتب بن جوريون عن تفاصيل لقاءات "ساسون" مع رئيس الوفد المصري "عبد المنعم مصطفى" في لوزان [اقرأ التفاصيل الكاملة في الفصل الرابع]

وفي يوميات ٩ يوليو ١٩٤٩ كتب "بن جوريون":

يعتقد "ساسون" أن لا خوف من قيام العرب بمحاربتنا خلال ٣ - ٤ أعوام حتى لو لم يحل السلام.



وحسب ما يرويهِ الكاتب الإسرائيلي "توم سيفغف" في كتابه (١٩٤٩ - الإسرائيليون الأوائل):

وفي مقابل الاتصالات التي جرت في القدس بين "دايان" و"التل" جرت محادثات سياسية بين ممثلين عن الأردن وإلياهو ساسون في باريس ولندن. وهيات كل هذه المحادثات الأجواء لإجراء محادثات مباشرة في قصور[الملك] عبد الله.

أثمرت المحادثات التي دارت في الشونة وعمان. تقارير كثيرة، كان بعضها متناقضاً، وبعضها الآخر يزخر بالفولكلور أكثر مما يزخر بالتاريخ.

كان هدف أحد الاجتماعات الأولى مع الملك العمل على إطلاق نحو ٧٠٠ إسرائيلي من سكان الحى اليهودى وغوش عتسيون. كان الأردنيون قد أسروهم خلال الحرب.

وقد درج [الملك] عبد الله على تكريم ضيوفه الإسرائيليين بمآدب عامرة. وكان يكثر من سرد النوادر والأمثال العربية. وبعد المأدبة يروى لهم النكات والطرائف.

أما "ساسون" فكان يضحك حين يجب الضحك، ويتأثر عندما يستوجب الأمر التأثر!!

ورأى "ديان" في ثروة الملك هدراً مملأ للوقت!!

كان "ساسون" الذى يكبر "ديان" بأكثر من عشرة أعوام، شديد الانسجام مع تلك الأجواء، وبدا أنه نسي مسألة الأسرى لشدة استمتاعه، وأخذ "ديان" يحشه من حين إلى آخر على ولوج الموضوع: هيا بنا!!

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل. فالترتيب المبدئي، وحتى التفاصيل التقنية، بما

فى ذلك نفقات انتقال المطلق سراحهم قد بُحث فيها مسبقا مع "التل"، وبحسب "ديان" فلقد اتفق التل عليها مع الملك، لكن الملك لم يقل كلمته بعد(!!)

وروى "ساسون" فيما بعد (ما جرى بينه وبين الملك عبد الله) على النحو التالي:

وأخيراً عندما حان فى رأى الوقت الملائم قلت لديان: هيا بنا!!

قمنا أنا وهو، وقام الملك أيضا لمرافقتنا إلى المدخل، وكنت أعرف أنهم يتعاقبون عادة عند الوداع. هذا ما كان يجرى فى الاجتماعات السابقة بيننا!!

وعندما تقدم الملك ليعانقني، أدخلت يدي فى حزامه وأمسكت به، وكان هذا إحدى عادات الأرستقراطية العربية، فإذا ما نجحت فى القيام بذلك نلت كل ما تطلبه.

رفع الملك عبد الله يديه وقال:

- إلياس، اطلب ما هو ممكن فقط، أي: أنى تحت أمرك وتستطيع أن تطلب ما تشاء!

قلت: سأطلب الممكن فقط!!

ويكمل "ساسون": وكان ذلك مشهداً مسرحياً، الجميع واقفون ومحملقون، وديان و"التل" واقفان بينهما.

قلت: سيدى الملك، لديك ٧٠٠ امرأة وطفل وشيخ وجندي، إن حكومتك تدفع مالا لإطعامهم من أجل ماذا؟! أعطنا إياهم.

واستجاب الملك..(!!)



ومع الوقت كان هناك من عزا إلى "بن جوريون" نية التخلي عن السلام من أجل المحافظة على التوتر المطلوب لتوحيد المجتمع الإسرائيلى وبلورته. وكان هناك من اتهم إسرائيل بأنها أضاعت فرصة السلام. غير أن المحاضر التى سُجلت فى الجلسات

المغلقة، والبرقيات السرية التي تبادلها قادة الحكم، وحتى مذكرات "بن جوريون" تعكس رغبة صادقة في التوصل إلى اتفاق لكن ليس بأي ثمن.

كان "إلياهو ساسون" يختلف في رؤيته عن "بن جوريون" ولكن!! تفاصيل ولكن المتعلقة "بإلياهو ساسون" يفرد لها المؤلف "توم سيغف" محطة مهمة يقول فيها:

غير أن "إلياهو ساسون" كان الوحيد الذي تمسك خلال تلك المحادثات باستغلال الفرصة لوضع أساس للتعايش العربي - اليهودي في المدى الطويل.

وذكر - أي ساسون - في إحدى المناقشات السياسية أن أمام الدولة طريقين مفتوحين: "ففى الإمكان مواصلة نشاطنا العسكرى بحيث نصعد المصريين من جهة، وشرق الأردن من جهة ثانية، والعراق من جهة ثالثة، والسوريين من جهة رابعة، ونحصن حدودنا نقول إننا دولة غربية تتنازل عن أية صلة لها بالشرق، فنحن لا نريد علاقة اقتصادية أو سياسية بالشرق ونحن داخل حدودنا، هذا هو الطريق الأول."

وكان "ساسون" حسب رأى المؤلف - يعتقد أن هذا ليس الطريق الصحيح، ففى رأيه أن على إسرائيل أن تنخرط فى العالم العربي، وأن تربطه بها".

وعندما وصل "ساسون" إلى رودس فى الأيام الأخيرة للمفاوضات مع مصر، ساهم كثيراً فى إنجاحها عبر محادثات غير رسمية أجراها مع المصريين، مشيعاً حوله جواً من الثقة والصداقة والاعتدال والارتياح، وحذر من أن يثقل التصلب الذى أظهره زملاؤه على استمرار العلاقات بين إسرائيل ومصر.

وكتب ساسون فى إحدى برقياتہ إلى "شاريت" طالبا رحابة الصدر: "لقد كرر المصريون تأكيدهم إنهم يرون فى الهدنة خطوة واحدة فقط نحو المستقبل، فالمطلوب منك ومن "بن جوريون" أن تتصرفا بكل ما أوتيتما من قوة لمعالجة شئون السلام كما كرستما نفسيكما لشئون الدفاع."

غير أن أحداً منهما لم يستجب له، إذ لم يكن رجلاً عملياً.

٦

يهودية
فى فراش
الملك

السياسة بأمر الجنس

كان الملك مبهوراً بأننى يهودية !!.

فى هذه الكلمات الخمس التى تعترف بها «إيرين نجار» يكمن فهم سر هذه العلاقة الغريبة والمعقدة !!.

لم يكن اليهود غرباء على الملك فاروق فى يوم من الأيام !!.

منذ طفولته وسنوات عمره الأولى كان اليهود موجودين وبفاعلية لا تخطئها العين داخل كواليس ودهاليز القصور !.

لقد فتح فاروق عينيه ليجد أن كبيرة الوصيفات الخاصة بوالدته الملكة «نازلى» هى اليهودية مدام قطاوى، والتى كانت بمثابة النافذة التى أطلت منها «نازلى» على الدنيا والعالم خارج القصر !!.

بل كانت مدام قطاوى واحدة من أقرب الصديقات لعشيقة الملك فؤاد وهى اليهودية مدام سوارس !!.

لقد كانت السيدة «سوارس» حبيبة الملك فؤاد وعشيقة طوال عشرين عاماً، وكانت واحدة من أبرز سيدات المجتمع اليهودى فى القاهرة.

والأخطر من علاقة الحب مع الملك فؤاد «والد فاروق» أنها أجبرت الإنجليز على أن يجعلوا فؤاد ملكاً على مصر على الرغم من أن ترتيبه لم يكن طبقاً للخلافة يسمح له بهذا المنصب.

والأهم من ذلك أنه كانت لسوارس اليد العليا فى ترتيب زواج «فؤاد» من ابنة عمه الأميرة شويكار التى كان عمرها وقتها ١٩ سنة !.

كانت شويكار من أغنى أميرات مصر، وكان ذلك ضرورياً وهاماً بالنسبة لفؤاد الذى كان مفلساً من لعب القمار. وبعد حصول فؤاد على أموال زوجته الأميرة «شويكار» قامت السيدة سوارس باستثمار هذه النقود مع أصدقائها اليهود فى المجال الصناعى، وتحولت هذه الأموال إلى ثروة طائلة.

وفجأة ماتت السيدة "سوارس" بالسكتة القلبية فى إحدى الحفلات وهى ترقص مع الملك فؤاد!

وكذلك كان السيد "روبرت رولو" اليهودى هو الصراف الشخصى للملك فؤاد والذى تولى نقل ثروة معقولة إلى إيطاليا لحساب الملك.

وفى كتاب "الملك الذى غدر به الجميع" كتب عادل ثابت "يقول:

"كانت نازلي" فى صباها فتاة رومانسية قوية الإرادة، فقد أحس الملك فؤاد بوضوح إنه ينبغى التأكد من عزلها عن بقية العالم.

كانت كبيرة وصيفاتها سيدة يهودية هى مدام قطاوى باشا، القصيرة البدينة المرححة، والتي كانت فيما سبق صديقة حميمة للملك "فؤاد"، وواحدة من مضيفات قصر الدوبارة.

وكانت مدام "قطاوي" امرأة حلوة السمائل، لها أنف معقوف وشعر كستنائى، ترتدى دائماً ثياباً أنيقة، وتعد نموذجاً نبيلاً رائعاً لليهود الأرستقراطيين فى القاهرة فى ذلك الحين.

وكان آل قطاوى من اليهود السفارديم مع أصل أسباني من بعيد على الأرجح. الذين يتمون إلى تلك الجالية المتأنقة من الأسر اليهودية، هى التى أنشأت الحى السكنى الرشيق فى قصر الدوبارة، وكانت تشمل آل عدس، وآل رولو، وآل توليدانوس، وآل هراري، وكثيرين آخرين تتراوح أنشطتهم بين مناصب الدولة العليا، والبروز، فى دور الأعمال الكبرى.

وكان "قطاوي" باشا وزيراً، وابنه أصلان عضواً بارزاً فى برلمان الملك فؤاد.

وشاع فى تلك الأيام أن سر تعيين الملك فؤاد ليوسف أصلان قطاوى وزيراً للمالية فى حكومة "أحمد زيور" باشا هو مجاملة الملك لوصيفة شرف زوجته الملكة "نازلي" حيث كانت زوجة يوسف قطاوى تشغل هذا المنصب الخطير والمؤثر!!



باختصار شديد لم يكن "فاروق" فى طفولته أو شبابه غريباً أو بعيداً عن نساء اليهود!!

- لكن علاقته باليهودية الحسنة الشابة المطلقة "إيرين" كانت شيئاً غريباً ولافتاً للأنباء، فقد اختلطت فيها السياسة بالجنس!!! والمناقشات بالقبيلات!! و...

وتفاصيل الحكاية من الألف للياء تعرض لها الكاتب الصحفي "وليام ستاديم" فى كتابه الهام الذى صدرت ترجمته تحت عنوان «مملكة فى سبيل امرأة» وقام بترجمته الأستاذ «محمد غنيم» وكتاب «القاهرة فى الحرب العالمية الثانية» تأليف «ارنيميس كوير» وترجمة الأستاذ «محمد الخولى»..



فى ذلك الوقت من صيف عام ١٩٤١ كانت "إيرين نجار" أجمل فتاة فى مصر. كانت "إيرين" فتاة يهودية من الإسكندرية، حيث اعتاد نجوم المجتمع هناك ورجال السياسة والأحزاب والأجانب على متابعة نشاطها الاجتماعى البارز. كان نجوم المجتمع وقتها يتابعون مجهودات "إيرين" فى جمع الأموال للمجهودات الحربية، وكانت أكبر وأهم هذه المناسبات هى حفلة الصليب الأحمر فى الإسكندرية! وكان اللافت للنظر فى ذلك الوقت هو إدارة "إيرين" "لبار" حددت فيه سعر زجاجة الشمبانيا بمائة جنيه، أما سعر القبلة "الواحدة" فكان بمائة جنيه!!! وكان الكل يتسابق على الفوز بقبلة من اليهودية الفاتنة المثيرة "إيرين نجار" تحت زعم أن هذه الأموال كلها تذهب فى نهاية الأمر إلى المجهود الحربى. كان عمر "إيرين" فى ذلك الوقت ٢١ عاماً من عائلة يهودية عريقة تعمل بالتجارة، على وجه التحديد تجارة القطن.

فى سن السابعة عشرة حلمت "إيرين" بالتمثيل، وجاءت الفرصة الذهبية عندما عرض أحد كبار منتجى هوليوود على والدتها أن تقوم الابنة "إيرين" بتصوير فيلم فى "كاليفورنيا" وكان العقد المالى مثيراً ومغرياً.. لكن الأم رفضت. فقد كانت تعتبر أن كل الممثلات عاهرات.

بدأت الأم على الفور فى اتخاذ قرار بزواج "إيرين" الآن وليس غداً!!!

كانت الأم تتابع بقلق وسعادة وخوف وزهو جسد إيرين الثائر الفاتر المثير للانتباه والفتنة.

إن إيرين تصف نفسها وجسدها بسعادة شديدة فتقول: بصراحة كان قوامي جميلاً جداً، كنت ألعب السباحة كثيراً، وركوب الخيل، والتنس، وكان أكثر شيء إثارة في جسمي هو صدري (!!) لم يكن ممثلاً كما يحبه الأمريكيون، ولكنه كان جميلاً جداً.

كانت الأم وابتها "إيرين" من رواد نادي سبورتنج السكندري العريق، وبالصدفة أيضاً كان من أبرز أعضائه اليهودي الإنجليزي البارز "لوريس نجار"!

يمكن القول أنه من النظرة الأولى ذاب البرود الإنجليزي ووقاره وانهارت مقاومة "لوريس نجار". وبسرعة تم الزواج!!

كان هذا الزواج مأساة كاملة "لإيرين" ذات السبعة عشر ربيعاً!!

كان عمر العريس ٢٩ عاماً، وعندما قامت الحرب - في ١٩٣٩ - قام لوريس بتغيير اسمه إلى "جرائت" وانضم إلى الجيش الإنجليزي، كان الرجل باختصار عاشقاً لكل ما هو إنجليزي وكارهاً لكل ما هو إنجليزي، وكارهاً لكل ما هو "نازي وألماني" وهو نفس ما شاركته فيه "إيرين" نفسها!!

لم يستمر الزواج سوى أربع سنوات ونصف السنة بالضبط، لكن بداية المأساة في هذا الزواج يرجع إلى الليلة الأولى منه!!

في ليلة زفاف "لوريس" (٢٩ سنة) وإيرين (١٧ سنة) ذهب الاثنان إلى فندق المينا هاوس الذي يطل على الأهرام، والذي كان يقيم فيه الزعيم البريطاني "تشرشل" أثناء سفره إلى القاهرة.

عشرات الأحلام والمشاعر كانت تتوقعها "إيرين" في تلك الليلة "ليلة العمر" وبسرعة جاء كل شيء سريعاً مخيباً لآمالها كأثني وزوجة وعذراء!!

لم يبد "زوجها" أى اهتمام بجمالها الخرافى، تجاهل جسدها الفاتر، لم يحاول أن يلمسها، لم يفكر أن يضمها إليه.

بهدوء شديد تقدم زوجها من حقبة صغيرة كان يحملها، وأخرج عصا وزوج حذاء أسود حريمى بكعب مرتفع وجوريا أسود...، انتابت الدهشة "إيرين" ولم تفهم مغزى ما يفعله زوجها!!

كانت لا تزال غارقة فى أحلامها الوردية عندما فوجئت زوجها يطلب منها أن تضربه بالعصا حتى يسيل دمه!!

فوجئت إيرين واندeshشت وارتبكت لهذا الطلب الغريب. والباقى معروف بالطبع!!

وفى الصباح، وقبل أن يصحو زوجها كانت قد غادرت غرفتها وجرت ناحية الأهرامات تبكي، لكن زوجها كان قد استطاع أن يصل إليها وطيب خاطرهما وعادا معاً إلى غرفتهما...و.. تكرر نفس الطلب الغريب من زوجها الشاذ(!!)

واستسلمت "إيرين" وفيما بعد قالت:

لم أكن أتصور أن الطلاق شيء ممكن حدوثه، وكنت أظن أن الزواج مستمر للأبد، وكنت مضطرة أن أقوم بضربه حتى يسيل منه الدم ثم أمرر الكعب العالى للحذاء بعنف وقسوة فى هذه الجروح حتى يستطيع أن يمارس الجنس معي.. وكنت أفعل ذلك ثلاث مرات كل يوم.

وفى المرات التى كانت "إيرين" تعترض على ما تفعله كان زوجها يقول لها ببساطة وبرود: هذه هى الطريقة الطبيعية التى يتبعها الجميع.

بعد سنوات طويلة من انتهاء كل شى اعترفت "إيرين" قائلة:

- أصبت بالمرض والغثيان، أخذ شعرى يسقط، وأخيراً بعد أربع سنوات ونصف السنة استطعت أن أحصل على الطلاق، بعد كل هذا العناء يمكن أن تتصور السعادة التى أحسست بها عندما قابلت فاروق!!



كانت قد مضت شهور قليلة على طلاق "إيرين"!!

وكان الملك فاروق يتابع أخبار "إيرين" أولاً بأول!!

كانت "هيلين موصيري" واحدة من أصدق صديقات الملك الشاب، وكانت مقربة جداً لدرجة وجود خط تليفونى مباشر فى غرفتها يصلها بالملك فاروق!

وبتاريخ الأحد ١٠ يونيو ١٩٤٥ كتب السفير الإنجليزى "لورد كيلرن" فى يومياته يقول:

أقيم منذ عدة أيام حفل كبير ضم أصدقاء الملك المقربين من أمثال "هيلين موصيري" وغيرها، وكان لدى هيلين موصيري تليفون خاص بجوار مخدعها.

وكان الملك "فاروق" وحده الذى يمكنه أن يتصل بها ليلاً أو نهاراً، وحدث أن اتصل بها التواحدة صباحاً لكى يقول لها إنه يرغب فى دعوة الأصدقاء للعب الميسر.. إلخ.

وذات ليلة تسلسل الأرق والملل إلى الملك الشاب، وكان أن طلب اليهودية "هيلين موصيري" وأوضح لها أنه يريد أن يقابل فتاة جديدة!!

وحسب نصيحة اليهودية "هيلين موصيري" فقد اختارت للملك المطلقة الشابة اليهودية "إيرين"! *

وكان لابد من تدبير مناسبة لبداية اللقاء!!

ولم تكن هناك مناسبة أفضل من حفل الصليب الأحمر فى الإسكندرية لجمع التبرعات التى تذهب للمجهود الحربى. وكانت "هيلين موصيري" نفسها هى المسئولة والمنظمة لهذا الحفل!

ولم تجد "هيلين موصيري" صعوبة أو مشكلة فى إقناع "إيرين" بالمساهمة والاشتراك فى هذا الحفل الخيري!!

فى مناسبات سابقة كانت هيلين تطلب من "إيرين" أن تدبر البار، وتقدم زجاجة الشمبانيا بمائة جنيه، والقبلة بمائة جنيه!!

أما فى هذه المرة فقد طلبت منها أن تقف على "بار" لا يقدم إلا عصير البرتقال!!

ولم تعرف "إيرين" وقتها السبب فى جعلها مسئولة عن عصير البرتقال، لكنها عرفتة فيما بعد وعلى لسان الملك فاروق نفسه!!

ببساطة شديدة إن الملك فاروق سيحضر هذا الحفل وهو يفضل "عصير البرتقال"!

لكن الأهم من تفضيل الملك لعصير البرتقال كان تفضيله "للألمان"!!

وهذا هو بالضبط ما كان يزعج الإنجليز واليهود فى مصر!!

منذ البداية لاحظت وزارة الخارجية الألمانية مدى كراهية "الملك فاروق" للوجود البريطانى فى مصر. ولذا وضعت منذ المراحل الأولى من الحرب فى مقدمة هؤلاء الذين يتزعمون تعبئة رأى العام المصرى ضد بريطانيا!

والأكثر من هذا أنها اعتبرته من الجديرين بالعناية والمساعدة وقت الضرورة، وبعد الملك فاروق كان اسم "على ماهر" باشا فى قائمة الأسماء الهامة بالنسبة لوزارة الخارجية الألمانية.

ومن جانبه فقد حرص الملك فاروق على لفت نظر القيادة الألمانية إلى الأشخاص المتفقين معه فى الميول المحورية بمصر، فقد حرص على إبلاغ المسئولين فى وزارة الخارجية الألمانية بمقررى التغيير الوزارى بحل وزارة "محمد محمود" وتكليف "على ماهر" برئاسة الحكومة التى ضمت عناصر معادية لبريطانيا مثل "صالح حرب" وزير الحربية، و"عزيز المصري" رئيس هيئة أركان الجيش، وعبد الرحمن عزام وزير الشؤون الاجتماعية.

وقام الملك فاروق بتكليف "مراد باشا" وزير مصر المفوض فى برلين بالاجتماع مع "فورمان" الوكيل المساعد بالخارجية الألمانية ومدير القسم السياسى بها، وفى الاجتماع الذى تم يوم ٢٨ أغسطس ١٩٣٩، قدم "مراد باشا" باسم الملك فاروق التوضيحات التالية ومؤداها ما يلي:

١ - إن مصر أصبح لديها الآن مجلس الوزراء غير متعاطف مع الإنجليز، وإن رئيس الحكومة «على ماهر» يعد موضع ثقة الملك فاروق ومستشاره الأول، ولا يقل عن الملك فاروق في عدائه للإنجليز.

٢ - إن الملك فاروق يخشى نتيجة لعلاقته السيئة مع الإنجليز من احتمال إجباره على التنازل عن العرش مثلما فعلوا مع الخديو عباس حلمي الثاني عام ١٩١٤.

لقد حصل مراد باشا - مبعوث الملك على التأييد المعنوي فقط، لكن "فورمان" لم يتطرق إلى الحديث عن مساندة أو إنقاذ الملك في اللحظات الحرجة!!

ولم يترك فاروق عام ١٩٤٠ يمر إلا ويتقابل مع وزير بلغاريا الذي يبعث لحكومته برسالة هامة جاء فيها: إن الملك فاروق استدعاه لإبلاغه القيادة الألمانية بتعاطفه معهم! أما في عام ١٩٤١ فقد زاد حماس الملك فاروق لمزيد من الاتصال بالمستولين الألمان. خاصة بعد أن شعر باهتمام القيادة الألمانية بشخصه، وبما يجري في مصر!

مع بداية عام ١٩٤١ انتقل الملك إلى مرحلة الإعداد للتعاون الوثيق مع الألمان، من خلال قناتين، الأولى في طهران، وهي قناة مباشرة يمثلها فيها والد زوجته (فريدة) ووزيره المفوض في إيران "يوسف ذو الفقار باشا". والجانب الألماني يمثلها وزير ألمانيا المفوض "إيتل"!

وكانت القناة الثانية غير مباشرة. فكانت في بغداد، وشارك فيها أكثر من طرف "عزيز المصري" و"الحاج أمين الحسيني" مفتى فلسطين!

وفي نفس الوقت تجاوزت وزارة الخارجية الألمانية مع جهود الملك فاروق، وتابع "هتلر" باهتمام واضح الاتصالات التي جرت مع الملك!! كما بادرت الاستخبارات الألمانية - التابعة للجيش - بالاتصال ببعض ضباط الجيش المصري من أصحاب الميول المحورية.

وفي مقابلة بين "يوسف ذو الفقار" (والد فريدة) وإيتل قام يوسف بإبلاغه أن الملك يعاني من مصاعب جمّة، وحمله رسالة من الملك فاروق مؤداها "أن الملك يكن

احتراماً عميقاً للزعيم هتلر وللشعب الألماني، ويود رؤية انتصار ألمانيا الحاسم على بريطانيا، كما يشارك الملك شعبه أمنية وصول القوات الألمانية إلى أرض مصر متصرة ومحرة لمصر من الوجود الإنجليزى البغيض: "!

ويقول د. وجيه عتيق" فى كتابه إن الخارجية الألمانية عكفت أسبوعين على دراسة برقية إيتل ومحادثاته مع يوسف ذو الفقار، وقام وزير الخارجية "ريبتروب" باطلاع "هتلر" على رسالة الملك فاروق. وأصدر هتلر تعليماته بالرد على رسالة الملك الذى جاء على شكل برقية مطولة وصلت طهران فى ٣٠ أبريل ١٩٤١ "إن هتلر استقبل باهتمام بالغ تصريحات الملك فاروق."

وطلب وزير الخارجية الألماني "ريبتروب" من إيتل أن يبحث السفير المصرى "يوسف ذو الفقار" على سرعة إبلاغ الملك بتصرّيات هتلر وإبلاغه باستعداد الجانب الألمانى لإقامة تعاون وثيق فى المنظور القريب، وأن يفوض الملك شخصاً موثقاً فيه من جانبه، وذا صلاحيات واسعة تؤهله رسمياً للتحدث باسم ملك مصر، وكذلك استعداد الحكومة الألمانية لاستماع مقترحات ووجهات نظر الملك المهمة فى هذا الصدد. "وأكثر من هذا اهتمام الحكومة الألمانية بحياة الملك فاروق وبيعض العناصر الأخرى الموالية لها."

ويلفت النظر اعتراف الملك فاروق للألمان بأنه أصبح تحت المراقبة الدقيقة من قبل عيون الإنجليز فى كل مكان، وأن المراقبة امتدت لتشمل قصره الخاص (عابدين) وطلب الملك من الألمان وضع أمر هذه المراقبة له فى الحسبان حتى لا يقع أدنى خطأ من جانبهم يكشفه أمام الإنجليز!

وهنا بالضبط تبدأ مهمة "إيرين نجار" اليهودية الشقراء المثيرة!!

كانت المهمة سياسية بالدرجة الأولى، ولم يكن عصير البرتقال أو الجنس والقبلات فيما بعد إلا ستاراً لهذه المهمة المثيرة!!



ووصل الملك فاروق إلى الحفل!!

وقادته قدماه إلى البار الذي تقف عليه "إيرين" ليتناول عصير البرتقال.

ولشدة دهشة الملك فاروق لم يجد "إيرين" عند بار البرتقال حسب اتفاقه السابق مع "هيلين موصيري"، ولا بد أن "هيلين" قد أصابها الفزع والارتباك لعدم تنفيذ "إيرين" ما سبق أن اتفقت معها عليه!!

وفى تلك اللحظة بالضبط كانت "إيرين" تقف على إحدى موائد القمار محاطة بفرقة من الضباط الإنجليز فى ملابسهم الرسمية، والملفت للنظر هو قيام أعضاء المجتمع السكندري البارزين بالعمل على خدمتهم.

فى تلك الليلة كانت "إيرين" ترتدى ثوباً أبيض موسلين عليه شغل إبرة لريشة حمراء (علامة الصليب الأحمر) حول أحرف الثوب ومزين بريشتين كبيرتين حقيقتين لونهما أحمر.

وأحست إيرين وهى منهمكة فى لعب القمار بأن هناك من يتفحص هذا الثوب الذى أبدعته مدام "برتن" مصممة الأزياء الأولى فى الإسكندرية.

استدارات "إيرين" خلفها لتجد نفسها فى مواجهة ملك مصر فاروق وهو يرتدى بدلة عسكرية ملكية صيفية.

كانت هيئة وشكل كل منهما لا تعطى السن والعمر الحقيقى لصاحبها!!

كان شكل ومنظر "فاروق" أكثر بسنوات من عمره الحقيقى وهو ٢١ سنة!!

وكانت "إيرين" تبدو أقل كثيراً من عمرها الحقيقى أيضاً وهو ٢١ سنة!!

وطال وقوف الملك فاروق خلف "إيرين"، وفهمت حاشية الملك مغزى رسالة

الملك لهم، فجاءوا على الفور بعرش مطلى بالذهب ليجلس عليه الملك!!

لكن الملك لم يجلس عليه، وإزاء دهشة الحاضرين جميعاً طلب من إيرين

الجلوس على هذا العرش، وجلس بجوارها على مقعد صغير.

كانت الحفلة بأكملها قد انتقلت بأبصارها إلى حيث الملك وما فعله مع "إيرين"،

وفى لمح البصر كانت "إيرين" قيلة الأنظار ومحط الاهتمام بالكامل!!

وأمام الجميع ويشهادتهم أيضاً لعب الأثنان القمار، وكسبت "إيرين" !!
ولم يستطع "فاروق" أن يخفى سعادته بتعرفه على "إيرين" واعترف لها ببساطة أنه
هو الذى طلب من "هيلين موصيري" أن تجعلها تقف على بار عصير البرتقال !!
ولم يدع فاروق الفرصة تفلت منه، ودعا "إيرين" إلى السباحة معه فى منتصف
الليلة فى قصره بالمتزّه!
لكن المفاجأة أن "إيرين" شكرته ورفضت الدعوة، بل تركت مائدة القمار،
ونفضت من على كرسى العرش فى طريقها إلى خارج الحفل !!
كان التصرف غريباً ومدهشاً ولافتاً للانتباه بشدة !!



من بعيد لبعيد كان "سير مايلز لامبسون" السفير البريطانى يتابع ما يحدث
بين "إيرين" وبين الملك فاروق !!
لقد كان لامبسون يكره فاروق ويحتقره، ويعامله كصبي أحمق، وكان شعور
فاروق تجاه لامبسون أنه متعجرف ومتسلط !! كلاهما كان لا يطيق الآخر !!
كانت هواجس "لامبسون" تزداد تجاه تنامى مشاعر "فاروق" الموالية نحو الألمان !!
وكان لابد من حل، وهنا بدأ دور "إيرين نجار" !
قبل أن تغادر "إيرين" مكان الاحتفال كان قد لحق بها "لامبسون" وسارا معاً إلى
إحدى الشرفات التى تطل على أضواء وأنوار الإسكندرية المتلاثلة.
كانت "إيرين" تكره الألمان والنازى من أعماق قلبها، وكانت تميل بعواطفها
ومشاعرها إلى "الإنجليز" وكذلك للأمريكيين ! هكذا كانت معلومات السفير عنها !!
قال مايلز لامبسون لها: يجب أن تقابليه.

ردت إيرين: بعناد: لن أقابله !

بالبرود الإنجليزى الشهير عاد "السفير الإنجليزى" لامبسون" يقول:

- وبالطبع يجب أن تذهبي معه للسباحة فى القصر !.

وعلى ما يبدو فقد أدركت "إيرين" مغزى كلمات السفير البريطاني ودلالاتها
ليهودية مثلها فقالت على الفور:

- لست مهتمة إطلاقاً بفاروق، ولكننى سأفعل ذلك فقط لأنى أكره الألمان. سأفعل
ذلك لأننا يجب أن نكسب الحرب. وبأى ثمن!!

وابتسم السفير ولم تبادله "إيرين" الابتسام!

وفيما بعد قالت إيرين. كان (الملك) مولعا بالسيارات فأعطاه الألمان أجمل سيارة
خاصة مرسيدس رودستر "وكطفل فضل اللعبة الأحسن، وهذا الذى أوصله إلى
فكرة إخراج الإنجليز الذين قدموا له المضارب الذهب، إذا كسب الألمان الحرب
وسيصبح ملكاً حقيقياً."

كانت "إيرين" عميقة الإيمان فى كراهيتها للألمان، ومن هنا بدأت مهمتها التى
استمرت طوال عامين! أن تنجى فاروق من قبضة هتلر الشرسة!!

تركت "إيرين نجار" السفير البريطانى فى مكان الحفل، واستقلت سيارة "رولز
رويس" إلى منزلها وأحضرت "مايوه"، وفى حوالى الثانية صباحاً وصلت إلى القصر
كان الملك فى انتظارها على شاطئ البحر وكان لا يزال يرتدى بذلته العسكرية!

ارتدت "إيرين" مايوها أبيض اللون فبدت مثل إحدى حوريات البحر، واندفعت
بشقاوة ومرح وقفزت إلى مياه البحر، وظل الملك فاروق واقفاً ينظر إليها مبهوراً
ومندهشاً.

وظل الحال على هذا النحو حتى انتهت "إيرين" من السباحة، وخرجت من البحر،
وذهبت إلى داخل القصر لتغير ثيابها. وفجأة تذكرت أنها نسيت "صندلها" هناك على
الشاطئ، ولدهشتها فوجئت بالملك يذهب مسرعاً إلى الشاطئ ليأتيها بالصندل!!

ولم تكن تلك هى المفاجأة الوحيدة فيما جرى تلك الليلة.

كانت المفاجأة الأخرى التى حيرتها ولم تعرف سرها إلا بعد فترة طويلة أن الملك
لم يفعل معها شيئاً - أى شئ - وركبت السيارة الرولز رويس وعادت إلى منزلها عند
الفجر!!

وكأن شيئاً لم يكن.



لم تنم "إيرين نجار" فى تلك الليلة!

كان نور الصباح قد أوشك على الطلوع عندما وصلت إلى بيتها!!

كان والدها ووالدتها قد ناما منذ فترة طويلة، وحتى لو كانا مستيقظين فالأمر لن يختلف كثيراً معها، فلم تكن تصرفاتها وسلوكها منذ طلاقها مثار دهشة أو استنكار منهما.

لقد اعتاد الأبوان على سلوكها المتحرر، وتصرفاتها الجريئة، والتي كانت مثار حديث الطبقة الأرستقراطية فى ليالى وسهرات الإسكندرية!!

كانت الأسئلة والتساؤلات تملأ رأس "إيرين" مما أطار النوم من عينيها!!

كان أكثر ما يحيرها موقف الملك منها منذ ساعات عندما دعاها إلى قصره للسباحة وتركها تسبح بمفردها، واكتفى بالفرجة عليها!! اكتفى بالهمس دون اللمس!!

وكان أكثر ما يدهشها عندما ذهب ملك مصر بنفسه لإحضار "صندلها" التى نسيته عند الشاطئ!!

وكان أكثر من ذلك كله أن الملك لم يحاول أن يعاكسها وليس تقيلها؟!

وقررت "إيرين" أن تريح وتستريح بنسيان وتجاهل هذه الأسئلة التى لا تجد لها إجابة.

وهنا بالضبط دق جرس التليفون بجوار سريرها، ورفعت الساعة بشيء من الكسل وربما الغيظ، من هذا المتحدث السخيف فى تلك الساعة وماذا يريد؟!

كان المتحدث هو الملك فاروق نفسه، لكنه لم يذكر اسمه.. وعندما سأله "إيرين" عن اسمه اكتفى بأن يقول لها: أنا.

عادت إيرين لتسأله بدلال أنثوي: وبماذا تريد أن أناديك يا أنت؟!
وأجاب فاروق عن سؤالها بسؤال آخر: بماذا تريد أن أناديك؟!
صمتت إيرين فقال لها فاروق: سأقول لك بوتشي!!
وردت عليه إيرين بسرعة: وأنا أيضا سأناديك بوتشي!!
وعاد فاروق يقول لها: متى أستطيع أن أراك؟!
قالت بسرعة وجرأة لن تستطيع رؤيتي، فأنا مشغولة جداً!!
صدم الملك فاروق من جوابها لكن باقى جوابها صدمه أكثر وفاجأه أيضا، فقد
قالت له:
- وبالإضافة إلى ذلك أنا أكره الأشخاص الذين لديهم لحية!!



كان الملك فاروق فى ذلك الوقت - عام ١٩٤١ - قد أطلق لحيته فى حركة سياسية
أراد بها أن يتقرب من "الإخوان المسلمين" بزعامة الشيخ حسن البنا.
وكان حريصا على أن تبدو صورته للمصريين بمظهر المصرى المؤمن الورع الذى
يحرص على الصلاة ومبادئ الإسلام.
ولم تكن إيرين بالطبع تفهم هذه الخلفية!!
اندهش الملك وفوجئ بكلام إيرين. إنها تكره الأشخاص الذين لديهم لحية!!
وعلى الرغم من إلحاح "إيرين" على "فاروق" بحلق لحيته لكنه كان يرفض
باستماتة!!

وكان "فاروق" يتصل يوميا بإيرين ويصر على مقابلتها، لكنها كانت ترفض
الذهاب إليه، وكان السفير البريطانى "لامبسون" فى قلب الصورة من هذه المحاولات
بين الملك وإيرين!

ويبدو أن السفير كان قد تضايق من هذا الرفض المستمر من جانبها، وحسب ما جاء فى كتاب "وليم ستاڊيم". بعد هذه المحاولات الكثيرة من فاروق ولا ميسون وافقت "إيرين" على الذهاب لمقابلة الملك فى قصره بالمنتزه فى موعد غرامى حقيقى هكذا حددت هدفها منذ البداية!!

تقول إيرين بعد سنوات من هذه الواقعة: "ارتديت ثوباً دانتيل صغيراً أسود كان من الصعب خلعه، وكنت متأكدة أنه لن يستطيع الوصول إلى أى شىء وأنا مرتدية هذا الثوب".

فى تلك الليلة كان العشاء يكفى عشرة أشخاص، كان العشاء مكوناً من الجمبرى والحمام وأكلات بحرية قام بطهوها شيف فرنسي، وقدمها أربعة سفرجية سودانيون فى غرفة نوم الملك الواسعة التى تطل على البحر، وكان الملك ليلتها مرتدياً بدلة عسكرية ملكية!!

وأثناء العشاء فوجئت "إيرين" بالملك يتحدث طويلاً عن عائلتها وعن زواجها الفاشل... و...

وبعد أن استمعت "إيرين" من فاروق عن ملخص كامل لحياتها وأسرتها هنأتها مثل تلميذ مجتهد فى مذاكرة دروسه وقالت له:

لقد أدبت واجباتك المدرسية دون أية أخطاء! لكن "إيرين" تعلق على ذلك كله بقولها: كان لدى فاروق جواسيس فى كل مكان، إنه أكبر إنسان فضولى فى العالم، إذا عطست يجب أن يعرف ذلك.

وكان مما قالته أيضاً عن شخصيته: "كان فاروق مثل طفل يريد أن يحصل على لعبة، وكلما أسأت معاملته أصر على الحصول على هذه اللعبة".

وانتهت "إيرين" من تناول العشاء وطلبت من فاروق أن تعود إلى بيتها!

قال لها فاروق: ألا ترغبين فى البقاء لبعض الوقت؟!

ردت بدلال: ماذا نفعل؟!

بمساطة أجابها فاروق: «تيريني» (!!)

وكانها لم تسمعه عادت إيرين تقول:

- أنا فعلاً أريد أن أعود إلى المنزل!

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف كانت سيارة كاديلاك من القصر تعود "إيرين" إلى منزلها... وبعد عشر دقائق بالضبط كان "فاروق" يتصل بها تليفونيا ويطلب أن يراها مرة أخرى.

وتكررت اللقاءات طوال شهرين بين فاروق وإيرين!

وعندما بلغت "إيرين" سن السبعين قالت في حوار صحفي وهي تضحك:

- بصراحة لم يكن الملك دون جوان!! لم يكن مهتماً بالجنس!! لم تكن لديه أية شهية للجنس، ولم يكن يسعى إلى العلاقات الجنسية، كان ذلك كله بعيداً عن تفكيره!!



انتهت شهور صيف وبدأت أيام الخريف!!

وعاد الملك إلى القاهرة تاركاً الإسكندرية. في نفس الوقت كانت أسرة "إيرين" في طريقها إلى القاهرة حيث استأجرت شقة بميدان سليمان باشا لقضاء شهور الشتاء وتلقت «إيرين» دعوة من فاروق لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بأكملها في قصر عابدين.

واستجابت «إيرين» لدعوة الملك ولم تهتم بوالديها. فقد كانا لا يهتمان بأي أمر يخصها حتى ولو كان هذا الأمر مع الملك نفسه!!

أما «إيرين» التي عرفت الملك طوال شهرين فقد قالت معلقة:

«إذا كان الرجل يريد شيئاً، لن ينتظر كل هذا الوقت».

ونترك "إيرين" تصف ما جرى بينها وبين الملك في قصر عابدين فتقول:

- لقد أمضينا ليلة رائعة في جناحه بالقصر!! فتح الخدم حقيبة ملابسى فى غرفة نومه، ولكن ذلك لم يزعجني، لم أكن ألبس أى ملابس نوم، كان الجو حاراً جداً.

وسألته: هل يضايقك إذا نمت وأنا عارية؟!!

ورد الملك: لن يضايقنى لو نمت عارية أومرتدية لملابسك!!

وتكمل إيرين قولها إن الملك لم يكن يرتدى أى ملابس وهو نائم، وقام بتقبيلها على وجتيها، ونام كل منا عارياً تماماً فى أكبر سرير رأيتُه فى حياتي، دون أن يحدث أى شىء بيننا.

وفى صباح اليوم التالى انتقلنا إلى حمام السباحة الداخلى للقصر، ولعبنا فى حمام السباحة، ونحن عرايا مثل طفلين صغيرين فى يوم الإجازة. لم تكن هنا أية علاقات جنسية على الإطلاق، ولقد كنت سعيدة بذلك خاصة بعدما عانيت من ذلك فى زواجي.

كان الجنس هو آخر ما يفكر فيه الملك الشاب وقتها، وكان هذا ما يسعد إيرين التى تقول:

"كان الجنس بعيداً عن تفكيره، لقد كان يريد أن يضمنى مثلما يمك طفلى بقطة صغيرة. كان يحضن رأسى بين ذراعيه ويقول: يالها من رأس جميل أو قد يضغظ على قدمي ويقول يالها من قدم جميلة، وكان يُقبل وجتى كما كان يأكل الآيس كريم".



وهكذا استراحت «إيرين» اليهودية الشقراء لهذه العلاقة مع الملك فاروق!!

وذات يوم أخبرها الملك أنه يحبها!! وبجنون!!

لكن «إيرين» فاجأت الملك بسؤال لم يتوقعه ولم يخطر بباله:

- ولكن ماذا عن فاطمة طوسون؟!

كان سؤال "إيرين" للملك يحمل طابع اللوم والعتاب، فقد كانت الشائعات وقتها تدور حول علاقة مشيرة بين الملك وبين النبيلة "فاطمة طوسون"!

وأخبر فاروق، إيرين بأن "فاطمة طوسون" زوجة ابن عمه قد ولدت بنتاً لكنه لم يعط للموضوع أى اهتمام وأرسل لفاطمة عقداً من الجواهر فى المستشفى ولم يذهب لزيارتها على الإطلاق!!

وتصور فاروق أنه بهذه الإجابة يكون قد قدم لإيرين دليلاً كافياً على عدم وجود أية علاقة بينه وبين فاطمة طوسون!

ولم تكن "إيرين" على استعداد لأن تصدق إجابة الملك حتى لو أقسم لها!!

وبحسب كلمات "إيرين نجار" نفسها فقد "كانت فاطمة تريد أن يطرد (فاروق) فريدة من حياته ويجعلها ملكة لمصر، فالطلاق ممكن فى الإسلام، كل ما سيفعله فاروق أن يقول لها أنت طالق ثلاث مرات ويستهي كل شىء. وافق فاروق على ذلك ولكنه اشترط على فاطمة أن تعطيه ولداً حتى يتزوجها، ولكنه لم يكن جاداً معها، وإلا فلماذا بحث عني".



"كانت الأميرة فاطمة طوسون زوجة ابن الأمير عمر طوسون" أولى علاقات فاروق الغرامية غير الشرعية، وكان الأمير عمر طوسون يرقى مع الأمير محمد علي، وذلك على صعيد قمة العائلة الملكية فى البلد، وكان ورعاً مسلماً من المدرسة القديمة وقد آمن بأن مكان المرأة فى جناح النساء فى القصر الإسلامى، وبأن الشباب المستقيمين لا يجب أن يدخنوا أو يحتسوا الخمر أو حتى يضعوا ساقاً على ساق!!

وأصيب الأمير عمر بصدمة لقيام ولديه الأميرين "سعيد" و"حسن" طوسون بشرب الخمر وسباق الخيل وانتهاج سبل المعيشة الغربية، والذي صدمه أكثر هو التحرر الغربى لزوجتى ولديه "ماهاميش" و"فاطمة" اللتين صارتا صديقتين وبسرعة لابن العم الملك فاروق، كما أنهما صارتا من أشد المعجبات به! حيث كان يياض

البشرة فى مجتمع تلفحه شمس الصحراء هو الجمال الذى كانت تتمتع به فاطمة، وجسمها المكتنز باللحم قليلا، كانت تعتبر إحدى أجمل الجميلات.

ويقال - حسب كلام وليام ستاديم نفسه - إن جمالها يضارع وسامة فاروق ولأنه لم يلتفت إليها على الإطلاق، ربما فقد دفعها هذا الأمر فى الحقيقة إلى أحضان أميرها الذى يكبرها بعشرين سنة أو أكثر.

وعندما رأى "فاروق" فاطمة أخيراً لم يمنعها الزواج من تبادل الشعور معه فلم يجذب أى أحد ببساطة انتباه الملك إليها، ودعا "فاروق" لقضاء أمسيات على ضوء القمر فى أحب مكان للقاءاته وهو قصر صغير فى غاية الزخرفة على النيل فى حلوان، له شرفات شاملة. حيث النسومات العلية وروائع الياسمين والخدم والحشم المدلل الذين يجعلون أى إنسان يبدو كملك، ملك حقيقى على وجه الخصوص.

كان هناك قيل وقال لا ينتهى حىال طلاق وزواج مرة ثانية، وأن الطفل الذى تحمله "فاطمة" فى أحشائها هو طفل الملك وليس طفل الأمير، وعندما اتضح أن الطفل فتاة لُقبت فى بعض الدوائر "الآنسة الملكية". و!!

وتحولت اهتمامات فاروق إلى الشقراء الجميلة أنيقة المظهر إلى حد بعيد، إلا أنه من المستحيل الزواج بالمطلقة "إيرين نجار" اليهودية الإسكندرانية.



كان الإنسان الوحيد الذى بطبعه "فاروق" هو والده الملك فؤاد! كان أبوه بالنسبة له هو "الحكيم"، وقد أفهمه أبوه أن أحسن امرأة فى العالم هى المرأة اليهودية، وخاصة عندما تكون متعلمة!!

لم تكن خبرة الملك فؤاد التى نقلها لابنه "فاروق" آتية من فراغ بل من تجربة عشق مع يهودية دامت عشرين سنة، بل كانت نهايتها بين ذراعيه وأحضانه عندما فوجئ بوفاة "مدام سوارس"

وإذا كان الملك فؤاد لم ينس أبداً قصة حبه لمدام سوارس، فإن فاروق أيضاً لم ينس قصة هذا الحب، بل ورأى فى الحسناء الشقراء اليهودية "إيرين" فرصة لا تتكرر كثيراً لإحياء حكمة والده!!

يقول "وليام ستاديم":

كان فاروق يحب أن يحصل على أفضل الأشياء دائماً، فالملك يمتلك كل شيء، بما ذلك عشيقته يهودية.

بدأ فاروق يخرج مع "إيرين" فى الحفلات العامة، لقد أصبحت "خليته" الرسمية، يحلق ذقنه، وتذهب إلى حفلات الشاي الإنجليزية، ومقابل ذلك يصر على أن تصبح "إيرين" مسلمة وأعطاهما إحدى هداياه النادرة، مصحفاً صغيراً مرصعاً بالجواهر.

وأرسل إليها مدرساً عربياً لمدة ساعة كل صباح ليدرس لها دروساً فى القرآن الكريم، وأطلق عليها اسماً عربياً جديداً "فتحية" وهو نفس اسم شقيقته الصغرى.

وكانت "إيرين" تكره أن تستيقظ كل صباح على دروس فى التقوى، ولكنها حاولت أن تسايه.

وكانت جائزة «إيرين» أنها أصبحت مشهورة، بل أكثر من مشهورة فى القاهرة ومجتمعاتها الراقية.

كانا - الملك وإيرين - يذهبان إلى النوادى الليلية مثل "سكاربي" و"الكيت كات"، وكانت هذه النوادى ممتلئة بالجواسيس، بما فيهم فتيات الاستعراض من المجر.

عند وصولهما كانت الفرقة الموسيقية تتوقف عن العزف وتعزف إحدى أنغام فاروق المفضلة "كل ما حظيت به منك كانت ركلة".

وفيما بعد تذكرت إيرين هذه الحفلات وغيرها فتقول:

"لقد كنت أرتدى وشاحاً حتى لا يعرفنى أحد، ولكن حتى المتسولين الصغار فى الشوارع يعرفوننى ويحيوننى بصوت مرتفع "تعيش إيرين"!

أخذنى فاروق إلى الحفلات العظيمة التى كانت تقيمها الأميرة شويكار، زوجة أبيه الأولى، وكان فاروق يحب "شويكار" لأنها كانت تتذكر عيد ميلاده دائماً.

كانت تعيش فى حديقة كبيرة وبها خيام ملونة. تقدم المأكولات الفرنسية والإيطالية والروسية، وتقدم الشمبانيا الوردية بالجالون.

وهناك ثلاث فرق موسيقية وأربعمائة مدعو، هؤلاء المدعوون بأكملهم كانوا يقفون على المقاعد لينظروا إلى عندما نصل، ويقولون: بعد انتهاء الحرب ستكون هذه المرأة الملكة الثانية لمصر!!

وبدأت "إيرين" فى تقديم الملك إلى دائرتها - الدائرة الإنجليزية - وفى أول الأمر كان فاروق يرفض الذهاب، لكن سرعان ما تراجع عن رفضه!! وتحكى إيرين: ذات مرة - عندما كنت أرتدى ملابسى للذهاب إلى حفل، ركع الملك على ركبتيه وأمسك بساقى وقال لي:

- أنت جميلة جداً، أرجوك لا تذهبي!

قالت: لو لم تكن بهذا الغباء لذهبت معي!

ولم يأت الملك معي، ولكنه حلق ذقنه فى اليوم التالي!!



كانت "إيرين" محبوبة من الجميع عدا والدتها التى طردتها من المنزل لتعيش بمفردها وحيدة وضائعة!!

وكان ذلك أفضل كثيراً بالنسبة لإيرين التى لم تكن على علاقة طيبة مع والدتها، ولم تستطع أن تسامحها أبداً لإكراهها على الزواج من "نجار" وقالت إيرين فيما بعد: لو كنت قد تزوجت ملك إنجلترا نفسه لكانت والدتى قد وجدت أى خطأ فى ذلك!!

ولم أرافق فاروق فقط لأننى كنت أريد أن أصبح ملكة مصر، لقد أردت فقط أن أتححر من والدتى.

كانت والدته إيرين، تجعل ملك مصر ينتظر فى الشارع كلما جاء فى إحدى سياراته الرولز "أو" البوجاني "ليأخذ إيرين. لم تكن تدعوه للصعود إلى الشقة أبداً وقالت إيرين:

"إن والدتي كانت تقول لي: إنه عندما يستولى الألمان على مصر ستكون 'إيرين' أول من يعدم شنقاً فى ميدان محمد على!!

كنت أرتب رحلات الصيد فى الإجازة الأسبوعية إلى أنشاص والفيوم، كنت أدعو كل أصدقائى الإنجليز، كان الناس يرتعدون عندما يدعو نفسه إلى منازلهم، لم يرسل لأحد وروداً. لم يدخل أى منزل ومعه هدية مناسبة.

وعندما كان يزور الأصدقاء كانوا يخبئون الأشياء الثمينة حتى لا يراه. لأنه إذا رأى شيئاً وأعجبه يرسل لهذا المنزل عربة نقل فى اليوم التالى ليجمعه.

عندما يريد فاروق شيئاً - هكذا نقول إيرين - يظل وراءه حتى يحصل عليه تماماً مثلما فعل بالنسبة لى.

وتعترف "إيرين" بأنها" لم تقابل أبداً الملكة فريدة، فهى أى الملكة لم تكن تذهب إلى هذه الحفلات، ولكنها كانت تظهر فى المناسبات الرسمية، ولم تصطدم إيرين بفريدة أو بناتها فى القصر على الإطلاق.

كان قصر عابدين يحتوى على خمسمائة غرفة، وكانت السيدات فى الحرملك، أما أنا - إيرين - فقد كنت مع فاروق فى السلاملك.

كنا نلعب ألعاب على بابا، ونمشى من خلال هذه الأبواب المزخرفة فى منتصف الليل ونحن عرايا، نفتح أبواباً سرية تقود إلى غرف تحتوى على جواهر خرافية. ولكنه لم يكن يعرف عنها شيئاً. كان يفتح درجاً به جواهر بملايين الجنيهات، ودرجاً آخر به زمرد، وآخر به ياقوت، ولكنه يقفلها مباشرة لأنه يخاف أن آخذ أى شيء منها!!

تضيف إيرين: ثم ننزل إلى الجراج الملكى ويضغط على أزرار فتفتح الأبواب ويربنى جميع السيارات، كانت كلها بلون واحد هو "الأحمر" ولم يسمح لأحد فى مصر كلها غير الملك أن يمتلك سيارة حمراء. كان هناك قانون يحرم ذلك.

وكنا نذهب إلى الأهرامات فى منتصف الليل لتنظر إلى الأهرامات وأبى الهول، وعلى الرغم من ذلك لم تكن له أية اهتمامات بالتاريخ أو الآثار!!

لم يستمع قط للموسيقى، كانت فكرته الوحيدة عن الثقافة والسينما، ولم يكن يلعب بأوراق اللعب حتى ارتكبت خطأ واشتريت له ورقاً للعب، وعلمته كيف يلعب فتعلق بذلك.

فقد كان فاروق مصاباً بمرض الأرق، وكان لديه ثلاثة تليفونات بجانب المخدع ليطلب أصدقاءه الساعة الثالثة صباحاً، ويدعوهم للحضور للعب الورق معه، ولم يكن أحد يستطيع أن يرفض طلب الملك!

كان مغروراً لأن جميع الأشخاص المهمين كانوا ينحنون له ويقولون: "جلالتك"! ولكن إلا أنا - أي إيرين - لم أقل له جلالتك مرة واحدة في حياتي!!



كان يسوق بمهارة شديدة .. يسوق ويصطاد ويركب اليخت. تلك هي هواياته المفضلة.

ولعبته المفضلة أن ينزل إلى حمام السباحة وهو عار تماماً، كان دائماً يلبس خاتمه الزمرد الكبير، وكنا ذات مرة نُحمي كل منا الآخر بالصابون في حمام السباحة وأمسكت الخاتم وقلت له:

- هذا ملكي الآن!!

ولكنه خرج مسرعاً من الحمام لأنه فكر أنني سأخذ الخاتم منه!!

ذات مرة قال لي فاروق يجب أن يزداد وزنك، ولكني قلت له إن هذا مستحيل لأنني أجري وأعوم وألعب جيمانايزيوم. كان وزني حينئذ خمسة وأربعين كيلو جراماً، وكان محيط وسطى هو نفس محيط رأسي، بالنسبة للشرقيين يعتبرون المرأة النحيفة فقيرة.

شغلني هذا الطلب لا بد أن فاروق لديه أفكاراً أخرى، ولذلك يريدني أن أزيد وزني لكنه لم يكن يفكر في ذلك كان فقط يستفزني!

استمرت "إيرين" عشيقة فاروق الرسمية لمدة عامين!!

فى أغلب الأحيان ينأمان عارفين معاً، يلعبان ألعاب الماء فى حمام سباحة القصر
وشرثران لم يكن فاروق معقداً من شىء... كانت عقده الوحدة ثقته الزائدة فى
نفسه.

كان ينأ عارياً دائماً ولم "يشخر" أبداً.

لم نكن نتكلم فى السياسة، كنا فقط نشرثر عن الناس بكلام لا قيمة له، كان
يجعلنى أقول له فكاهات مضحكة أو نكتاً جنسية!!

كان فاروق يتحدث ويتكلم معى حتى الساعة الخامسة صباحاً فى لا شىء، مجرد
ثرثرة. ما الذى ستفعلينه غداً؟! من الذى يعد الحفلة؟! من الذى خسر فى لعب
القمار؟! ومن كان هناك؟! وماذا كانوا يرتدون؟! ...و...و.

لم يكن غيباً، ولكنه كان غير متعلم. وكان سعيداً جداً بهذا، كان هو الملك،
وكانت صحته قوية، وكان مرحاً. كل شىء كان يضحكه. كان يظن أنه ذكى جداً
وخفيف الظل عندما يغيب الأشخاص ويثبت بذلك قوته ولا يستطيع أحد أن يقاومه.
كان شديد الثقة بنفسه!!

لقد كانت فكرته عن الملك - كما تقول إيرين - أنه ليس مديناً لأحد بشىء، وعندما
كانت إطارات السيارات توزع بنظام الحصص لندرتها طلبت (إيرين) منه أن يأتى
بإطارين لسيارة والدها.

ضغط فاروق على زرار التحكم الأتوماتيكى الذى يفتح جميع أبواب جراجات
القصر وأخذ يعرض سياراته التى لا تحصى وضحك ولم يعطنى شيئاً!!

ذات مرة كان أخى - ما زال الكلام على لسان إيرين - مصاباً بالتهاب رئوى ولم
يكن البنسلين متوافراً ولكى أجعله يوفر لى هذا الدواء هددته بأنى سأقول للعالم
أجمع أن ملك مصر كان يستطيع أن ينقذ حياة شخص ولكنه لم يفعل!!

وكان عنده ثلاثمائة شخص فى خدمته فى قصر عابدين، وكان يكافىء من يعطيه
أفضل خبر لهذا اليوم ويقول له: "حسناً يا ولد!! أنت صديق الملك! وفى المرة القادمة
انقل لى خبراً أهم من ذلك."

ولم يكن الملك "فاروق" على هذه الدرجة من السذاجة كما تصورت "إيرين"!!

وبعد مرور سنوات طويلة أثبتت وثائق الخارجية الألمانية أن الملك فاروق يعتبر بحق أهم من ساعد الألمان على الإطلاق في كشف أسرار الحلفاء العسكرية في منطقة الشرق الأوسط، فقد أرسل "فاروق" مع مبعوثهم الخاص "أمين زكى" بمعلومات دقيقة وخطيرة عن الترتيبات الحربية للحلفاء في مصر والمنطقة المحيطة، هذا الكم الهائل من المعلومات الذى فاق كل ما جمعته أجهزة المخابرات والجاسوسية الألمانية حول الحلفاء فى مصر.

وكان الألمان على ثقة تامة أن "فاروق" سوف يتعاون مع "روميل" عندما تدخل قوات المحور مصر، وأنه سوف يقبل من يرشحهم روميل - على ماهر وعباس حلیم - لرئاسة الوزارة.

ولم يستفد الألمان شيئاً من كنز الأسرار والمعلومات الخطيرة التى وصلتهم من فاروق، وتدهورت الأمور بسرعة على أرض المعركة.. وعندما التقى الملك فاروق بـ «أمين زكى» أعرب له عن خيبة أمله الشديدة لعدم استفادة الألمان من المعلومات التى بعث بها إليهم!

وظل الملك مخلصاً فى تعاونه مع الألمان حتى منتصف ١٩٤٣، ولم يتهمز هزيمتهم فى العامين (أكتوبر ١٩٤٣) لكى يتراجع عن ولائه لهم، بل أنه فى آخر رسائله بعث بتحياته إلى القيادة الألمانية، وشكر من أعماق قلبه هذه القيادة لحرصها على تأمين سلامته، وعبر عن تقديره للأسلوب المتميز الذى عالجت به كافة جوانب علاقته معهم!.



كان أخطر وأهم سؤال لا بد من إجابة عليه هو:

ما الذى أعجب "إيرين" فى رجل ليس له اهتمامات جنسية أو ثقافية؟!

تولت إيرين الإجابة بنفسها عن هذا السؤال فتقول:

لم يعجبني فيه أى شىء، ولكنه كان يجب أن أبقى معه حتى أبعده عن الألمان!!
وعلى الرغم من مقاومة "إيرين" لهذه العلاقة لم يكن السفير البريطانى "مايلز لامبسون" مستعداً أن يترك هذه الأمور للحظ أو الغراميات، بل كان لابد من تحرك سريع وفعال!!

وهكذا جاء حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وفرض "مصطفى النحاس" رئيس للوزراء رغم أنف الملك!

كانت هذه الحادثة صدمة مذهلة بالنسبة للدولة كلها، وليس لفاروق فقط وأدت إلى زيادة كراهية المصريين للإنجليز، لكن "إيرين" لم تقاطعهم ولم تستطع ذلك!
فى ذلك الوقت كان ابن "وينستون تشرشل" واسمه "راندولف" وهو ضابط شاب يزور القاهرة ومعه نخبة من القوات العسكرية البريطانية، وكان «فاروق» متجاهلاً تماماً لابن "تشرشل" الذى كان قد تعرف على "إيرين" وفى عيد ميلادها الـ ٢١ أهداها علبة سجائر ذهبية فاخرة.

وعرف فاروق بأمر هذه الهدية وطلب أن يراها، وقالت إيرين بوقاحة وجراءة:

- ليس أنت أيها المريض بداء السرقة، فلو رأيته فلن أراها مرة أخرى!!

ورد الملك عليها قائلاً: بشرف الملوك لن آخذها!!

وتعلق "إيرين" على هذه الواقعة بقولها: وثقت فيه، وبالطبع لم أرها مرة أخرى، إلا بعد سنوات طويلة فى باريس عندما أقام الضباط الأحرار عام ١٩٥٤ معرضاً لمقتنيات قصر عابدين فى مزاد علني!

وفى نهاية عام ١٩٤٣ انتهى تهديد الجيش الألمانى فى شمال أفريقيا، وهنا أصبحت مهمة "إيرين" الغرامية غير ضرورية، ولكن "إيرين" استمرت على هذا الوضع كاستمرارية لوضعها الأول وليس للضرورة.

ويروى "ويليام ستاديم" قصة النهاية فى هذه العلاقة المثيرة بقوله:

"جاءت النهاية فى رحلة الصيد فى الفيوم التى رتبها "إيرين" ودعت لها "همفرى باتلر" والتى وصفته بأنه "الابن المخادع لملك إنجلترا".

جاء "همفرى باتلر" فى الموعد إلى منزل الصيد الخاص بفاروق فى واحة تقع على أطراف الصحراء جنوب القاهرة، ولم يكن وحده بل كان بصحبته سكرتيرة إنجليزية جميلة هي "بربارا سكلتون".

كانت "إيرين" تظن أن هذه السكرتيرة هي صديقة "باتلر"، ولكن فى المساء ولدهشتها رأت باتلر يشرب الخمر بمفرده، ولعب الفأر فى "عبيها".

ذهبت "إيرين" فوراً إلى غرفة نوم فاروق فى الطابق الثانى، وكانت الغرفة مغلقة فأخذت تطرق الباب بعنف وشدة، وقام الملك فاروق بفتح باب غرفة النوم، ورأت "إيرين" الفتاة الإنجليزية مستلقية على فراش الملك فاروق!

ابتلعت إيرين الصدمة والدهشة وقالت لها:

- أتمنى أن تكونى مستريحة فى فراشي!!

وعادت إيرين بسرعة إلى البار حيث كان يجلس "باتلر" وظلت تشرب البراندى معه حتى الثمالة!!

والأكثر من هذا ومن أجل إغاضة الملك فاروق، قررت إيرين "أن تنام فى نفس الغرفة التى ينام فيها" باتلر" مع جنرال بريطانى آخر!!

وفى ساعة متأخرة من نفس هذه الليلة جاء فاروق يبحث عنها، واعترض "باتلر" طريقه وأفهمه أن إيرين "كانت مريضة وأنه أعطاها الدواء المناسب تماماً!!

ومن شدة ذهول الملك لم يستطع الرد!!

وفى تلك الليلة لم تنم "إيرين" على الإطلاق ووصلت إلى اقتناع قوى لا يتزعزع مؤداه أن هذه الفتاة الإنجليزية الرومانسية قد دبر أمرها "كريم ثابت" المستشار

الصحفى لفاروق، الذى أراد أن يستخدم الجمال الإنجليزى لينهى ارتباط "إيرين"
بفاروق!!

كانت إيرين تكره تماماً كريم ثابت وتطلق عليه: المتعلق الخائن، الموالى للألمان،
الوحش!!



فى صباح اليوم التالى تظاهرت "إيرين" بالامثال والخضوع للأمر الواقع الجديد
لكنها كانت تدبر أمراً آخر!!

طلبت "إيرين" من الخدم أن يقدموا إفطاراً فخماً لثلاثة أشخاص : فاروق وإيرين
وهذه السيدة الإنجليزية!

وفى نفس اللحظة التى كان طعام الإفطار يصل فيها إلى غرفة الملك، كانت إيرين
قد أصدرت أوامرها إلى الخدم بجمع حقائب السيدة الإنجليزية وإرسالها إلى السيارة
الملكية!

وبينما كان الجميع يتناولون الإفطار نظرت "إيرين" إلى الإنجليزية الحسنة قائلة:
- لسوء الحظ إنك لن تستطيعي أن تكملی الإفطار، لقد طلبت فوراً الرجوع إلى
القاهرة!!

كان الموقف برمته مشيراً وغريباً!!

غضب فاروق وقال لإيرين: ما هذا الذى فعلته، إنها امرأة رائعة، لا تقاوم!!
وحتى نهاية هذا اليوم رفضت إيرين أن تتحدث مع "فاروق"، لقد كانت هذه هى
القشة التى قصمت ظهر البعير!!

وفى ساعة مبكرة غادرت "إيرين" الفيوم عائدة إلى القاهرة، وذهبت من فورها إلى
منزل "هيلين موصيري"!! التى كانت السبب المباشر فى معرفتها بالملك قبل عامين!
وعندما اكتشف "فاروق" خروج "إيرين" صرخ بجنون:

سأجعلك ملكة مصر.. ستكونين أمّاً لابني!!

وبسرعة وعن طريق الجواسيس استطاع "فاروق" أن يعثر على "إيرين"، كانت كما توقع تماماً، قد ذهبت إلى جناح "همفري باتلر" في فندق شبرد!!

وفي ثوان كان الملك هناك وهو يرتدى الثورت الحربى الكاكي، وكان يبكى مثل طفل ضاعت منه لعبته!!

واندفع "فاروق" إلى غرفة الطعام الرئيسية، واعترض "باتلر" طريقه محاولاً أن يجعل "فاروق" يحتفظ بوقاره وقال له:

- يبدو أنك أصبت بالبرد!!

وفي السبعين من عمرها، وكان قد مضى نصف قرن على ذلك، قالت "إيرين" نجار:

على الرغم من أنني في البداية لم أكن أهتم بفاروق إلا أنني أحببته، كان حبيباً مثل الطفل الشقي. لا يمكن لأحد أن يقاومه، ولذلك أحببته، ولكن لم يكن ذلك حباً رومانسياً ولكن في النهاية فقدت صبري.



كان هناك شيء ما يجرى في الخفاء ولا تدري عنه "إيرين" أى شيء!!

كان هذا الشيء هو "بربارا سكلتون" السكرتيرة الإنجليزية الجميلة التي ظنت "إيرين" أنها كانت صديقة أو عشيقة الجنرال البريطانى "باتلر"!!

لقد اعترفت "بربارا سكلتون" أنها أخذت مكان "إيرين" في غرفة نوم فاروق، بل واعترفت أيضاً دون خجل وفي جرأة أنها أصبحت خليلته في عام ١٩٤٣ ولعدة أشهر!!

في عام ١٩٣٦ رأت بربارا "فاروق" لأول مرة على ظهر سفينة، وكان عمره وقتها ١٦ سنة، وكان قادماً من لندن إلى الإسكندرية بعد وفاة والده الملك فؤاد مباشرة!

وبعد ست سنوات - وفى عام ١٩٤٢ - عادت بربارا إلى مصر - أثناء الحرب -
كموظفة شفرة فى مكتب الخارجية، وكان ضامنها هو الدبلوماسى " رونالد ماكلين".
فى أوبرج الهرم تقابلت "بربارا" مع فاروق، وفى اليوم التالى دعيت للجلوس إلى
مائدة الملك.

ثم جاء نفس الموظف الذى دعاها للجلوس إلى مائدة الملك وهو يحمل بطاقة
مكتوبة بزيارة إلى الفيوم فى نهاية الأسبوع فى رحلة صيد، وتحكى "بربارا" كيف أن
فاروق قد أحضر بوقاً ليجمع ضيوفه فى بدء رحلة الصيد فى الصباح.

وتذكر إيرين قصة غريبة وقعت لها مع الملك فى الفيوم فتقول:

إن ما لفت نظره لها فى البداية كان قرطاً رخيصاً على شكل سمكة اشتريته من
سوق الموسكى وأخذه فاروق منها وأخبرها أنه سيقدم لها مفاجأة، وبعد أسبوع
وجدت صندوق جواهر تحت وسادتها ووجدت فيه القرط السمكة، وقد صنع مثله
ذهبا وعيونا من الزمرد.

وهكذا أصبحت تراه مرة كل أسبوع ولعدة أشهر. وفى بعض الأحيان كانت
تسبح وفاروق جالس فى الماء، ولكن فى أغلب الأحيان كان يلعب ألعاباً جنسية تحت
الماء فى الحمام الملكى، فيما عدا ذلك كان اهتمامه بالجنس ضئيلاً، كنا نتعاقق
وتتماسك أيدينا عند مشاهدة الأفلام الجنسية ، ولكن لم نصل إلى درجة الإثارة. لقد
كان مثلى تماماً.

وبعد فترة أسكنها فاروق فى فيلا تطل على نادى الجزيرة فى المنطقة التى كان
يسكنها الإنجليز فى القاهرة وهى منطقة الزمالك ، كما أمدها بخط تليفونى مباشر مع
قصر عابدين.

كانت "بربارا" تهتم بمظهرها لحضورها حفلات الرقص الفاخرة والأوبرا
ومسابقات الخيل.

فى ذلك الوقت كانت كل هذه الأشياء غائبة عن بال "إيرين نجار"!!
لم تكن "إيرين" تعرف على وجه اليقين ماذا ينوى الملك أن يفعله مع "بربارا"؟!



وقررت "إيرين" أن تترك القاهرة وتعود إلى الإسكندرية لتعيش هناك مع
أصدقائها اليهود!

وهناك قابلت ضابطاً إنجليزياً عمره ثلاثة وعشرون عاماً فى حفل أقامه أدميرال
بريطاني. كان اسم هذا الضابط "برسيفيل فال بيلي"!

ولم يكن "فاروق" بعيداً عن "إيرين"، كان لا يزال يتتبع أخبارها، دون أن يظهر،
ولكنها كانت تشعر بوجوده!!

ذات مرة كانت "إيرين" ترقص مع هذا الضابط الإنجليزي، وبعد انتهاء الرقصة
عادت إلى المائدة مع الضابط لتجد إحدى خوذ فاروق وعصاه على كرسى "فال".

لقد اعتبرت "إيرين" أن غرامها مع هذا الضابط الشاب هروباً لها من مصر وسوء
سمعتها الذى يلاحقها كخليفة للملك. كما أن هذا الزواج سيمكنها من الحصول
على جواز سفر بريطاني وتأشيرة دخول إنجلترا، لأنها إذا استمرت كمواطنة مصرية
فلن يعطيها فاروق هذا الحق إطلاقاً.

وبعد حوالى شهر ونصف من بداية علاقة "إيرين" "بفال" تزوجا فى كنيسة
إنجليزية بالإسكندرية!

وبدأت إيرين تعد خطة السفر إلى إنجلترا، حيث ستقيم فى المنزل الخاص بعممة
زوجها "فال" دوقة هولندا..

وقبل سفرها فوجئت "إيرين" بزيارة "بوللي" الذى تقول عنه إيرين كان فاروق
يحب رجلاً واحداً وهو "بوللي" وكان يحب امرأة واحدة، وللأسف هذه المرأة
كانت أنا.

قال 'بوللي':

مدام "إيرين" إنه يموت، لقد ظل في الفراش ستة أيام كاملة، لا يأكل، لا يذهب إلى البرلمان. لا يقابل الوزراء، أرجوك يجب أن تأتي لرؤيته ، ولو لمرة واحدة!!

وذهبت "إيرين" إلى قصر عابدين، وكان فاروق راقداً في فراشه الكبير الذي طالما ناما فيه عارين طوال عامين، وقالت إيرين للملك:

- إنني الآن متزوجة، وسأسافر إلى إنجلترا للأبد!!

ونفض الملك وقد انتابته ثورة غضب وقال لها:

- "إذا سافرت لن تضعي قدمك على الأرض المصرية، لن نسمح لك بتأشيرة دخول سوف تكوني في القائمة السوداء، وبالنسبة لي سوف أعلن الحرب على اليهود، سوف أفقد شعوري وأفقد نظري، سوف أذهب فقط إلى العاهرات وسأقضي بقية عمري في القمار."!

وبرود شديد ردت إيرين على كلمات الملك بقولها:

- يا عزيزي لن يستطيع أن يمنعك أحد من الانتحار!

ومع ذلك تعترف إيرين - حسب كتاب ويليام ستاديم - بأنها تركته ولم تكن تصدق كلمة واحدة مما قال، ولكن لأول مرة في حياته كان فاروق يقول الصدق، والصدق الحقيقي.

وإذا كان خروج "إيرين" من حياة فاروق قد تم رغم أنه!!

فقد خرجت "بربارا" بحسب رغبة الإنجليز أنفسهم، فقد أحسوا بمرور الوقت أن موظفة الشفرة قد اقتربت جداً من فاروق، وكان ذلك في غير صالحهم.

وتحلل "بربارا" الموقف برمته فتقول:

"كنت أعمل في مكان حساس، وكانوا مقتنعين أن فاروق يقربني منه ليحصل مني على معلومات، ولم يدركوا أبداً أن "فاروق لم يكن يهتم بأي شيء من هذا القبيل.

والاتصالات الوحيدة التى كانت تهمة هى طلباته بالتلصص لشراء أربطة العنق
الحريرية من "هوزوكوريتس"، ولم يكن يهتم بأى شىء سياسى على الإطلاق، ولذلك
استغنت السفارة عنى فى النهاية لعدم اقتناعهم بمبرراتي.



لم تنته قصة "الملك فاروق" و"اليهودية" إيرين" عند هذا الحد!!
كان واضحاً أن هناك عشرات التفاصيل والحكايات التى لم يكن يعلم بها أحد
سوى "فاروق" و"إيرين" فقط!!
لم يكن معروفاً مثلاً أن اليهودية "إيرين نجار" تخلت عن ديانتها اليهودية وأشهرت
إسلامها!!

ولم يكن معروفاً أيضاً أنها تخلت عن اسم "إيرين" وأصبح اسمها "فتحية"!!
كان الملك "فاروق" مثل والده الملك "فؤاد" عاشقاً لحرف "الفاء"!!
وكتبت مجلة المصور عن شقيقات الملك فاروق تقول:
"كان جلالة الملك الوالد - رحمه الله - يتفائل دائماً بحرف الفاء الذى يتبدى به
اسم جلالاته، واسم صاحبة السمو الأميرة والدته "فريال هانم" ولذلك اختار لذريته
جميعاً أسماء مبتدئة بهذا الحرف السعيد.
وقد أعقب جلالاته - أى الملك فؤاد - لجلالة الملك فاروق خمس أخوات هن
صاحبات السمو الملكي:

الأميرة فوقية، الأميرة فوزية، الأميرة فائزة، الأميرة فائقة، الأميرة فتحية.
وهكذا ورث فاروق عن والده تفاؤله وعشقه لحرف الفاء، وعندما تزوج
من "صافى ناز ذو الفقار" أصبح اسمها "فريدة"!!
وأطلق الملك فاروق على بناته أسماء «فريال وفوزية وفادية».
وعندما أحب الملك النبيلة "فاطمة طوسون" وقرر أن يتزوجها قال ضمن ما
قاله لها:

إنه سرور أن اسمها فاطمة!

وسأله لماذا؟!

فقال الملك - حسب رواية مصطفى أمين - لأتني أتفاءل بحرف الفاء، ولو كنت تزوجتك لما اضطررت أن أغير اسمك كما فعلت مع "صافيناز" وغيّرت اسمها إلى فريدة!!

وبنفس الطريقة أيضا تغير اسم "إيرين" إلى "فتحية"!!

لقد اعتمد "وليام ستاديم" في كتابه "على ما ذكرته له "إيرين" عندما ما قابلها عام ١٩٨٨ أي بعد حوالي ٤٥ سنة كاملة على انتهاء علاقتها بفاروق، وكان كل شيء قد تغير تماما، وفي المقدمة "إيرين" نفسها!!

كانت "إيرين" في حوالي السبعين من عمرها تزوجت خمس مرات، من مصري وثلاثة من الإنجليز وبرازيلي:

لقد روت "إيرين" الكثير، لكنها أيضا أغفلت الكثير والكثير جدا!!

ولعل أخطر وأبرز وأهم ما أغفلته "إيرين نجار" عندما روت حكايتها مع الملك فاروق هو قصة رسائلها وخطاباتها المتلهبة بالحب والغرام إلى الملك!!



وبعد سنوات كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد قامت وطردت الملك فاروق وبدأت تظهر أسرار جديدة في حكاية الملك وإيرين!!

كان عنوان التحقيق الصحفي الذي كتبه الأستاذ "حلمي سلام" [رئيس تحرير مجلة التحرير] تحت عنوان: عشيقات فاروق من رسائلهن، وكان موضوع التحقيق "فاروق أحمد فؤاد كان اسمه بوتشي"!!

وبعد مقدمة طويلة روى "حلمي سلام" حكاية "إيرين" و"فاروق" على صفحات عدد المجلة الصادر في [٢٤ نوفمبر ١٩٥٣] ما يلي وبالحرف الواحد:

"فى صباح يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٣، دخلت إلى قاعة الجلسة بمحكمة عابدين الشرعية سيدة فاتنة، رشيقة أنيقة، فتطلعت إليها العيون، وتعلقت بها الأبصار حتى وقفت أمام فضيلة القاضي، وقد دهش المتقاضون حين سمعوا اسم السيدة، أنه يدل على أنها "مسلمة" وليس فى شكلها ولا فى مظهرها ما يدل على الإسلام!

وبدأ القاضى يناقشها فيما أبدته من رغبة الدخول فى دين الإسلام، وبعد الأسئلة التقليدية شهر إسلام الغادة الفاتنة وتحول اسمها من "أ.أ. ن" إلى "فتحية. ن" وهو اسم إسلامى له نظير بين شقيقات فاروق اللواتى كن يتسمين بأسماء لابد أن تبدأ بحرف الفاء.

وهكذا دخلت "الغادة الفاتنة" قاعة المحكمة اليهودية. وخرجت منها مسلمة وشهر إسلامها بإعلام أخذ رقم ١١٢ لسنة ٤٣ - ٤٤.

ولم يكن هناك من يعرف سر اعتناق اليهودية الحسنة للإسلام غير أفراد قلائل، فى مقدمتهم "بوللى" مدير الشؤون الخاصة لأنه إيطالى، واليهودية الحسنة كانت إيطالية، ولكنها قضت معظم حياتها فى مصر!

وكان "بوللى" وفياً لمواطنته الحسنة، وكان أيضاً يعرف تاريخ حياتها.. فرأى أن يأخذ بيدها إلى المجد الذى كانت تطمح فيه.

كانت "أ.ن" متزوجة فى عام ١٩٣٥ من شاب إيطالى أنجبت منه طفلة واحدة، وفى يناير ١٩٤٠ التحق زوجها كضابط بالجيش البريطانى، على الرغم من أن إيطاليا كانت فى حرب مع إنجلترا.. وفى غيبة الزوج بدأ "بوللى" يقودها إلى طريق المجد المفروش بالأووال.

كان منتهى أملها أن تصبح كوكباً من كواكب الكباريهات.. وكانت تصبو إلى أن تنقلها الكباريهات إلى مصاف ممثلات السينما المشهورات، ولكن "بوللى" كان واسع الخطى إلى أهدافه "فأمسك بيد "أ.ن: وخطا بها خطوة واحدة صارت بعدها بين يدي "فاروق"!!

وشوهدت الإيطالية الحسناء مع الملك السابق مراراً فالتجّعت إليها الأنظار وتملقها بعض الكبار، والتف حولها الأصدقاء، ولكنها لم تتخذ غير نوع معين من الأصدقاء، الضباط الكبار من قادة جيوش الحلفاء. حتى أطلق عليها البعض لقب 'صديقة القيادة' قيادة الحلفاء!

وانهالت على اليهودية الحسناء ألوان من الهدايا الفاخرة كانت تتقبلها من هؤلاء الضباط الكبار شاكرة.. وكان أصدقاءها الضباط الذين يعرفون علاقتها بفاروق يظنون أنه يغدق عليها المجوهرات والأموال والعمارات والسيارات، ولكن الواقع أن "أ.ن" كانت تستدين لتظهر بالمظهر اللائق بصديقة الملك، أو بمظهر السيدة التي كانت ترشح نفسها لتكون السيدة الأولى، ومن أجل هذا أسلمت. (!!)

وكانت "أ.ن" كمعظم الإسرائيليات مقامرة من الطراز الأول، فكانت تبيع دائماً.. تارة لحسن حظها، وتارة لصلتها المعروفة بفاروق!



ثم يروي "حلمى سلام" خطة الملك فاروق لامتلاكها - أى إيرين نجار - حتى لا يكون لزوجها الغائب سلطان عليها إذا ما عاد فى إجازة مفاجئة.

وهنا تجلت عبقرية مدير الشؤون الخصوصية "بوللي" إذ أخذ على عاتقه ترتيب هذا الشأن الخاص فأوعز إلى "م.ن" بشهر إسلامها ليصيب هدفين:

الأول: أن يسقط سلطان الزوج (!!)

والثانى أن يكسب "أ.ن" الجنسية المصرية وهى خطوة نحو الأمل الذى كان يراود جفنيها فى أن تصبح السيدة الأولى، وهو أمل فانتحت به "فاروق" فى إحدى رسائلها!!

كان هذا يدور فى قصر الملك السابق فى حين كان كل ركن فى مصر يئن من ظلام الحرب!!

كانت مصر واقعة تحت رحمة القنابل، فى حين كان فاروق واقعاً تحت قدمى "أ.ن".

وكانت "أ.ن" ساذجة يوم ظنت أنها احتلت مكانا فى قلب "فاروق"، فإن قلب "فاروق" كان كالمرآة لا ينطبع عليه غير آخر وجه يصادفه، فبدأ يستبد بها، وبدأ يذلها!!

وبلغت به شهوة الاستبداد والتحكم أن أمرها بأن تنقص وزنها مع أنها كانت تتمتع بأرشق قوام، وأطاعت المسكينة، ومع هذا فقد أعرض عنها وتحول إلى غيرها!! وبدأت ترسل إليه الرسائل، تحمل توسلاتها ودموعها، وتذكره بأنها لم ترض عليه بشيء، ولم تعص أمره فى شيء، ولكن توسلاتها لم تستطع أن تشق أكداً من اللحم والشحن المتراكمة فوق قلبه، فلم يستمع لها، ولم يرق لدموعها وكانت الطريقة التى هجرها بها طريقة قدرة حقيرة كما قالت هى فى إحدى رسائلها له.

ظلت "أ.ن" معذبة لا تعرف لنفسها قراراً ولا مصيراً، ورأت نفسها بعد أن كانت على أبواب وظيفة السيدة الأولى، قد أصبحت لا تجد ظلاً خفيفاً من رحمة الحبيب الغادر، وأرغمتها الحاجة على أن تقبل الزواج من رجل إنجليزي.. أخذها من مصر التى كانت تحلم بأن تصبح بها "كيلوباترا" الثانية إلى إنجلترا.. حيث تعيش تلذعها برودة الجو وبرودة قلبها الذى مات.



إن قراءة الرسائل التى بعثت بها إيرين نجار إلى فاروق تكشف عن عدة ملاحظات هامة ومثيرة فى نفس الوقت!

وقبل الكشف عن هذه الملاحظات من المهم متابعة ما جاء فى الرسائل والتى وصفها الكاتب الصحفى "حلمى سلام" بقوله "هذه الرسائل الرائعة التى تعتبر من أجمل ما كتبت العاشقات، عاشقات التاريخ.

كانت الرسالة الأولى التى كتبها إيرين بعد ٢٤ ساعة بالضبط من حادث القصاصين الذى تعرض له الملك فاروق!

فى هذه الرسالة يبدو "قلق وانزعاج" إيرين على حياة الملك صادقاً وحقيقياً،

صحيح أنها تنهى الرسالة بتوقيعها "إيرين" لكنها حريصة على أن تذكر الملك باسمها الذي سبق وأن اختاره لها ويبدأ بحرف الفاء "فتحية" وتقول له:

١٩٤٣/١٠/١٦

حبيبي الوحيد

ماذا حدث يا غرامي؟ إنى أكاد أجن. وحرام ألا أعرف أخبارك أولاً بأول. لقد قرأت كل الصحف. ولكنها جميعاً لم تشبع لهفتي على أنباءك، هل تتألم يا حبيبي؟ كم كنت أتمنى أن أسهر على راحتك، وأقوم بتمريرضك. لقد اتصلت بي "هيلين" مرتين صباح اليوم فتعمدت ألا أبدي حقيقة شعوري، وقد أخبرتنى بكل ما عرفته وبذلت كل جهدها لتطمئنني

بوتشي..

عندما علمت بالخبر سقطت على مقعد كان لحسن الحظ بجواري، ولو لم أكن في محل عام لأغمى على. على الرغم أنني كنت أتوقع كارثة تحل بي، فقد كنت أشعر بضيق يجتاح صدري طوال الأمس، وكان نومي مضطرباً.. وفي الصباح استيقظت وأنا أشعر بأن هذا الضيق قد شملني.. فلم أكلّم أحداً، وعندما ذهبت إلى "سقراط" الحلاق رأيت هناك باقة زهور كبيرة، فسألت عن سيحتفل بعيد ميلاده اليوم فقيل لي إنها لك، وهنا أحسست أن قلبي قد توقف، وأن رجلي لم تعد تقويان على حملي، فتهاويت على المقعد، وشعرت بالدموع تملأ جفني. ولكني - لحسن الحظ - كنت ألبس منظارك يا حبيبي، فساعدني هذا على ستر أمري. وقد تركت المحل بعد دقائق قليلة وألقيت بنفسى في أول "تاكسي" وذهبت إلى المنزل، وكان أول ما فعلته أن أرسلت الخادم ليشتري لي كل الجرائد والمجلات الموجودة في البلد، فقرأتها جميعاً. هل حالتك مطمئنة حقيقة؟.

هل تتألم يا حبيبي؟ إنى لا أكاد أتصور أنك تتعذب، كم أتمنى أن أكون معك، ولكني هنا لا حول لي ولا قوة على الرغم من حبي الجارف.

إنى آخر الله ساجدة شاكرة إذ لطف بك، داعية إياه أن يعجل بشفائك. وتذكر يا حبيبى أن بين الرعية التى وجهت إليها رسالتك لتطمئنهم - امرأة اسمها فتحية - برح بها الحزن، وأدمى البكاء جفونها، وصدعت الصدمة قلبها، إلا أنها حاولت أن تطمئن كما طلبت فى رسالتك، ولكنها لم تنجح.. وكيف تنجح وسيدها وحبيبها مصاب؟.

إنك فى حاجة إلى حبيب يراعىك ولعل أمك تتمكن من مواساتك .

بوتشى... إن شعبك قلق عليك، وهو فى حزن شديد.. ولكن عزاءهم أنك بخير.. إنهم يحبونك، وقد برهنوا اليوم على ذلك.. وهذا ما أثر فى نفسى فأنهم الدمع من عيني.

ليحفظك الله ويباركك. وإنى لأقبل جروحك، فى قبلاتى بلسم. كم أتمنى أن أكون فداءك. وأتحمل آلامك، فهذا يسعفى. إنك لن تبعد عن مخيلتى، وأطلب من الله أن يتقبل صلاتى ودعائى لشفاك..

«حبيبتك»

«إيرين»



وفى اليوم التالى مباشرة تكتب «إيرين» للملك خطاباً آخر، تبثه حبها وغرامها وتنهدياتها، وتشكو له حالتها بعيداً عنه!.

ولأول مرة نعرف من رسالاتها أن لها ابنة من زوجها، وأنها قررت أن تتركها عند جدتها، وأنها لن تعود ثانية إلى زوجها!!.

وفى نهاية خطابها تؤكد لفاروق أنها «فى أشد الحاجة إلى قبلاته»!!.

ومضى خطاب «إيرين» لفاروق على هذا النحو المثير:

الأحد ١٧ أكتوبر ١٩٤٣

حبیبی بوتشی

لو لم أعرفك لما استحقت الحياة أن أعيشها.. إني متعبة، والمشاكل تحوطني من كل جانب، والسعادة تأتي أن تلازمني إلا لفترات متقطعة، لماذا كتب على الشقاء؟! وإلى متى سأستمر في هذا الكفاح المضيء؟!..

أواه يا حبیبی.. لو أنك كنت بجانبی لأسندت رأسی على كتفك، ونسيب كل شيء.. إني أستحق العطف.. وفي حاجة إلى شخص يكون رحيما بي!..

أرجو ألا أكون قد أزعجتك بأخباري، ولكن لا تقلق، فكفاني أنت - أما أنا فقد تعودت على ذلك منذ كنت في السابعة عشرة من عمري.. إلا أن مشكلتي الكبرى الآن هي : ماذا أفعل في مسألة مسكني.. فالشقة التي أشغلها حاليا سيأتي أصحابها أول الشهر من جنوب أفريقيا، والبحث عن شقة أخرى صار الآن من، أعقد المشاكل، وهذا معناه أنني سأضطر إلى العودة إلى منزل أهلي وهو مالا يمكنني عمله!!..

إنني لم أذق طعم الراحة طوال العام الماضي، إنني أتنقل من مكان إلى آخر دون أن أعرف لي مستقرا أعيش لأنني من الأحياء، أواه يا حبیبی لقد كانت حياتي فارغة لا طعم لها، ولكنتي عوضت عن كل ذلك بك وهذا خير عزاء!..

فعندما أفكر فيك تملأني السعادة. وهذا يغير كثيرا من حالتي التعبة، خصوصا عندما أستقبل بعض الأصدقاء الأعزاء.. وقد حضر بالأمس بعضهم، وتناولنا بعض الخمر ثم ذهبنا إلى الأوبرا للعشاء، ورقصنا وفي صباح السبت، بينما كنت أرتب الأزهار إذ برسولك يحضر لاستلام الخطاب، فسررت جدا.. والحقيقة أنني لم أكن أتوقع حضوره بهذه السرعة.. وبعد انصرافي تناولت غدائي مع بات «وبات هي كلبتي» ثم ذهبت لأنام وأحلم بحبیبی بوتشی، وفي السابعة مساء بدأ بعض الأصدقاء في الحضور، وبقوا حتى منتصف الليل بعد أن قطعوا أوتار «البيانو» ولو كنت أعرف ما للويسكي من تأثير، وما ينتج عنه من خسائر لما سمحت لهم بالإفراط في شربه!!..

وفى صباح اليوم حضرت ابنتى فأخذتها إلى سيدى بشر، ولكنى لم أستحم..
وكنت أحس بضيق طوال الوقت، وبعد الظهر حضر والدها، فأكثر من ثثرته
الفارغة.. وكاد أن يحطم رأسى بخزعلاته عن الطلاق، والعودة إليه مرة ثانية.. إلا
أننى أفهمته أننى لن أعود إليه.. أما بخصوص ابنتى، فأنا لا أقدر أن أهى لها حياة
مريحة، ولذا، فقد قررت أن أتركها عند جدتها، فهى غنية، وسوف تعطيها كل شئ.
أننى أشعر برغبة أكيدة فى شئ واحد وهو أن أكون وحدى لأحبك بطريقتى التى
أرضاهها، وهى أن أعطيك كل شئ.. أريد أن أكون لك، فتملاً على حياتى وهذه هى
السعادة.

أخشى أن أكون قد أطلت فى الكتابة، وأخشى ألا يكون لديك الوقت لقراءته .
حبیبى بوتشى:

كم أفقد حديثنا التليفونى ورنين ضحكك الرائعة.
إننى أعبدك.. وكم أتمنى أن أبرهن لك على ذلك، لأننى أشعر أنك لاتقدر حقيقة
عواطفى نحوك، فقد فعلت من أجلك ما لم أفعله لمخلوق فى الدنيا يا بوتشى.
فى استطاعتى أن أستمّر أكتب دون نهاية ولكن لا يصح أن أكون أنانية، ولا بد أن
أفكر فى وقتك، فإلى لقاء ربما يكون خطابى مضايقا ولكنى تعمدت أن تعرف كل
شئ.

ضمنى بين ذراعيك، يابوتشى فى أشد الحاجة إلى قبلاتك..

«إيرين»

وتتوالى رسائل «إيرين» إلى الملك فاروق، وهذه رسالة تفيض هياماً ولهفة تقول
فيها: حبیبى بوتشى: لقد تركتك وأنا فى غاية السعادة، فقد كان قلبى فرحاً بعد أن
تأكدت مما يكنه كلانا للآخر من حب عميق.. وبدلاً من أن تتابنى الهواجس، حتى
أستسلم لحلم جميل، أفكر فىك وحدك.. وهل هناك سعادة أكثر من هذا؟!.

بوتشى: إنى سعيدة، والفضل فى ذلك يرجع لك. فشكراً. عندما عدت اليوم إلى المنزل علمت أن هناك من اتصل تليفونيا، فهل كنت أنت هذا الشخص؟ على كل فإنى أحب أن أوهم نفسى أنك كنت هو حبيبى.. كم كانت الليلة التى قضيناها سويا رائعة، وسأظل أذكرها ولن أنساها أبدا، فقد كان كل شئ فيها جميلا، إنى أكتب إليك وصورتك فى مخيلتى، وذكرى الليلة مازالت تؤنسنى.

سوف أكون مشغولة طوال الغد، ولكننى لن أغفل التفكير فىك لحظة واحدة. ذلك لأنى كلما انسقت وراء تفكيرى أثبت أنى عملت ما طلبت منى، لن بل وعملته بكل سرور وإنى أرجو أن تفهم الشئ الذى يهمنى كثيرا فى المرة القادمة، وتأكد أنى أفعل كل ذلك لأنى أريده مثلك، ولأنك أنت الذى تطلبه.. فلو أنك طلبت منى أن ألقى بنفسى فى البحر لفعلت مسرورة.. وقد يبدو ذلك جنونا، ولكن.. ألا تعرف من هو مرافق الحب؟! الذى يزامله دائما؟ إذا كنت لم تعرف، فاسمع هذه الأقصوصة:

كان الحب والجنون يلعبان سويا فحدث بينهما حادث ما فاندفع الجنون فأصاب الحب بالعمى. ولما عرض أمرهما على «جوبيتر» رأى أن الحل الوحيد لإصلاح ما حدث هو أن يقود الجنون الحب أينما ذهب، بعد أن أصبح أعمى!!.

ولكن حينا ليس أعمى إلى هذا الحد، أرجو ألا تتغالى وتوافقنى على رأى...

لست أدري متى سأراك ثانية.. إلا أننى سأصبر هادئة لمدة أسبوع، ولكننى سألقى بنفسى فى أول طائرة تبحر الإسكندرية بعد ذلك لأحضر إليك، اللهم إلا إذا كنت ستمكن من الحضور بعد يومين.. وتأكد أنك لن تندم!! إذا حضرت، سأريك أين يكمن الحب جميعه.

أحس بشعور خفى أنك لن تقرأ خطابى حتى نهايته، ولكنك إن فعلت فستجد فى آخره آلاف القبلات لك.. يا حبيبى.

«إيرين»

ملحوظة : لا أعتقد أنك تسلمت خطابي الأول، فإن كنت لم تسلمه، فذلك لأنني وضعت عليه طابع بريد من فئة الستة مليمات ونسيت أن السعر قد ارتفع إلى قرش صاغ!!.

١٩٤٣/١٠/٢٤

من مكان ما بالإسكندرية:

هالو ! مولاي وسيدى .. هالو!

كيف حالك يا حبيبي؟ لقد وصلت الآن فقط، واكتشفت كم هي جميلة الإسكندرية خصوصا عندما أعيش في منزل ليس فيه والداي، إنى أحس الآن بالسعادة. لقد شعرت بغلظتي معك صباح أمس عندما كلمتك بالتليفون، ولكن مادفعني على الإلحاح لرؤيتك إلا حبي لك، والحب لا يستطيع أن يقدر أنك مشغول بملايين المسائل، كم كنت أتمنى أن تحضر اليوم إلى الإسكندرية، ولكن أحلامي تبخرت بعد أن طالعت صحف الصباح.

وأنا متأكدة من أنك سستمع كثيرا بما ستشاهده في الأوبرا، ولكن أرجو أن أراك في اليوم السادس من الشهر القادم، وحتى يأتي هذا اليوم، سأروض نفسي على الصبر .. ولعلني أنجح .

بوتشى

لقد اكتشفت أمراً مضحكاً. هل تعرف أن «بوتشى جام» معناها غجرية؟ وألا تتفق معي في أن الاسم يناسبني تماماً؟.

لقد عرفت ذلك عندما كنت أتكلم مع صديقة لى بالتليفون ، وأخبرتها أنني مسافرة، فقالت إنى كثيرة الترحال، ووصفتني بأى «بوتشى جام» وأصارحك الحقيقة أنى ذهلت من هول المفاجأة ، فكيف تسنى لها معرفة الاسم؟ ولكن عندما أوضحت المعنى تنفست الصعداء .. ولكن ، ياله من توارد خواطر غريب!.

وعندما كنت أفكر سريعا فى القطار، وفى السفر، انتابنى تفكير غريب.. فقلت
لنفسى: «يالك من فتاة تعسة، تكادين تفقدين صوابك، ما الذى جعلك تقعين فى
حبه، وهناك ملايين الرجال يتمنون منك نظرة واحدة، بل إنهم نسوا ربهم وعبدوك ..
فلم أوقعك سوء طالعك فى حبه هو، دون أحد سواه؟»

«مسكينة أنت يا إيرين.. فأنت تعرفين تماما أنك تلعبين بالنار، وسوف تحرقين
نفسك بها، فلم هذا الاستمرار؟»

«أنت فى الحضيض وهو فى القمة، ولست المرأة التى يمكنها أن تتمتع معه دون أن
يلحقها ضرر؟ ابتعدى عن طريقه قبل أن يلفظك؟»

حبى بوتشى

إن مجرد التفكير فى هذا، يجعلنى أفقد صوابى ، إنى لا أقدر أن أقاوم سحر
عينيك.. ولا أستطيع أن أنسى أنك صنعت منى سيدة فى نواح كثيرة.

لو أنك رجل عادى، لكنت سعادتنا لاتقدر حينما نكون دائما سويا ولكن.. ما
فائدة هذه الأحلام الجميلة؟ إنها تجعلنى أكثر تعاسة حينما أفيق منها.

«إيرين»

كلمات إيرين وسطورها إلى الملك فاروق تلمس فيها الحيرة والقلق !!.

إنها تناديه دائما، وفى كل الرسائل «حبى بوتشى» ، ولاتدرى أين يستقر: هل فى
القاهرة؟! هل فى الإسكندرية.

إنها تحاول فى رسالتها إحياء الحب الذى تحول إلى جثة هامدة، ولهذا تؤكد له:
إننى أحبك، أما الأخريات فهن لسن أكثر من أصفياء.

وإيرين تملك الجرأة «الشجاعة» ربما بحكم ما كان ودار بينهما أن تقول للملك
أيضا:

هاأنا لك صغيرة، موفورة الصحة، مغرية، وأحبك!.

وتعالوا نقرأ رسالة «إيرين» كاملة لفاروق والتي نجيء على النحو الآتى:

١٩٤٣/١٠/٢٥

حبيبى بوتشى

أين أنت يا حبيبى؟ فى القاهرة؟ أم فى الإسكندرية؟ أشعر أنك هنا فهلا تفضلت بالاتصال بى تليفونيا غدا؟ سأصلى هذا المساء ليتحقق حلمى.

إنك لا تتصور روعة المكان المحيط بى فى هذه الساعة. فالهدوء شامل، ولا أسمع إلا أصواتا غريبة خافتة. لعلها أصوات طيور أو قطط، أو صوت غصون الأشجار.

إن الجو يميل إلى البرودة قليلا، ولكن لا بأس.. فبجانبي زجاجة الويسكى. فأنا كما تقول عنى دائما «صاحبة كيف».

كم يكون رائعا، لو أنك كنت بجانبى الآن على هذا المقعد المريح.. تدخن غليونك، وأنا أقص عليك الكثير من الطرائف التى تحبها، وأجعلك تشعر بالراحة. إنى أتخيلك وأنت ممسك بغليونك فى يد، بينما يدك الأخرى تعبت بشعرى وأنا جالسة على البساط، ورأسى بين ركبتيك.. أحكى لك «القصص الحشاشى» التى تفضلها، فأنزع بها ضحكائك الرائعة، فأحس أنى أسعد امرأة فى العالم.

الحمد لله. فعندى المقدرة على التخيل، وربما كان للويسكى الفضل الأكبر فى ذلك.. فإننى أشعر بأن روحى عالية.. وليس ذلك بغريب. فالويسكى مشروب روحى!!.

كيف حال صديقتك الفرنسية؟! هل تمتعت بتمثيلها؟ لو أنك سألتنى رأى لأشرت بإرسال من ينوب عنك، خصوصا بعد التصرف الأحمق الذى تجرأت وتصرفته معك.. وعلى كل، فلا تهتم كثيرا بما أقول، فإننى أشعر بأنى أتدخل فى خصوصياتك كثيرا.. ولكن عندما تحب المرأة فلا نهاية لفضولها.. وأنا أحب بوتشى.

لقد قلت لى إنك أحببت يوما، ولذا فأنت تفهم حقيقة شعورى.. أما أنت، فلست إلا معجباً. إنى سعيدة بحبى، وهو وإن كان مؤلماً إلا أنه جميل.

استمع إلى يا بوتشى إنى أحبك. أما الأخريات فهن لسن أكثر من أصفياء.. وسترى حقيقة ما أقول بنفسك، وستبرهن لك الأيام. إنك إنسان شاذ لأنك كثير الشك. إنك لا تثق فى أحد، وهذا ما يجعلك تحس بربع السعادة التى كان يمكنك أن تحسها، لولا شكوكك... فهذا أنا لك: صغيرة موفورة الصحة، مغرية، وأحبك بجنون.. ولكنك تعاملنى بحذر كما لو أنى غير مخلصة لك!.

كم تمنيت لو أنك كنت شخصاً عادياً، ولست بملك، ولكن لسوء حظى أنك كذلك.

لماذا أتكلم عن هذا الآن، ما فائدته؟ إنى أحبك.. فهل تحبنى؟ هل ستنظم حياة تكفل لكلانا السعادة؟ وهل أنت ترغب فى هذا؟.. إنى لست إحدى العابرات فى حياتك. لا.. إنى أهبك حبى، وهذا أؤمن ما عندى.. فهل تريده؟. وهل تعرف قيمته فتبقى عليه دائماً؟ أم تلقى به من النافذة بعد أن تزهد؟.

إنى أحبك.. وإنى أعنى ما أقول. فإن قلبى هو الذى يتكلم.

«إيرين»



ولم تمض أربعة أيام على هذه الرسالة إلا وأرسلت رسالة أخرى حرصت فى بدايتها على إثبات أنها كتبتها فى الساعة الرابعة وخمس دقائق بعد الظهر (!!) كما حرصت أيضاً على أن تخبره «أن لى الكثير من الأصدقاء» و «دعوات وحفلات وسهرات».

وفى الرسالة نفسها نقرأ باقى التفاصيل كما يلى:

١٩٤٣/١٠/٢٨

الساعة الرابعة وخمس دقائق بعد الظهر.

هالو بوتشى

لقد انتهيت لتوى من مؤتمر خطير!! ماذا أسمع؟ هل هبطت أسهمى؟ يالى من فتاة شقية.

لقد عقد هذا المؤتمر من والدى وزوجى السابق وأنا.. لقد أفهمونى أن العمر يتقدم بى، وأنى أكاد أفقد رونقى، وأن زوجى هو الفرصة الوحيدة التى بقيت لى لو عدت إليه!!..

لقد تحمل والدى الحضور من القاهرة ليقول لى ذلك!!..

ألا ترى أن الأمر جد مضحك؟ ومع هذا فإن قلبى الطيب جعلنى أقدم لهما الغداء وملأت بطنهما بالخمر التى جعلتهما يكثران من الثروة. وفى تمام الرابعة قلت لهما بكل لياقة: مع السلامة من غير مطرود فلا يمكن عمل أى شىء «بالزور».

لم ينقطع رنين جرس التليفون هذا الصباح، فقد علم كل أصدقائى بوجودى هنا، ودعواتهم تنهال علىّ وهذا يجدد حياتى السابقة: دعوات وحفلات، وسهرات من الصباح حتى صباح اليوم التالى. كم كنت أتمنى أن نذهب سويا!!..

أما يوم السبت القادم فعندما تكون أنت متمتعا بحفلة الباليه، وتوزع نظراتك بالعدل على كل النساء الموجودات، أكون أنا الأخرى متمتعة بكل وقتى فى الإسكندرية، فلقد شعرت الآن، وبإله من شعور جميل، إن لى الكثير من الأصدقاء!!.. ففى وقت من الأوقات قامت المشاكل الكثيرة بخصوص زوجى، ثم أخذ اللغظ يكثر حولنا، فظننت أن أصدقائى سينفضون من حولى، ورحت أتحاشى لقاءهم.. ولكن ما قاموا به أخيرا جعلنى أتأكد من رغبتهم الصادقة فى مقابلتى، وهذا مما يزيد من تعلقى بالحياة.. جميل أن يحس الإنسان أنه محبوب لذاته فى السراء والضراء.

حبیبی .. إنی لا أقرأ الصحف کثیرا، ولذا فلیس عندی فکرة عما یحدث. ولكنی سمعت قصة لطیفه عنک. قصة تقول إنک کنت ذات یوم فی نادى الیخت المملکى تلقى نظراتک على القوارب، فرأیت ولدا صغیرا سألته عن اسمه، وعما إذا کان الرجل الذی معه هو والده، وطلبت من الصبى دعوة والده لتعرف علیه، فحضر الوالد یرتعش کورقة الشجر فی مهب الريح من فرحته بمقابلتک، وطلب الرجل من ابنه أن یقبل یدک، لأنک المملک .. ولكن الولد رفض قائلا: «لا.. لیس هذا هو المملک.. إنه رجل عادى».

وتقول القصة بعد ذلك إنک أعجبت بإجابة الصغیر، ولكنی أشک کثیرا فی ذلك، ولو سألتنى رأی لقلت إنک ما دعوت الوالد إلا لإعجابک بالوالدة!!.. فهى معروفة بجمالها!!..

الساعة ٢٣٠ صباحا.

لقد عدت الآن من الحفلة. کان کل شئ فیها رائعا.. من الزهور إلى العشاء.. کان الجميع فی مرح وسرور، وقد ضحکت کما لم أضحک من قبل.

لقد علمت أنك لن تحضر هذه الأيام، وبودى لو عرفت ماذا تعمل؟ لقد تصفحت جرائد اليوم فألقيت عليها نظرة وأنا فى الحمام. ولكنى لم أجد فيها ما یشیر. لماذا لم تكتب لى .. أليس لديك خبر؟ إن القلم الرصاص یصلح!!..

والآن یاحبیبى بوتشى. عم مساء. إن الوقت متأخر جدا، وأرجو أن أتمتع بحلم طويل أراك فيه.

إنی أعطى وجهک بقبلائی

حبوبتك الصغيرة

إیرین



وفى رسالة هذه المرة تقول إیرین لقاروق «سأصبح مسلمة فى القرب العاجل» ثم

تسأله بكل جرأة عن أخبار صديقه «كاميليا» ولا تتورع أن تقول لفاروق فى نفس الرسالة «أنت لى ولى وحدى وسأحتفظ بك».

وجرت باقى سطور «إيرين» إلى «الملك فاروق» على النحو التالى:

١٩٤٣/١٠/٢٩

معبودى بوتشى

إن الأيام تمر على ثقيلة، على الرغم من كثرة الحفلات التى أحضرها، وقد خسرت كثيرا فى آخر مرة فى البوكر .. إلا أننى سأجرب حظى مساء غد فى لعبة الباكارات.. فإذا خسرت، سأصبح فى موقف لا أحسد عليه.. ولن يكون لى مخرج إلا أن أفعل كما فعل الكثيرات من كبار السيدات فى حياتهن السابقة. سأعمل راقصة فى كباريه. فمن هناك تصيدن أزواجا أغنياء يشغلون مراكز مرموقة ! لو أننى فى الحقيقة أفضل أن أكون نجمة سينمائية. إلا أن هذا من المحال بالنسبة لفتاة مثلى نشأت فى بيئة لا تسمح لبناتها باحتراف التمثيل، خصوصا أننى سأصبح مسلمة فى القريب العاجل.

أظن أننى أكثر من الهراء.. إلا أننى متفقة مع نفسى على أن روحى مرحة تميل إلى الدعابة.. وهذا ما يجعلنى أنسى حقيقة ما أنا فيه، فان موقفى لا أحسد عليه، ولكنى سأجد مخرجا.. وسأنجح فى إيجاد هذا المخرج.. والآن فلتكلم فى موضوع أكثر تسلية. لا. دعنى أنهى أولا كل أحزانى فقد فقدت اليوم كلبى العزيز. أف.. إنى كارهة الحياة كلها يابوتشى.. وهذا ما لا يجب أن أشعر به لأنى ما زلت صغيرة، جذابة، موفورة الصحة.. ولى أصدقاء كثيرون.. وفوق ذلك كله، فإنى أحب «بوتشى».. هل سبق أن قلت لك ماهو «بوتشى» بالنسبة لى؟ أنه كل شئ.. نعم إنى أحبه بكل جوارحى.. إنى عبدك. إنى مجنونة بك. أظن أنه لا يصح أن أصرحك بكل هذا، ولكنى أضعف من أن أملك زمام نفسى. إن هذا يجعلنى سعيدة وسأستمر أكرره.

بوتشى... كيف حال صديقتك العزيزة جدا كاميليا؟! هل تشرب الكثير من الشمبانيا بعد أن تركتها بالقاهرة؟ إذا كانت قد فعلت فأرجو أن يكون كثرة الشراب قد سممها.. أعتقد أنها ستذهب إلى حفلة الباليه، وأحب أن تطمئنها أنني سأكون هناك أيضاً!! مهما كلفنى هذا من ثمن، وهذا القول ليس مقصوداً عليها فقط، بل هو يسرى كذلك على جميع صاحبات السمو اللاتى يعشن تحت الشمس.. أنت لى، ولى وحدى، وسأحتفظ بك. هى تسمع ما أقول؟ هذه أوامرى لا تحاول أن تنظر إلى امرأة أخرى وإلا فلن ترانى مطلقاً.

بوتشى يا حبيبى

لقد وائتنى فكرة بالأمس.. لا تذهب إلى الأقصر هذا الشتاء، ولقد دعانى بعض الأصدقاء لقضاء أسبوعين هنا. إنها فرصة طيبة، وأنا متأكدة أنك يمكن أن تذهب لو أردت. إن اللحظات التى اختلسها معك لا تكفى تلهفى على أن أكون بجانبك دائماً فإذا قضينا هذه الفترة سوياً، فإنها ستمدنى بالصبر إلى حين.

بوتشى

أريد أن أقبلك يا حبيبى . لقد دق جرس التليفون، وكاد قلبى أن يتوقف لمجرد تفكيرى فى أن تكون أنت المتكلم، ولكنه كان «فردى» لقد قلت لك كم يحبنى .. وإننى أشعر بالأسف لحاله. كيف عرف رقم تليفونى؟ است أدرى . ولكن، عندما يحب الإنسان يفعل المعال!!.

إذا أردت مقابلتى قبل يوم ٦ فسأنتظرك بجوار التليفون رقم ٥٩٠٢٤ ما بين الساعة الثالثة والخامسة من بعد ظهر يوم الثلاثاء. فسأكون هناك لأجمع بعض حاجاتى.

والآن إلى اللقاء يا حبيبى وأرجو أن أراك قريباً..

«إيرين»

وتنتهى رسائل إيرين إلى «فاروق» وكما نشرتها مجلة التحرير!!.

خرجت من حياة فاروق اليهودية الفاتنة «إيرين» لتدخلها اليهودية المثيرة
«كاميليا»!!!.

كانت إيرين نجار خلية فاروق المفضلة جداً، ولذلك فقد استاء عندما تركته
وتزوجت جندياً بريطانياً، وعندما لم يستطع استرجاعها، ولكى ينساها بدأ فاروق
علاقة مع يهودية من الإسكندرية «ليليان كوهين» واسمها الفنى المسرحى
«كاميليا»!!!.



ولم يكن اليهودى الغامض «إلياهو ساسون» بعيداً عن مغامرة «إيرين نجار» فقد
كان يتابعها بشغف واهتمام لا حدود لهما!!
وماخفى كان أعظم.

ولم تكن كل الصفحات السابقة عن إسرائيل الأمس - إلا محاولة متواضعة لفهم
إسرائيل اليوم!!!

رشاد كامل

الفهرس

الصفحة

- بدلا من المقدمة ٥
- ١ - ساسون يهودى غامض فى القاهرة ١١
- ٢ - صدقى باشا اليهودى والنمر ٤٧
- ٣- هيكل باشا ساسون ومشروع صلح ٧٥
- ٤ - عبدالمنعم مصطفى لساسون: للصلح حدود! ٩٥
- ٥- الملك عبدالله ساسون فى قصر الملك ١٢٥
- ٦- يهودية فى فراش الملك السياسة بأمر الجنس ١٦٧

عربية للطباعة والنشر
١٠،٧ شارع السلام - أرض اللواء الهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ - ٣٠٣٦٠٩٨



اليهودى الغامض فى القاهرة

البحث عن السلام بالجنس

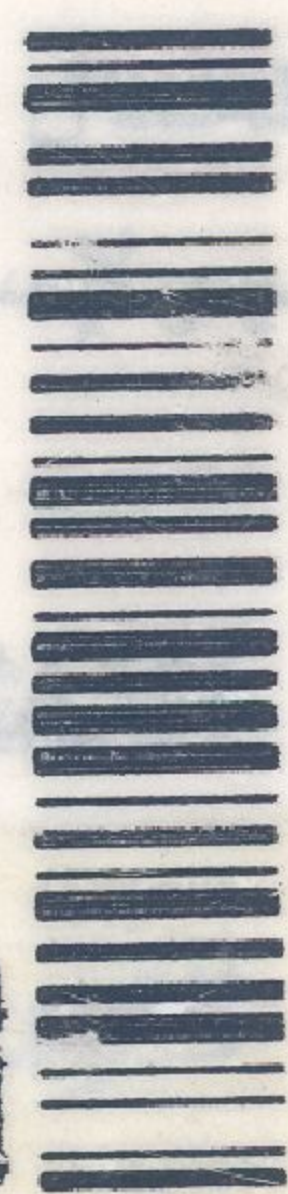
لم تتغير إسرائيل اليوم عن إسرائيل الأمس البعيد أو القريب !!
نحن العرب الذين تغيرنا كثيراً، كانت إسرائيل «تهرول» نحونا باحثة عن الصلح والسلام
بأى ثمن حتى لو كانت فاتورة هذا الصلح والاعتراف هى اللقاءات والمفاوضات أو حتى
الجنس !! .. الآن صار العرب يهرولون نحو إسرائيل باحثين عن صلح وسلام وبأى ثمن
أيضا !!

هذا الكتاب عن قضية يهودى غامض اسمه «إلياهو ساسون» زار مصر وغيرها والتقى
بعشرات الأسماء السياسية، ولم يكن له من هدف إلا تحقيق الصلح بين مصر والعرب
وإسرائيل وبأى ثمن يمكن أن يدفع !!

ستقرأ عن علاقات «إلياهو ساسون» مع الملك فاروق والملك عبد الله وإسماعيل صدقى
باشا، وحسين هيكل باشا، وآخرين أيضا.

أما حكاية اليهودية الحسنة الغامضة «إيرين» مع الملك فاروق فقد فانت
يكن صدفة أن يصبح «موشيه» ابن «إلياهو» بعد سنوات طويلة هو ثانى
فى مصر !!

Bibliotheca Alexandrina



0647184

دار الخيال - القاهرة